في كل مقالة لذة دائمة

بعض ما تقرأ فى عدد مارس ١٩٤٧

آلاف مؤلفة من الأسرار : قاذفة تستطيع أن تطير من ألمانيا إلى نيويورك فى ٤٠ دقيقة ؛ بلازمة الدم ، لم تؤخذ من الدم بل صنعت بالتركيب الكيميائى ؛ خبز يبقى ثمانية أشهر طازجاً صالحاً للأكل — هذه ثلاثة من آلاف الأسرار العلمية والصناعية والحربية التى أخذت من ألمانيا بعد هزيمتها ، وهى تباح تباعاً اليوم لكل من يريد ، لقاء بضعة ريالات .

من صميم الحياة : وقف الرجل — وهو كاتب مشهور — على متن السفينة وهى تقلع ، وإذا هو يستشعر دعوة ملحة من «لندا» حبيبته ... تناديه أن يعود إليها لساعته قبل فوات الأوان . هذه قصة حقيقية مؤثرة يرويها فلتون أورسلر فتقيم الدليل على حقيقة تبادل الشعور عن بعد (التلبثى) — متى كان الحبُّ الصادق يربط بين قلب رجل وقلب امرأة .

الشخصيات التى لا تنسى : ظلَّ أعمى مشلولاً عشرين سنة كاملة — بيد أنه ظلَّ قادراً على تزويد أصدقائه والمعجبين به بكلِّ ما يملأ حياتهم وأفكارهم روعة وغبطة . والسيدة آن مورو لندبرج تروى قصة هذا الرجل الذى كان مؤلفاً مسرحياً مرموقاً فنزلت به الكارثة فانتصر عليها .

كيف تختار زوجك : ماهى الطرق الخليقة أن تفضى بك إلى الزواج الموفَّق ؟ وما هى العناصر الخلقية والاجتماعية التى تسير بك إلى المتاعب فى البيت أو إلى الطلاق ؟ عشرون سؤالا أعدَّها عالم نفسىٌّ مشهور ، تستطيع أن تمتحن نفسك بالإجابة عنها وترتيب نتائجها .

فى وقدة شمس البحر الأحمر ، (باب الكتب) : كان المرفأ مزدحماً بالسفن الغارقة ، ولم يكن بين الرجال من يملك مطرقة أو آلة لشدّ الألاووظ ، وكانت الحرارة ٦٥ درجة سنتجراد فى الظل ، ولكن الكوماندر إلزبرج أعاد مرفأ مصوَّع ، على البحر الأحمر ، قاعدة بحرية صالحة فى بضعة أيام ، فكان عمله من حوادث الحرب الحاسمة فى الشرق الأوسط . قصة رائعة تتعانق فيها الشجاعة النادرة والاحتيال العجيب والابتكار على قهر الصعاب وتذليل العقبات .

AL MUKHTAR min Reader's Digest — Vol. 7, No. 42, FEBRUARY, 1947

مصر والسودان : النسخة ٣ قروش ، الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً — شرق الأردن وفلسطين ٣٥ ملا العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً . الاشتراك السنوى فى سوريا وشرق الأردن والعراق وفلسطين ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً ، وفى سائر أقطار العالم ما يعدل ٧٥ قرشاً أو ثلاثة دولارات أو ١٦ شلناً .

العنوان : ١٤ شارع القاصد ، القاهرة — تليفون : ٤٢٢٦٤

مطبعة مصر

السنة الرابعة — المختار من ريدرز دايجست — المجلد ٧ العدد ٤٢
كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
فبراير ١٩٤٧

انظر إلى العمل الذى تختاره هذه النظرة الجديدة

"لو ردّنى الله شاباً ..."

دكتور وليم وستنى
فى حديث مع هربرت كالى
مختصرة من "أمريكان مجازين"

لو ردّنى الله إلى الحادية والعشرين ، وقام فى نفسى أن أدرس الطب ، لما بادرت إلى الجامعة بل لعملت خادماً فى أحد المستشفيات لا أستنكف عن شىء فى تمريض المرضى ، وأظل بينهم أنظر وأسمع . فإذا بقيت على ذلك سنة أو سنتين فعسى يومئذ أن أعرف أى فروع الطب أحق بدراستى ، فلربما انتهيت إلى أن أوثر التخصص فى الهرمونات على التخصص فى الجراحة ، أو ربما آثرت أن أصير صيدلياً أو من صناع آلات الجراحة — أى كنت أنظر إلى أين يقودنى عملى هذا .

لقد آتانى الله خصلة من خصال القردة تجعلنى أحب أن أتحسس وأشم وأتذوّق كل ما يثير فى قلبى الشغف والفضول ، ثم أختبره جزءاً جزءاً . وليس ذلك طبيعة فى كل أحد ، ولكن ينبغى للباحث العلمى أن يكون كذلك.

ولو شاء الله وردّنى إلى الحادية والعشرين غير مفطور على إيثار العلم ، لما ازدريت عملا ولو كان مثلا بيع الصحون متنقلا من منزل إلى منزل . فمثل هذا البائع المتجول يتاح له من العلم بطبائع البشر أكثر مما أتيح لمثلى أن يتعلمه بين جدران معمل علمى ، ويزيد أنه يكسب مالا ويستفيد ما يسليه . وعسى

أن يعرف أشياء جديدة عما يشتهيه الناس ، تعين الباحث والمهندس أو صاحب المصنع ، فليس الشأن كل الشأن للعمل بل لما تصنع فيه .

وقد سمعت منذ قريب بضابط كبير شاب سُرّح من الجيش ، فساءه أن يعهد إليه صاحب العمل الذى كان يعمل معه سابقاً بعمله القديم ـ وهو تصميغ ظروف الرسائل . نعم لقد بلغ أن يكون ضابطاً كبيراً فى سلاح الطيران وهو فى ميعة صباه ، ولكن تصميغ الظروف ليس عملا يعاب . وعسى أن يزاوله فتى متوقد الذهن فيبتعثه إلى اختراع جديد . ترى أهذه الظروف التى نستعملها مصنوعة على ما ينبغى أن تكون ، أم ترانا نراها كذلك تكون لأن عيوننا ألفت أن تراها كذلك ؟ لست أدرى . ثم يأتى الصمغ وأسلوب ختمها وطريقة كتابة العنوان ، ففى كل ذلك للفكر متسع .

والكتابة على الآلة الكاتبة مثلا عمل لا بأس به ، فالمرء خليق أن يتعلم شيئاً من كل شىء ينسخه أو يملى عليه . ولست أدرى أكان فى كتاب الاختزال أحد خطر له أن يستحدث طريقة جديدة لوضع شريط الآلة الكاتبة ؟ أو من فكر فى هذا الشريط أهو شىء لا غنى عنه ؟ أم لعله يكون أفضل أن يكون فى الآلة أسطوانة تحبّر من محبرة لها مفتاح أو صمام ؟ لست أدرى ، ولكنه شىء يستحق تفكير رجل قدير فى الآلة الكاتبة . وأنا نفسى أمقت تغيير أشرطة الآلة الكاتبة .

وكل ما أريد أن أقوله هو أن بعض الناس قد حبب إليهم الغلو فى طماحهم . واعلم أن إحدى الوسائل التى تتيح للمرء أن يعرف بها ماذا يريد أن يعمل فى الحياة هى أن يجرّب كل عمل ، فإذا كره العمل فى محطة بنزين مثلا فليجرب العمل فى مخزن أو فى مكتب أو دكان أو مزرعة ، فإذا فعل لم يقتصر ما يجنيه على معرفته العمل الذى يلائمه ، بل يجنى فيما يجنى قدراً عظيما من المعارف النافعة .

أعرف شاباً كان يتردد فى اختيار صناعة السفن أو كتابة الحسابات ، فلما جاء يستنصحنى أشرت عليه أن يجلس إلى مكتبه ويكتب مقالتين ـــ إحداهما فى فضيلة العمل فى صناعة السفن ، والأخرى فى فضيلة العمل فى كتابة الحسابات ، ثم يكتب أيضا مقالتين أخريين عن مساوىء العمل فى كلتيهما ، ثم يدرس ما كتب . والمرء لا يدرك حقيقة ما يجول فى نفسه حتى يشغل نفسه بالتعبير عنه .

يخيل إلى كثير من النـــاس أن المرء لا يستفيد علماً إلا وهو دون العشرين ، ويتلقى الصغار هذا الرأى عن كبارهم ، فإذا سُرحوا من الجندية فما بعد الثانية والعشرين

من أعمارهم ، خيل إليهم أنهم بلغوا من كبر السن مبلغاً يقعد بهم عن طلب علم شريف كعلم الطب مثلا .

وقد درست أنا الطب وقد نيّفتُ على السبعين ، ولم أكن أرمى من وراء دراسته إلى نيل شهادة ، بل لأستعين به فى تجربة « جهاز الحمى » الذى اخترعناه فى معاملنا ، يراد استعمال حرارته فى شفاء ضروب معينة من الأمراض أو تخفيف وطأتها .

ومنذ سنتين بدأت أزاول صناعة اللحام بالكهرباء حتى أتقنتها ، وفعلت ذلك بغية أن أهتدى إلى طريقة تمنع تطاير الشرر من المعادن. ولست أذكر هذا فخراً ومباهاة، بل ما أردت إلا أن أدلّ الشبان على أن السن مهما علت بهم لا تحول بينهم وبين طلب العلم. وإن أحدنا وهو فى ذروة نشاطه لا يكاد ينتفع إلا بجزء يسير من عقله .

إن الذى نصنعه من الأشياء يزداد يوماً بعد يوم ، وكلما زادَ زاد العاملون وزاد المشترون، وكثر العمل . وفى الدنيا اليوم من الفرص لكل عامل ما لم تر مثله من قبل ، وهى لا تزال تزداد ، وأنا أظن أنها لا تنتهى .

ومهما جهد البشر فلن يخرجوا من الطعام أكثر مما يحتاجون إليه ، فالفرص المتاحة للشبان فى الزراعة لا يحصيها العد ، ولن يجدوا الزراعة مضنية لهم بعد ظهور الآلات الزراعية المستحدثة . ولو ردنى الله إلى الحادية والعشرين لكنت خليقاً أن افكر فى أن أتتلمذ لأحد المزارعين . أليس حسناً أن تختار لنفسك أستاذاً مجيداً فتكسب مالا وتستفيد علماً ؟

وكلما علت بى السن ازددت يقيناً بأن خير البرّ أنفعه للناس، ولو خيرت فى حياتى ثانية لحرصت على تدبر ثلاثة أشياء: ما جدوى العمل الذى أزاوله على الناس.؟ ما مقدار المتعة التى أنالها منه ؟ أترى دخلى منه يكفى كل حاجتى ؟ وذلك حسبى .

أعرف شاباً يطوف بأرجاء البلاد ويبيع الناس أقفاصاً للطيور يصنعها بيديه ، وعندى الآن ١٤ قفصاً أو ١٥ قفصاً من صنعه . وعندى طيور من طيور الصَّعْو ، فأنا أضع لها هذه الأقفاص فى أماكن مختلفة وعلى ارتفاع مختلف ، لأنظر أين تؤثر أن تبنى أعشاشها . ولم أهتد إلى شىء يذكر ، إلا أنى رأيتها تكره أن تكون أقفاصها قريبة من شجرة تيسر للقطط والسناجيب أن تقفز منها إلى سطوحها . وهذا الشاب يقضى أمتع وقت وأحسنه يقابل من أماثل الناس رجالا يحبون الطيور ، فهو يستفيد مالا ، وينال متعة ، ويقدم الخير للناس وللطير . فلا تحتقرن عملا وإن هان أو قل فى هذه الدنيا الحافلة بسوانح الفرص .

حواء الخالدة

صنع رمبرانت المصوّر الهولندى العظيم صورة زوجته بعد أن انقضت سبع سنوات على زواجهما ، فندّد به بعضهم على ما صنع ، فوقف رمبرانت فى جمع من الجنود وأهل المدينة ، ثم قال لهم : « كان فى أرض أُزْ رجل أنعم الله عليه بكل شىء يتمناهُ قلب الرجل ، وأهمها جميعاً أنه كان يحبُّ زوجته حبًّا صادقاً » .

فقاطعه صوت : « لا بد لذلك من سرّ » .

فقال رمبرانت : « نعم ، لقد كان سره أنه كان يدرك ما لا تدركون ـ ذلك أنه إذا ما وهبتك امرأة نفسها فقد ملكتَ جميع النساء ، من كلّ عمر وكلّ جنس وكلّ أرض . وأهمُّ من ذلك أن تصبح وقد حُزْتَ القمر والنجوم وجميع المعجزات والأساطير ـ النساء السمر اللواتى يلهبن الحس بدلالهن ، والنساء الشقر الفاترات اللواتى يغوينك ثم يتهاربن منك ، والدمثات اللواتى يخدمنك ، والغيد الرقيقات اللواتى يعذبنك ، والأمهات اللواتى يحملنك ويرضعنك ـ جميع النساء اللواتى خلقهن الله وأنبتهن على خيرات الأرض الزاخرة ، يجتمعن لك فى حبّ امرأة واحدة » .

فقال الصوت : « وكيف يكون ذلك ؟ »

قال رمبرانت : « ترفق فى إلقاء رداء أرجوانىّ على عِطْفها فإذا هى ملكة ؛ أرحْ رأسك الأشعث على صدرها فإذا هى غانية تنتظرك لكى تخلبك لبك ؛ جرّدها من ثيابها وانزع نقابها عن وجهها فإذا هى عروس الفنان الملهمة الخفرة تحاول أن تستر عورتها بيديها المرتعدتين .

« انظر إليها كأنما تنظر إلى ألف امرأة غريبة ـ ولكن لا يذهبْ بك الظن إلى أنها قد دخلت فى سلطانك ، لأن أسرارها لا تنفد ، فمهما جهدتَ فلن تحيط بها جميعاً » .

[من فلم « رامبرانت » تمثيل تشارلز لوتون]

مصرع بارجة

إدوين مولر

مختصرة من مجلة " هاربرز "

تبين الخبراء البحريون أن إغراق البارجة بسمارك ، مفخرة الأسطول الألماني ، كان امتحاناً جليل الخطر لأصول فنهم . فقد عكفوا عشرين عاماً على بناء مختلف السفن الحربية وتدريب الرجال على منازلة أمثالها ، فكان إغراق بسمارك أول تجربة صادقة للصراع الذي يدور بين البوارج الحديثة وبين آخر طراز من السفن الحربية والطائرات ، وتعلموا أيضاً كيف تكون روح البحارة في ساعة الخطب ، وأي العوامل يحفظ عليهم ثباتهم وشجاعتهم ، وأيها يزعزع أعصابهم .

وقد بذلت السلطات البحرية في كافة الأمم كل ما وسعها من جهد وحيلة لجمع كل ما تستطيع الظفر به من معلومات عن هذا الحادث . وقد أصبح اليوم في الإمكان أن نروي المأساة التي شهدتها تلك البارجة العظيمة في أيامها المشئومة الأخيرة . وجميع الأخبار والوقائع التالية حقائق ثابتة .

في ليلة ٢٢ مايو سنة ١٩٤١ غادرت البارجة بسمارك — ومعها الطراد البرنس أويجن — شاطىء النرويج ، واتجهت إلى الممر العريض بين جريلند وأيسلند ، وفي فجر يوم ٢٤ مايو رأت بسمارك عدوها ، فقد لاح لها طراد القتال هود العتيق الشهير ، وهو أكبر السفن الحربية البريطانية ، ثم لاحت لها بارجة أخرى هي « برنس أوف ويلز » .

وبدأ هود القتال ، فردت بسمارك بإطلاق مدافع أبراجها كلها ، ثم سددت نيرانها إلى « برنس أوف ويلز » فأصيبت وعجزت عن الاستمرار في المعركة الدائرة ، فخلا الميدان للمبارزة بين اثنتين : بسمارك وهود .

وأطلقت بسمارك مدافعها لثالث مرة ، فانبعثت سحابة من الدخان الأسود من مقدمة هود ومالت على جنبها ، ثم تمزقت نصفين ، وغرق مؤخرها من فوره ، أما مقدمها فقد ظل طافياً دقائق معدودة ، ثم غاص رويداً رويداً وابتلعه اليم .

لم يلبث الخبر أن ذاع في أرجاء بسمارك ، وتعالى الهتاف واشتد ، وإذا السطح الذي

كان خالياً أثناء المعركة قد احتشد فيه الضباط والبحارة وهم ينشدون الأناشيد ويعانق بعضهم بعضاً .

لم يلحق بسمارك إلا ضرر يسير في مقابل تدمير أكبر سفينة بريطانية . لقد أصيبت ، ولكن الأذى كان طفيفاً ، وجرح عدد قليل من بحارتها .

وكان عيداً دام يومين ، وجمع أمير البحر لويتجنز رجاله على السطح ، وألقى عليهم كدأبه خطبة فوّارة يمجد فيها هذا النصر ، ودوّى الهتاف والتصفيق واختلط بهدير الأمواج . ومما زاد الحفل بهجة أن كان ذلك اليوم هو يوم ميلاد أمير البحر الثانى والخمسون .

وحمل الراديو إليهم تهنئة هتلر ، وإنعامه على ضابط المدفعية شنيدر بوسام الصليب الحديدي . وجاءت بعد ذلك إنعاماته على على رجال البارجة تترى .

وكان أكثر رجال البارجة دؤوباً هم مصورو السينما التابعون لمكتب جوبلز ، فبعد أن سجلت عدساتهم أطوار منازلة هود ؛ انصرفوا إلى تصوير مناظر الاحتفال حتى يتاح لبرلين أن تشهد سريعاً على الشاشة البيضاء خاتمة السيطرة البريطانية على البحار .

وكان أغلب البحارة شباناً فى ميعة الصبا ، وضمت البارجة أيضاً ٥٠٠ تلميذ بحرى فى

الحلقة الثانية من العمر ، فكان هذا اليوم المجيد مؤيداً لثقتهم المطمئنة بالنصر الموعود ، فهم فى مثل هذه السن لايكادون يذكرون شيئاً عن العالم قبل هتلر ، بل مثلهم كمثل أعضاء فرق شبان هتلر ، قد عمل فيهم إيحاء لاينقطع ساعة من نهار ، حتى رسخ فى نفوسهم إيمان أعمى بسيادة الجنس الألمانى ، وأنه « يحكم اليوم ألمانيا وسيحكم العالم كله غداً » ؛ وما كانوا يدركون إلا شيئاً واحداً هو أن الألمان قوم لايقهرون .

وكذلك بارجتهم هذه أيضاً ، فهى بارجة لا تقهر . ولا ريب فى أنها كانت أقوى من أية سفينة بحرية أخرجتها المصانع حتى ذلك اليوم ، وظلت حمولتها سراً لايعلمه أحد إلا رجال القيادة العليا الألمانية . ومن المؤكد أنها كانت تزيد عن ٣٥ ألف طن ، وهو الحد الأقصى الذى قيدتها به المعاهدات . وبعض الناس يقدر حمولتها بخمسين ألف طن ، ويقال إن سرعتها فى رحلتها التجريبية بلغت ٣٣ عقدة ، فهى أسرع من كافة البوارج البريطانية والأمريكية .

كانت بسمارك لايختلف شكل سطحها عن سائر البوارج ، أما ماتحت السطح فكان فذاً لامثيل له ، فقد كان لها تحت خط الماء خمس دروع مُظاهَرة ، وقيل لبحارتها إنها تستطيع إنزال الهزيمة بأية سفينة بريطانية ، بل بأية

جماعة من السفن التي قد تتألب عليها ، أنها في أمان من الغرق ، فآمن البحارة بصدق هذا القول .

ولكن كان فيها نفر من ذوى السن والتجربة لم يؤمنوا بهذا القول ، كالضابط لندمان الذى يعلم أن السفن الألمانية قد تغرق كغيرها من السفن ، وهو ضابط قدير هادىء الطبع من قدماء رجال البحرية الألمانية لم يفتنه التشيع لحزب بعينه .

أما رئيسه نائب أمير البحر جونتر لويتجنز فكان من غلاة النازيين ، وكان رجلا نحيلا ضعيف البنية ، فستر نقصه بقسوة النظرات وعُنف الطباع . وهو من هؤلاء الزعماء القادرين على تحريك عواطف أتباعهم وإيقاد جذوة الحماسة في قلوبهم ، ولكن البحارة كانوا يجهلون أنه يعاني بعد كل فورة أزمة شديدة من الضيق والقنوط .

وكانت الروح المعنوية قوية بين البحارة بالرغم من شدة ازدحام البارجة بهم ، إذ كان فيها سوى بحارتها وسوى التلاميذ البحريين مئات من بحارة ألحقوا بها ، فأصبح فيها ما يقرب من ٢٤٠٠ رجل ، مع أن الأماكن المخصصة لبحارة البارجة أنفسهم كانت غير كافية ، فقد أخليت بعض الأماكن التي يشغلها البحارة عادة حتى ينتفع بها في زيادة تحصين البارجة . وخصص مقدم البارجة لنوم البحارة في فرش معلقة تقاربت حتى تلامست ، وازدحم صغار الضباط في المؤخرة ، فكان ينام كل أربعة منهم في حجرة ضيقة ، أما حجرة الطعام فمظلمة مكتومة الهواء ، ولكن نفوس الجميع ارتضت أن تضحى بالراحة من أجل مناعة البارجة كما رضى الشعب الألماني بأن يضحى بالزبد في سبيل صنع المدافع .

وكثر الحدس والتخمين بين البحارة عن وجهة البارجة ، وظن أغلبهم أنها خرجت للإغارة على السفن التجارية البريطانية ، فقد أصاب لويتجنز نجاحاً كبيراً في هذا العمل أيام كان يتولى قيادة شارنهورست وجنايزناو . وظنوا أن زيادة عدد البحارة دليل على صواب هذا الرأى ، فلعلهم أعدوا لقيادة السفن التي ستقع في الأسر . وسمع آخرون أن بسمارك متجهة إلى جزر الأزور لتستولى عليها ، ورأى آخرون أنها سوف تيمم شطر المحيط الهادىء لتنضم إلى الأسطول الياباني ، ولكنه كان رأياً بعيد الاحتمال ، إذ توزع عليهم ملابس تصلح للمناطق الحارة .

أما الآن فقد وضح الغرض ، فقد خرجت بسمارك لتحطيم هود .

ولا بد لنشوة النصر ، وإن طالت ، من نهاية . فجاءت النكسة في اليوم التالى ، إذ

انقلبت البرنس أويجن عائدة إلى الوطن ، وتلبدت السحب ، واشتد البرد وتساقط الثلج والبَرد والمطر الغزير، وانتشر الضباب ولم يكن لكثير من رجال بسمارك عهد بوحشة المحيطات السحيقة ، فشعروا بأنهم فى وحدة ، وأنهم بعيدون عن وطنهم .

وسرعان ما أدركوا أنهم مطاردون ، إذ طرق سمعهم فى صباح يوم ٢٦ مايو عند الطرف الجنوبى لجرينلند هدير طائرة ، ثم حلقت فوقهم من خلال فرجة فى السحب طائرة بريطانية من طراز كاتلينا ، فانطلقت جميع مدافعها المضادة للطائرات وأقامت سداً من الرصاص ، فاختفت الطائرة ، ولكن لم تلبث أن بدأت طائرة أخرى ترصدهم . وشعر البحارة كأن هناك سواعد قوية تمتد لتطبق عليهم .

ثم انتشرت فى البارجة إشاعة مقلقة ، فقد شب خصام بين لويتجنز ولندمان ، وسمع صوت أمير البحر وهو يصرخ غاضباً من وراء أبواب حجرته المغلقة ، فقد نبه لندمان إلى أن البريطانيين سيحشدون لمقاتلتهم كل سفينة لديهم ، وأنه لن يهدأ لهم بال حتى يظفروا بفريستهم ، ونصح أمير البحر بأن يحوّل وجه البارجة فوراً إلى أرض الوطن .

واعترض أمير البحر ساخطاً على هـذا الرأى ، وأذاع على البحارة أنه سوف يقودهم إلى نصر بعـد نصر ، فهتفوا له وانتعشت نفوسهم، ولكنهم أخذوا يرقبون الأفق آملين أن يروا الإمدادات قادمة إليهم .

أما الذى وافاهم فى اليوم التـالى فكان شيئاً خلاف هذه النجدة المرتقبة ، إذ سُمع صوت كطنين سرب من النحل ، ثم حلق فوق رؤوسهم سرب من الطائرات ، إنها طائرات الأسطول البريطـــانى من طراز سوردفيش قد ظفرت بقنيصتها . وتهاوت الطائرات واحدة بعد أخرى، حتى إذا مااقتربت إحداها من سطح البحر أطلقت طربيدها ثم تنفتل مصعّدة فى الجوّ. وأصاب طربيد وسط البارجة، فثار عمود من الماء حتى جاوز قمة صاريها ، وترنحت بسمارك من جنب إلى جنب . وتبين لفرقة الإنقاذ أن أحد الدروع قد انخرق وامتلأ الفراغ الذى يليه ماء .

ولم يكن الضرر فادحاً، ولكنه ترك أسوأ الأثر فى نفس أمير البحر ، ولعله كان قد سمع فى ذلك الوقت من الراديو أنباء مقلقة عن مجموعة من السفن البريطانيـــة قد تحركت لمحاصرته .

ومثل هـــذه الأنباء ، إذا اجتمعت هى وإصابة البارجة ، كفيلة بأن تردّ رجلا فى مثل مزاجه من ذروة النشوة إلى قرارة اليأس .

فجمع رجاله وخطبهم على غير عهـدهم بخطبه ، إذ قال لهم إن بسمارك ستكره على

خوض معركة ، وإنه يأمل أن توافيه نجدة من الغواصات والطائرات لصد الهجوم البريطانى ، فإذا لم تأت فإن بسمارك ستجرّ معها إلى قاع البحر أكثر من سفينة واحدة من سفن الأعداء .

ثم قال : « أيها الرجال ! اذكروا أيمانكم وكونوا أوفياء لهتلر حتى الموت » .

فانقضّت هذه الخطبة على قلوب الشبان من البحارة انقضاض الصاعقة ، فقد قيل لهم من قبل إنهم لايهزمون ، وإن سفينتهم لا يمكن أن تغرق ، فإذا بهم يسمعون فجأة من يدعوهم إلى حياض الموت .

كانت تلك هفوة من أمير البحر ، فأذيعت على البحارة رسالة تقول إن النجدة فى طريقها إليهم ، وإن سرباً من الغواصات يقترب منهم ، وإن الطائرات آتية ، وسيرون بعد قليل مثنى طائرة تحلق فوقهم .

وأكبر الظن أن هذه الرسالة كانت من نسج الخيال ، ولكن البحارة صدقوها فانتعشت نفوسهم ، وظلوا طول يومهم يتطلعون إلى نواحى الأفق .

وكانت بسمارك قد اتجهت بعد إغراق هود إلى الجنوب الغربى ثم إلى الجنوب ، ولكنها الآن ، أى بعد ثلاثة أيام من المعركة ، حوّلت وجهتها نحو فينستر آملة أن تصل إلى الشاطىء الفرنسى لتجد فيه مرفأ آمناً .

ولكن الظلام لم يكد يرخى سدوله فى تلك الليلة حتى أقبل سرب من الطائرات البريطانية وهاجم البارجة فجأة وأصابها ثلاث مرات ، ولكن التلف الناجم من الطربيد الأول والثانى كان هينا ، أما الثالث فقد أصاب الدفة وأمالها ، وأخذت السفينة تدور حول نفسها .

ودبّ فى البارجة نشاط كمثل الجنون ، وقيل لهم إن من يستطيع إصلاح الدفة فجزاؤه أن ينال وسام الصليب الحديدى ، وأبطلت الآلات المحركة ، وتدلى من البارجة غواص بذل غاية جهده فى إصلاح الدفة ، ولكن ما كادت البارجة تعاود سيرها حتى أخذت تدور ثانية حول نفسها .

وانقطع عند ذاك حبل النظام فى البارجة ، وتعالى الصراخ وساد الهرج والمرج . وفى أثناء هذه الفوضى أذيعت رسالة لاسلكية من هتلر جاء فيها : « إن أفكارنا كلها متجهة إلى رفقائنا المنتصرين » .

وبذل الجميع جهد اليائس لتقويم سير البارجة بدفع آلاتها وجرها ، ولكنها أخذت تجر نفسها كمشى الأعرج ، وتترنح ترنح السكران الثمل .

وبعد ساعة من منتصف الليل انقضّت من خلل الظلام مجموعة من المدمرات البريطانية وأحاطت ببسمارك إحاطة كلاب

الصيد بالفريسة المثخنة بالجراح ، وأخذت تسدد إليها طرابيدها بين الحين والحين ، فأصيبت دروع أخرى وامتلأ ما بينها بالماء ، وزاد عدد المصابين من البحارة .

وحاولت القيادة أن تشد من عزائم البحارة ، فأدارت عليهم رسالة تؤكد لهم أنْ ستأتيهم في فجر الغد نجدة من سفن الجر ومعها ثمانون طائرة .

وقد صدق بعض البحارة هذا الخبر ، ولكن لويتجنز لم يصدق ، وأراد أن يضرب مثلا رائعاً فأرسل إلى هتلر برقية يقول فيها : « سنقاتل إلى آخر قذيفة ، فليحى هتلر رئيس الأسطول » .

ثم انهارت أعصابه بعد ذلك ، وسمع له صراخ كصراخ المجانين من وراء باب حجرته وهو يقول : « افعلوا ما بدا لكم ، أما أنا فقد غلبت على أمرى » .

وطلع النهار والسماء ملبدة بالغيوم ، والرياح قارسة تهوى كالسياط على الأمواج فتتوجها بالزبد ، ولاح على الأفق أكبر قطع الأسطول البريطانى ، البارجتان رودنى وجورج الخامس ، وأطلقتا مدافعهما من عيار ١٦ بوصة من بعد ١١ ميلا ، ثم اقتربتا حتى انتصفت هذه المسافة . وقذيفة المدفع من عيار ١٦ بوصة والتى زنتها ٢١٠٠ رطل تنطلق بسرعة نصف ميل فى الدقيقة ، فكلما أصابت بسمارك قذيفة ترنحت تحت الضربة ، ولكنها ظلت برهة ترد الهجوم بمثله وتطلق القذيفة إثر القذيفة .

ثم جاءتها الضربة القاضية حينما أصابت إحدى القذائف الجهاز الرئيسى لتسديد المدافع ، وشلت بذلك مقدرة بسمارك على القتال وإن ظل بحارتها يستعينون بأجهزة التسديد المستقلة فى كل برج ويطلقون بها مدافعها ، ولكن رمايتهم كانت طائشة غير محكمة .

واقتربت رودنى وجورج الخامس حتى أصبحتا على بعد ميلين ، وسددتا الرماية بإحكام ، فلم تسقط لهما قذيفة واحدة دون الهدف ، ومال الصارى وقد اخترقه الرصاص وتشابك حطامه كالغصون المتشاجرة ، إلى أن أصابته قذيفة اقتلعته من جذوره ، فهوى على سطح البارجة . واستعرت ألسنة النيران من المدخنة ، ومال أحد الأبراج وأصبحت مدافعه موجهة إلى السماء . ولم يحدث لسفينة من قبل أن أصيبت بمثل هذا التلف البالغ وظلت طافية على سطح الماء .

وعندئذ فقد البحارة رباطة جأشهم ، وتمرد رجال بعض الأبراج وتركوها هاربين ، وتردد ضابطهم لحظة ثم حذا حذوهم . وحدث فى برج آخر أن عصى الأوامر رجال فقتلهم ضباطهم رمياً بالرصاص .

وسرعان ما بدأت السفينة تميل على جانبها ،

وتدفق الماء من ثقوب القذائف ومن ثغرات ما تمزق من دروع البارجة ، وطغى الماء على السفينة سطحاً بعد سطح وهو يهدر ويزخر في اندفاعه إلى الممرات والحجرات . وكانت أبواب بعض أقسام البارجة مقفلة ، فارتفع الماء فيها إلى السقف فمات أهلها غرقاً . وجاهد آخرون للوصول إلى السطح الأعلى فاكتظت بهم السلالم المؤدية إليه .

صار السطح الأعلى جحيماً لا يطاق ، فقد كثرت ثغراته ، ونزع الانفجار ما على البحارة من ثياب ، وتعالى صراخ الجرحى من شيب وشبان ، وتناثرت جثث القتلى في كل جانب .

جُنَّ جنون من بقي فيه من البحارة وحاولوا أن ينزلوا إلى باطن السفينة ، ولكنهم وجدوا السلالم مكتظة بالصاعدين الهاربين من طغيان الماء ، فقاتل بعضهم بعضاً وتساقطت جماعات منهم وهم يتصارعون .

وكانت السفينة عندئذ قد رقدت بجنبها على الماء ، وراح البحارة : فريق يجاهد في البحر بين الأمواج ، وفريقٌ يتسلق جانب السفينة الأسود اللامع ، ثم ارتفع مقدمها قليلا ، وهوت المؤخرة ثم البارجة كلها في قرارة المحيط .

واقتربت السفن البريطانية تسعى لإنقاذ البحارة ، وتشبث مئة منهم تقريبا بالحبال المدلاة فجذبوهم ورفعوهم . ثم جاءت الأنباء بأن الغواصات الألمانية تقترب ، فتحركت السفن البريطانية حتى لا تؤخذ على غرة وهي جاثمة في البحر بلا حراك ، وخلفت وراءها مئات من الألمان وهم لا يزالون يغالبون الأمواج على غير طائل .

ونطقت وجوه الناجين بالذهول والإعياء كأنما عانوا أمرّ العذاب أشهراً طويلة ، وظلوا أياماً عديدة والذهول غالب عليهم برغم ما وجدوه من راحة وفراش وثير وطعام طيب . وكانوا قلما يتكلمون أو يتحادثون معاً ، فكأنهم أرواح شاردة ، ذلك بأنهم كانوا في همّ أشد من ألم الكارثة التي عصفت بأجسادهم ، فقد تحطم إيمانهم الذي كان قوام حياتهم كلها — إيمانهم بأنهم قوم لا يهزمون .

❧ ❧ ❧

مسألة غير ذات خطر

منذ عهد قريب لقي رجلٌ مضطرب هالك الأعصاب عالماً كبيراً من علماء الفلك فسأله : «أمن الممكن أن تدمّر القنبلة الذرية كرة الأرض ؟ »

فهزّ العالم كتفه مستخفاً وقال : « فليكن ، فإن الأرض ليست من كبريات الكواكب السيارة ! »

[أسوسييتد برس]

كلما توثقت صلاتك بقطتك ازددت بها معرفة وملأت قلبك غبطة

ليس لأحد عليها سلطان

مرجريت كوبر جاي

مقتطفات من كتاب "كيف تعاشر القطط"

تأبى القطط أن تخضع لسلطان أحد، فهي إذا أجمعت رأيها على نيل شيء قصدته لا تلوي على شيء، فإذا أخفقت تلبّثت حتى تسنح الفرصة فتعاود الكرة عليه. وهذا التصميم بغيض إلى الذين لا يقرُّ لهم قرارٌ إلاّ أن يجدوا فيمن يحيط بهم من يؤمرونه فيطيع، وهم يزعمون أن القطط خبيثة ماكرة. ما كرة! كلا فالقطط أصرح المخلوقات قاطبة، ومن أجل ذلك فهي لا تعرف الشر، وعقابها غير مشمر ولا مجدٍ. وإذا استيقنت القطة أنك لن تقتلها، فلن يردّها رادٌّ وإن عظم.



وقد ظل البشر يحاولون منذ ٤٠٠٠ سنة أن يروضوا القطط فما غيروا شيئاً من خصائصها، حتى إنهم عجزوا أن يستولدوا منها قططاً ضخمة الأجسام، أو قططاً ضئيلة الأبدان، أو قططاً مسترخية الآذان. والقطط التي كانت تعيش في أرض مصر منذ ٤٠٠٠ سنة تشبه القطط التي عندنا اليوم كل الشبه.

أما الخصائص التي تميز سلالات القطط، كالعيون الزرق والشعر الطويل والذيل الأبتر، فما هي إلا فروق اقتضتها طبيعة اعتزالها عن السلالة الأصلية حتى صارت أنواعاً متميزة. وهذه الخصائص المميزة عرضة للتغير والارتداد إلى الأصل، فالغلبة دائماً لهذا الأصل وهو القطة المألوفة عندنا. زاوجْ إن شئت بين قطة فارسية وذكر من القطط المألوفة، تنسل لك في الغالب قططاً مألوفة، وربما خرج منها واحدة أو اثنتان كأمهما في غزارة الشعر الناعم. أو زاوج بين قطة سيامية وأخرى فارسية، فلن يخرج منهما خليط

يجمع بين خصائص النوعين ، بل يخرج منهما قطط عادية مألوفة ، فإذا الخصائص المتأصلة على مرّ الأجيال المتطاولة قد امحت فى لمحة عين . أفليس بعيداً بعد هذا أن نجد فى القطط قططاً عتيقة أصيلة كالجياد العتاق ذوات الأنساب ؟

لايستطيع أحدٌ من البشر أن يعرف ماذا يدور فى نفس القطة ، بيد أنها فى تعريفنا بما تريده أمهر منا فى إدراك مايجول بين جوانحها . وحياة القطة غير محشوة بالألفاظ كحياة البشر ، بل استطاعت أن تجعل الإشارة فناً يفهم معانيه كل ذى عينين . فهز الشارب يدل على الازدراء الخالص ، وفى تحريك ذيلها من الرقة مايعبر عن معانٍ كثيرة من المودة والحب . أما منظرها وقد انتفشت وتهيأت للقتال فمن أبشع المناظر وأدلها على التوحش . راقب قطة يوماً واحداً تستيقن حق اليقين هذا العجز القبيح الذى نوغل فيه بثرثرتنا التى لا تنتهى .

وحواسُّ القطط أرهف وأدق من حواسنا ، فهى أقدر منا على الرؤية فى الضوء الخابى ، وهى مع ذلك جيدة النظر فى ضوء النهار الغامر ، ولكنها لاترى فى الظلام الدامس كما يظن الناس .

وعامة العلماء تعتقد أن فى القطط عمى الألوان ، لأن تركيب عيونها يقتضى ذلك . بيد أنى جربت بنفسى تجربة ، فاشتريت بعض أصباغ النباتات مما لا أجد أنا له رائحة ولاطعماً ، ثم صبغت قطعة من اللحم بلون أخضر ناضر ، ووضعت هذه القطعة فى صحن القطط ومعها لحم آخر غير مصبوغ ، وجاءت قططى الثلاث فتشمّمت القطعة الخضراء وخركتها بمخالبها ثم تركتها ، فصبغت لحماً باللون الأزرق ففعلت كما فعلت بالأول . فقلت لعلها عرفت الصبغة بالرائحة ، فوضعت فى اللحم صبغة حمراء بحيث تتعذر رؤيتها ، فأكلت قطعة اللحم هذه . فخلطت الصبغة الخضراء ببعض البقول فأكلتها ، ثم لوثت لها الماء بلون أزرق ، فنظرت إليه ملياً ثم أبت أن تشربه .

والقطط أحدُّ سمعاً من البشر ، فهى تسمع نأمة الفيران الخفية ، وحسّ الحيات فى دبيبها ، وآلافاً من الأصوات الخفية التى لا تتبينها آذاننا مهما جهدنا . وقد وجدت أن القطط التى عندى تميز وقع أقدام من تحب من الناس وهم لا يزالون فى أول السلم وبينى وبينهم خمسة أدوار ، ونحن نعيش فى قلب مدينة صاخبة الحركة ، وإذا بى أراها تنطلق عدواً إلى الباب لتستقبلهم ولا علم لى بأن أحداً آتٍ لزيارتى .

واعتماد القطط على حدة سمعها قد ورط كثيراً منها فى مآزق ضنكة أيام الحرب ، فإن

كثيراً من السفن تحمل معها قططاً تخلصها من الفئران ، وكان يباح لهذه القطط منذ قديم الأزمان أن تنزل إلى الموانىء فتطوّف ما تطوّف حتى إذا سمعت صفــير السفينة للإقلاع عادت لوقتها . وجاءت الحرب فحرّم هذا الصفير ، وبذلك حبست عشرات من القطط فى الموانىء التى نزلت ترود فى جوانبها.

وليس فى الحيوانات ذوات الثدى مايبدو عليه الارتياح لشمّ الروائح الذكية سـوى البشر والقرود والقطط . ولمـا كنت فى الريف كانت عندى قطتان ، فكانتا تخرجان مع الصباح إلى الحديقة وتطوفان بها تتشممان شـذاها العطر ، وكانت إحداهما إذا بلغت حوض البنفسج انبطحت على بطنها وأخذت تستنشق عطره حتى يُدار بها، وأما الأخرى فكانت تؤثر رائحة الورد . وكان من لعبهما أن تضربا عنق الزهرة فيتمايل يمنة ويسرة ، ومع ذلك فـلم تسقط زهرة قط من جراء هــذا اللعب . وكانت عندى قطة ، فكان من عادتها أن تعمد إلى الزهرية فتستل منها زهرة وتحملها معها إلى مرقدها .

والقطط إذا رأت غريباً وقفت وتشممت ، فإمّا صادقته وإمّا انصرفت عنه تبعاً لماتهديها إليه أنوفها . ولن تجد قطة تألفك وتحبك إلا أن تحمد رائحتك وتأنس بها .

أما شوارب القطط فهى تحس بها الأشياء الغريبة عنها لتعرف كنهها، وباطل ما يزعمون من أن شوارب القطط خلقت لتـدل على قياس بدن القطة ، فهى تقيس بها سـعة المكان حتى تدخل آمنة وتخرج آمنة. ولو كان ذلك كذلك لما رأينا قطة احتبست قطُّ فى جُحر أو أنبوبة من أنابيب المياه . والقطة إذا وقعت على شىء غريب تشممته ثم مدت أطراف شواربها إليه تحسس صفحته، ومرّت على جوانبه جميعاً مترفقة فاحصة إياه أدق فحص .

وبهذه الوسيلة يتسنى للقطط أن تعرف أكثر مما تعرفه بالنظر أو الشمّ أو السمع . ونحن البشر نحاول هذا الضرب من الإدراك عن طريق اللمس بأيدينـا ، فيتاح لنا أن نزداد معرفة بالشىء الغريب عنا بعد لمسه ، سواء أكان جوهرة أم تفاحة أم طفلا .

والقطط يبدى بعضها لبعض عن مكنون حبه بتدانى الوجوه من الوجوه واحتكاكها، مع تماسح الشوارب بعضها ببعض . والقطط تدنو من كل من يلقاها بالمودة وتحك بدنها به ، إذا ظنت عنده طعاماً أو دفئاً تستدفىء فيه ، بيد أنها لاتمسحُ أحداً بشواربها إلاّ إذا كانت تكنّ له أصدق الحبّ .

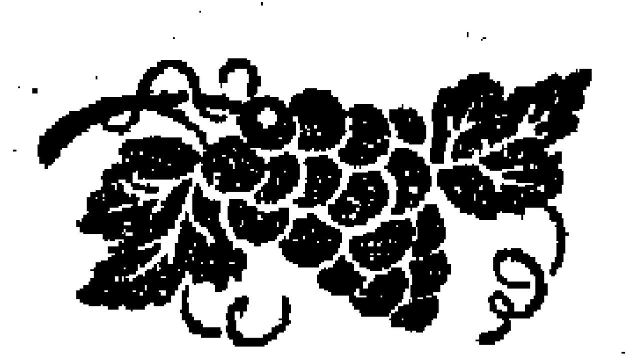
وقد مارست القطط الدُّعابة حتى بلغت فيها مبلغ التهريج ، بيد أنها لا تجعل نفسها أضحوكة قط، بل دأبها أن تتخذ سواها هدفاً

للضحك . وكانت عندى قطة كان يسرها أن تكمن تحت إحدى الموائد حتى تمر بها قطة أخرى غافلة لا يريبها شىء ، فتنقض وتضربها ضربة رابية على عجزها ثم ترتد إلى مخبئها ، فيسوء ذلك القطة الأخرى فلا تدعها حتى تضربها ضرباً مبرحاً ، ولكنها لا تعبأ بذلك شيئاً — فقد أصابت من لذة لهوها ما أرادت.

والقطة إذا اختالت لتلفت الأنظار، فهى تتوقع منك أن تعجب بها لا أن تهزأ منها . وعندى قطة كانت تحب أن تطوق عنقها بقلادة معقودة ، وكلما كانت القلادة أكبر كان أحب إليها ، وتحب أيضاً أن تمشى مختالة على رأسها قبعة صغيرة ذات زهور — ولا تزال تفعل ذلك ما لم يسخر منها أحد ، فما تكاد تلمح بصيصاً من الضحك المكتم حتى تمزق زينتها هذه وتطرحها ، وتنطلق ذاهبة زامحة بإحدى قدميها إظهاراً لامتعاضها مما لقيت .

وقد استيقظت ذات صباح فإذا بى أرى خير أثوابى ملقى على الأرض ، فرفعته فإذا تحته ركام من أوراق صحيفة ممزقة ، ومن تحت ذلك فأر كبير ميت موضوع على صحيفة أخرى لم تمزق . فجثمت قطتى جانباً ترقبنى وأنا أستخرج الفأر ، وفى هيئتها خيلاء ظاهرة كخيلاء الساخر المحنك فى السخرية .

وأنا أتخذ فى بيتى قططاً لأنى أحب صحبتها، وهى تألف العيشة معى لأنها تحب صحبتى . ولو لم يكن ذلك كذلك لهجرتنى وتركت دارى ، فالقطط ليس لأحد عليها سلطان .



كل فتاة بأبيها معجبة

عمد المصور الهزلى ه . ت . وبستر إلى تسلية نفسه فى أحد الأيام فأخذ يرسل برقيات إلى عشرين من معارفه اختار أسماءهم كيفما اتفق ، وكانت كل برقية تحوى كلمة واحدة : « أهنئك » . ولم يكن منهم أحد قد صنع شيئاً يستحق التهنئة ، ولكن كل واحد منهم قبل التهنئة كأنها جاءت فى وقتها ورد على وبستر شاكراً ، فكل منهم قد صنع شيئاً يعده هو جديراً بأن يتلقى عليه برقية تهنئة !

[فرد س . كيلى]

سبعة أسباب لإيمان عالم بالله

أ. كريسي موريسون
الرئيس السابق للأكاديمية العلوم في نيويورك

مقتبسة من كتاب « الإنسان ليس وحيداً »

البشر لا يزالون فى فجر عصر العلم ، وكلما ازداد ضياء العلم سطوعاً جلا لنا شيئاً فشيئاً صنعة خالق مبدع . ففى السنوات التسعين التى مضت منذ عهد داروين، تمت للعلماء مكتشفات هائلة، وبذلك صار التواضع الذى هو شيمة العلماء ، والإيمان القائم على العلم ، يدنوان بنا رويداً رويداً من معرفة الله .

أما أنا فأحصى سبعة أسباب لإيمانى هذا .

« الإنسان ليس وحيداً » كتاب صغير يتحدث فيه مؤلفه عن أدق مشاكل الكون وأعوصها بأسلوب يجعلك تقرأ الكتاب كأنه قصة مغامرة فى دنيا حافلة بالعجائب .

الأول نستطيع بناموس رياضى لا يتبدل أن نقيم الدليل على أن العقل الذى وضع نظام الكون ونفذه عقل مهندس حكيم .

خذ عشرة قروش وارقمها من واحد إلى عشرة ، ثم ضعها فى جيبك ، واخلطها ما استطعت . ثم حاول أن تخرجها من جيبك دون أن تنظر ، بحسب ترتيب أرقامها : الأول أولا والثانى ثانياً وهكذا ، على أن تعيد كل قرش تخرجه إلى جيبك بعد إخراجه ثم تخلطها جميعاً وتخرج القرش الذى يليه . ونحن نعلم أن الاحتمال الرياضى لإخراج القرش الأول أولا هو واحد من عشرة ، ولإخراج القرشين الأول والثانى بهذا الترتيب ، هو واحد من مئة ، وأن الاحتمال الرياضى لإخراج القروش الثلاثة الأولى على التوالى هو واحد من ألف وهكذا . فالاحتمال الرياضى لإخراج القروش العشرة تباعاً من واحد إلى عشرة، يبلغ رقماً لا يصدق ، هو : واحد من عشرة ملايين .

وعلى هذا النمط من التفكير ، نستطيع أن نقول إن الأحوال الدقيقة اللازمة للحياة على الأرض ، تبلغ من الكثرة مبلغاً يجعل تواليها المحكم بالمصادفة أمراً مستحيلا .

فالأرض تدور على محورها بسرعة ألف ميل في الساعة ، فلو كانت سرعة دورانها مئة ميل في الساعة لكان طول النهار والليل عشرة أضعاف طولها الآن ، ولاستطاعت وقدة الشمس أن تحرق نباتنا في النهار الطويل ، ولتجمد في الليل الطويل كل نبت بقي بعد ذلك حيًّا .

ثم إن الشمس التي هي مصدر حياتنا ، تبلغ حرارتها عند سطحها ٦٧٠٠ درجة مئوية ، وقد بلغ بعد أرضنا عنها المبلغ الكافي اللازم لجعل تلك « النار الخالدة » كافية لنا ، لا تزيد ولا تنقص عمَّا نحتاج إليه . ولو كان إشعاع الشمس نصف ما هو عليه لضربنا الجمد ، ولو زاد خمسين في المئة عمَّا هو الآن ، لأنضجت جلودنا الحرارة .

وميل محور الأرض البالغ ٢٣ درجة هو الذي يحدث فصول السنة ، فلو لم يكن ميلهُ هو ما هو ، لتحركت الأبخرة المتصاعدة من سطوح المحيطات نحو الشمال ونحو الجنوب ، ولتكونت منها قارات من الجمد . ولو كان بعد قمرنا ٥٠ ألف ميل بدلا من ٢٨٦ ألف ميل ، لبلغ المد والجزر مبلغاً هائلا يكفي أن يغمر القارات جميعاً بالماء مرتين كل يوم ، ولتفتتت الجبال منذ آماد طويلة . ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي الآن بعشر أقدام ، لما وجدنا في الجوّ أكسجيناً ، وبغير الأكسجين يموت كل حيّ من الحيوان على الأرض . ولو كان المحيط أعمق مما هو الآن ببضع أقدام ، لامتصّ كل الأكسجين وثاني أكسيد الكربون ، ولتعذر نموُّ النبات . ولو كان جوُّ الأرض أرقَّ مما هو ، لتهاوى بعض النيازك على شتى أنحاء الأرض فتضرمت النيران فيها ، بدلا من أن تحترق وتذوب في الجوّ ، وهو ما يحدث الآن .

فهذه الأمثلة وكثير غيرها تحملني على القول بأن احتمال ظهور الحياة على الأرض مصادفة لا يبلغ واحداً من ملايين .

الثاني إن سعة حيلة الحياة في تحقيق أغراضها يدل على تدبير عقل منبث في خلالها جميعاً .

لم يستطع إنسان ما أن يدرك كنه هذه الحياة : فهي لا وزن لها ولا طول ولا عرض ولا كثافة ، ولكنها تنطوي على قوة . فالجذر النامي مثلا يشقُّ الصخر شقاً ، وقد تغلبت الحياة على الماء واليابسة والجوّ ، وسيطرت على العناصر فرضت عليها أن تنحل ثم أن تعيد تركيب مؤلفاتها .

والحياة مثَّال يخلق أشكال جميع الأحياء ، وفنَّان يرسم كل ورقة على كل شجرة ويلون كل زهرة . والحياة موسيقيٌّ قد علمت كل طائر أن يغرد تغاريد الحبّ ، وألهمت

الحشرات أن تدعو بعضها بعضاً بموسيقى أصواتها العجاجة . والحياة هى الكيميائى الأكبر، تمنح الثمار والأفاويه طعمها ومذاقها، والورد عطره ، وتحوّل الماءَ والحمض الكربونيك إلى سكر وخشب ، وتطلق الأكسجين حتى تستطيع الحيوانات أن تتنفس نسمات الحياة .

نظرةً إلى نقطة لا تكاد ترى من البروتوبلاسمة (المادة الحية) ، شفافةً كالهلام، قادرة على الحركة، تستمد الطاقة من الشمس . فهذه الخلية الوحيدة ، هذه القطرة الصغيرة الشفافة التى تبدو كأنها نطفة دقيقة من ضباب، تنطوى ثناياها على جرثومة الحياة ، وتقدر أن تنفث هـذه الحياة فى كل شىء حىّ ، كبيراً كان أو صغيراً . وقدرة هذه النطفة هى أعظم من نباتنا وحيواننا وبشرنا ، لأن الحياة نبتت منها . فالطبيعة لم تخلق الحياة ، أما الصخور التى صهرتها النار ، وأما البحر الذى لا ملح فيه ، فلم يكن فى وسعهما أن يهيئا الأحوال اللازمة لظهور الحياة .

فمن الذى أوجدها فى الأرض ؟

الثالث إن حكمة الحيوان تنطق بلسان لا ترد حجته ، بأن لها خالقاً كريماً بث الغريزة فى حيوانات صغيرة كانت ، لولا هذه الغريزة ، أحياء عاجزة .

إن سمك السلمون الصغير ، يقضى سنوات فى البحر ، ثم يعود إلى نهره ، ويشق طريقه فى النهر على نفس الجانب الذى يصب فيه الجدول الذى ولد فيه . فمن يرجعه إلى مسقط رأسه بمثل هـذه الدقة العجيبة ؟ وإذا نقلته إلى جدول آخر غير جدوله أدرك من فوره أنه ضل طريقه ، فيكافح لكى يعود إلى مجرى النهر الكبير ، ثم ينقلب مواجهاً تياره ويمضى حتى ينتهى إلى غايته على أدق وجه .

أما لغز ثعبان البحر — الأنكليس — فأعسر حلا . فهذه الحيوانات العجيبة ترحل عند بلوغ رشدها، من جميع البرك والأنهار فى كل مكان ، وتعبر مئات وألوفاً من الأميال فى المحيط متجهة إلى الأغوار التى على مقربة من جزائر برمودا ، حيث تلد ثم تموت . أما صغارها التى لا تملك وسيلة تمكنها من أن تعرف شيئاً سوى أنها فى فضاء هائل من الماء ، فتزمع الرحلة سالكة طريقاً ليس يفضى بها إلى الشواطىء التى نزحت منها آباؤها وحسب ، بل تسير أيضاً من تلك السواحل إلى الأنهر والبحيرات والبرك الصغيرة — وكذلك ترى ثعابين البحر موجودة دائماً فى كل ماء . ولست ترى أحداً قد صاد ثعبان بحر أمريكيًّا فى مياه أوربة ، ولا صاد ثعبان بحر أوربيًّا فى أمريكا ، فقد جعلت الطبيعة بلوغ ثعبان

البحر الأوربى ، أبطأ بمقدار سنة كاملة أو أكثر ، لأن رحلته من مكان مولده أطول . فمن أين أتى هذا الحافز الذى يوجه ثعبان البحر ويرشده .

والزنبور يقهر الجُدْجُد، ثم يحفر حفرة صغيرة فى الأرض ، ويلدغ الجدجد حيث ينبغى له أن يلدغه حتى لا يموت ، بل لكى يفقد وعيه ويظل حيًّا يصلح للأكل، فكأنه لحم محفوظ . ثم تضع أنثى الزنابير بيضها فى المكان الصالح حتى إذا انفلقت عن صغار الزنابير استطاعت أن تأكل من الجدجد دون أن تميته : فإن لحم الجدجد الميت يقتلها، ثم تطير الأم وتموت ، فلا تقع عينها على صغارها أبداً . ولا بدّ أن تكون أنثى الزنابير قد أتمت كل هذا على أوفى وجه وأدقه ، منذ المرة الأولى ، وفى كل مرة ، ولو لم تفعل ذلك لما كان فى الدنيا زنابير . ولا يسعنا أن نعلل هذه الأساليب الغامضة بالتكيف والملاءمة ، بل هى هبة ممنوحة .

الرابع فى الإنسان شىء أكثر من غريزة الحيوان — ذلك هو قدرة العقل .

ليس فى آثار الحيوان ما يدلُّ على أن أحداً منها استطاع أن يعد إلى العشرة أو أن يفهم معنى عشرة . وإذا تصورت أن الغريزة لحن واحد على مزمار ، لحن جميل ولكنه محدود ، فإن دماغ البشر يحوى جميع الألحان التى تخرجها جميع آلات الموسيقى فى فرقة كاملة . ولا حاجة بنا إلى التوسع فى هذه المسألة ، فبفضل العقل البشرى نستطيع أن نتأمل فى الرأى القائل بأننا بلغنا ما بلغنا ، لأننا تلقينا قبساً من ذلك العقل الشامل .

الخامس إن تدبير أمر الأحياء جميعاً يتجلى فى ظاهرات ندركها اليوم ، ولكن تشارلز داروين كان لا يدركها — مثل عجائب عوامل الوراثة .

وهذه العوامل تبلغ من الصغر مبلغاً لا تدركه العبارة ، فلو جمعت العوامل التى يرجع إليها جميع البشر الأحياء فى العالم اليوم ووضعتها فى مكان واحد ، لكانت أقل من جوزة صغيرة . بيد أن هذه العوامل التى لا تكشفها عدسة المجهر وصاحباتها الصِّبْغيات (الكروموسومات) ، مستقرة فى كل خلية حية ، وإليها مردُّ أسرار الخواصّ التى يتصف بها جميع البشر والحيوان والنبات . فاعجبْ لخواص ألفى مليون من البشر تحشد فى مكان صغير لا يزيد على حجم الجوزة . غير أن الحقائق شىء لا مراء فيه ، فكيف إذن — كيف تستطيع عوامل الوراثة أن تدخر فى مكان

دقيق الصغر ، وراثة حشود من أسلاف البشر ، وتحفظ على كلّ فرد خصائص نفسه .

هنا يبدأ التطور حقًّا — في الخلية ، في الوحدة التي تنطوي على عوامل الوراثة وتحملها . أما كيف تستطيع بضعة ملايين من الذرات منطـوية في عامل من عوامل الوراثة التي لا يتبينها المجهر ، أن تسيطر على جملة الحياة على ظهر الأرض ، فمثل على الحكمة الخفية والتدبير الدقيق المحكم الذي لا يمكن أن ينبثق إلا من عقل خالق مبدع ، وليس ثمة فرض آخر يصلح لتعليل ذلك .

السادس إن ما نراه في الطبيعة من أساليب التدبير يقسرنا على أن نرى أن حكمة لا حدود لها هي وحدها القادرة على أن تنفذ الغيب وتدبر الأمر بمثل هذه القدرة والرشد.

منذ سنين كثيرة زرع نوع من نبات الصبر في أستراليا ليكون حاجزاً واقياً لبعض المزارع ، ولم يكن لهـذا النبات في أستراليا حشرات معادية له ، فسرعان ما جعل ينمو نموًّا زاخراً ، وظلّ نموّه الزاخر مطرداً على وجه يثير القلق حتى شمل من الأرض رقعة مساحتها كمساحة إنجلترا ، وزحم الناس في المدن والقرى ، ودمر مزارعهم . فأخذ علماء الحشرات يبحثون في وسيلة لمدافعته ، فطوّفوا منقبين في أرجاء الأرض ، فوقعوا أخيراً على حشرة لا تعيش إلا على الصبر ولا تأكل شيئاً غيره ، وهي وافرة النسل ، ولا أعداء لها في أستراليا . وسرعان ما تغلب الحيوان على النبات ، وترى آفة الصبر اليوم قد خفّت وطأتها ، وقل أيضاً عدد هذه الحشرات ، فلم يبق منها سوى ما يكفي للحد من نمو الصبر وحفظه في حدود مقبولة.

وأنت ترى مثل هذه القيود والتدابير ، في أنحاء الخلق أينما قلبت نظرك . فلمَ لم تتمكن الحشرات الوافرة النسل من أن تسيطر على الأرض ؟ لأنه ليس لها رئات كرئات الإنسان ، بل هي تتنفس بوساطة أنابيب ، فإذا ما كبر حجم الحشرة ، ترى أن أنابيب التنفس لا تبلغ حجماً يناسب حجم الحشرة الكبيرة . فلذلك لا تجد في تاريخ الحياة على الأرض حشرة ضخمة . وهذا القيد الذي حد من حجم الحشرات هو الذي حال دون سيطرتها على الأرض ، ولولا ذلك لعجز البشر عن الحياة على ظهر هذه البسيطة . تخيل ما يكون لو كان هناك زنبور بلغ في ضخامته مبلغ الأسد !

السابع إن قدرة الإنسان على أن يتصور فكرة وجود الله ، هي نفسها برهان فذ .

إن تصـور وجود « الله » ينبثق من قدرة علوية في الإنسان ، لا يشاركه فيها سائر الأحياء — هي قدرة التخيل . وبها

يستطيع الإنسان دون غيره من الأحياء ، أن يجد الدليل على أشياء لا يراها . وإن الآفاق التي تفتحها هـذه القدرة أمام عينيه لهي آفاق لا حدود لها . والحقُّ أن تخيل الإنسان ، إذا ما دنا من مراتب الكمال وصار حقيقة روحية ، استطاع أن يتبين به من خلال دلائل النظام والقصد في الكون ، تلك الحقيقة العظيمة : أن قدرة السماء في كل مكان وكل شيء ، وأن الله في كل مكان وعند كل شيء ، ولكنه أدنى ما يكون إلينا في قلوبنا . إن قول صاحب المزامير ، لهو قول صحيح من ناحية العلم ومن ناحية التخيل جميعاً : « السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه » .

الجواب المفحم

كان والد لويد جورج بائعاً متجولا يحمّل ما يبيع على عربة حمراء يجرُّها حمار . وفي سنة ١٩١٧ كان لويد جورج — وقد صار رئيس الوزارة — يطوف في البلاد يخطب أهلها ، وإذا رجل يتصدّى له ويقول : « ومن تكون ؟ ابن بائع متجول . وقد كنت أعرف أباك يوم كان يطوف بالبلاد ومعه حمار مربوط إلى عربة حمراء » . فردّ لويد جورج : « لا شك أنك عرفته . وأنا أذكر الحمار والعربة الحمراء أيضاً . وقد احتفظت بالعربة إكراماً لذكر أبي » ، ثم أشار بإصبعه إلى الرجل الذي تصدّى له وقال : « ولكنني لم أعرف قبل اليوم ماذا كان مصير الحمار » .

[فريد موريل]

كان هنري وارد بيتشر خطيباً مفوّهاً حاضر البديهة ، وكان ذات ليلة يلقي خطبة حماسية فوقف أحدهم يعترضه وجعل يصيح كما يصيح الديك ، وكانت المحاكاة محكمة أتمّ إحكام ، فضحك فريق من الحاضرين ، وخشي أصحاب الخطيب أن يكون ما حدث قد بدّد سحر الخطبة . أما الخطيب فتوقف واستمع لصياح الديك حتى خفت ثم مدّ يده إلى جيبه وأخرج ساعته ونظر فيها نظرة الدهش وقال : « هل تنفّس الصباح ؟ هذه ساعتي تقول إنها العاشرة مساء . ولكن لا ريب في خطأها . فإن غرائز الحيوانات لن تخطىء » .

[هاري هيبنر]

إجازة كلها فائدة للصغار

كارل دتسر

مختصرة من صحيفة "كريستيان سينس مونيتور"

في يوم من أيام الصيف وقف البائع بباب دار في بلدة بارشمنت الصغيرة ، ثم قرعه وخلع قبعته وبقي ينتظر ، ففتحته له ربة البيت فحيّاها وقال لها بأدب : « صباح الخير يامسز سميث . لقد لاحظت أنك في حاجة إلى ستارين من السلك لنافذتين في بيتك ، وفي وسع « شركة الفتيان لصناعة الأثاث » أن تصنعهما لك ، وأن تطليهما وجهين من الطلاء ، وأن تركبهما مقابل ريالين لكل ستار . نعم ياسيدتي ، نحن نضمن مطابقتهما التامة للنافذتين ، فإن « شركة الفتيان لصناعة الأثاث » تضمن كلّ أثاث تصنعه » .

فرضيت مسز سميث أن تأمر بصنع الستارين ، ثم باعها البائع عمودين يمدّ عليهما حبل الثياب المغسولة ، وكرسياً للشرفة . ولكنه لما زار البيت التالي لم يوفق كما وفق في بيت مسز سميث ، بيد أنه لم تكد تنقضي عليه ساعة واحدة منذ بدأ عمله ذلك الصباح ، حتى باع أيضاً قفصاً للطير ولوحاً لكيّ الملابس . فلما عاد إلى مكتبه نحو الظهر ، عاد بأحد عشر طلباً مسجلة في دفتره .

وقد اشتغل هو وبائع زميل له أربع ساعات في ذلك اليوم ، فجنى كلٌّ منهما ١٩ قرشاً من عمله . هذان فتيان في الرابعة عشرة من العمر ، يقضيان إجازة الصيف على وجهٍ مجدٍ ، فهما يفيدان من التجربة ويكسبان من المال ويظفران بقدر من اللهو والتسلية ، ما لا يصيب مثله معظم الفتيان الذين في مثل عمرهما . ولو عدت إلى مصنع « شركة الفتيان لصناعة الأثاث » لوجدت عشرين فتى آخرين ، تتفاوت أعمارهم من ١٢ سنة إلى ١٤ سنة ، يصنعون المصنوعات الرائجة . فهم يتعلمون هناك كيف يستعملون أدوات الصناعة ، وكيف يتفهمون رسوم المهندسين ، وكيف يحسبون حساب النفقات ويديرون عملهم إدارة موفقة .

وأهم من ذلك أنهم ينفقون أيام إجازتهم فيما يجدى بدلا من أن يتسكعوا في الطرق ، فهم يستكشفون في عملهم ما يقتضيه كسب الريال من العمل الشاق ، ويدركون قيمة الوقت وجدوى التعاون .

وفي هذه الإجازة نفسها ، اجتمع أشقاؤهم الذين هم أكبر منهم ، ونظموا هيئة أطلقوا

عليها اسم « شركة أعمال المنزل » ومضوا هم أيضاً يكسبون بعض المال من أعمال أشق من أعمال إخوانهم الصغار . وقد تولوا خلال إجازة الصيف غسل ٢٢٢ سيّارة ، وقطع النجيل فى ٣٢٨ مرجاً ، وأصلحوا الحواجز ونقلوا الحطب واستأصلوا الحشائش من الحدائق وحرثوا أرضها . وكان رئيسهم فتى فى السادسة عشرة ، فجعل همّه أن يدبر لهم ما يعملون ، وكان مديرهم العام يتولى شراء الأدوات التى يحتاجون إليها ، وينظم لهم جداول العمل ويوزع عليهم الأجور . أما سائر فتيان العصبة فكانوا يخرجون كلّ يوم يحملون المكانس والمجارف والمناجل وخرق التنظيف والصقل ، فيعملون خمس ساعات فى اليوم ، ويعودون إلى مقرهم بعد الظهر ، ليتلقوا التعليمات ليومهم التالى .

وكانت فتيات بلدة بارشمنت اللواتى تتفاوت أعمارهنّ بين ١٤ سنة و ١٨ سنة ، يدرن « مخبزاً » ، وقد صنعن وبعن ألوفاً من الفطائر وقطع الكعك والبسكويت ، وكن يعددْن مرةً كلّ أسبوع كل الطعام لمأدبةٍ تقام فى أحد الأندية ، وينظمن حفلات يوزعن فيها المثلوجات التى صنعنها بأيديهن .

وبلدة بارشمنت بلدة صغيرة مهندمة نظيفة الدور يبلغ عدد سكانها ألف نسمة ، وقد نشأت هذه البلدة حول شركة لصناعة الورق الفاخر . ومنذ عشر سنوات سمع جاكوب كندلبرجر ، مؤسس الشركة ورئيس مجلس إدارتها ، بأن عصابات من الفتيان يتسكعون فى الشوارع ، فيرتكبون أحياناً ضروباً من الشرّ والأذى . فدعا نفراً منهم وقال : « ماقولكم فى قليل من المال تكسبونه ؟ » فرحبوا بما قال ، فقال لهم : « حسناً عودوا غداً » . وأرسل من ساعته يستدعى ناظر المدرسة ، فباحثه فى الأمر ووضعا خطة كانت فى أول أمرها تشمل الأولاد الكبار دون الصغار . وعين كندلبرجر ناظر المدرسة مديراً للمشروع وأعطاه مرتب شهرين ، وأمره أن يجعل همه أن يظل الأولاد منشغلين بأعمال تدرُّ عليهم بعض المال وتعلمهم شيئاً نافعاً .

قال كندلبرجر للناظر : « دعهم ينشئوا هيئتهم بأنفسهم ، ويحملوا تبعة كل شىء فيها ، ويضعوا قواعد نظامهم . ولا تلق أنت عليهم النصائح ، ولا تدللهم ، فلن نمنحهم شيئاً بغير مقابل ، فعليهم أن يكدحوا فى سبيله كل قرش ينالونه » .

وقد مضت سنوات منذ أنشئت « شركة أعمال المنزل » ، فوفقت فيما تعمل . والأولاد هم الذين يختارون رئيسها وسائر موظفيها ، ويضعون جداول العمل ، ويتولون ضبط دفاتر الحساب ، ويوزعون الأرباح وفقاً

لساعات العمل التى قضاها كل منهم. ولا يسمح لأحد منهم أن يطلب عملا لنفسه خاصة، أو أن يقبل لنفسه عملا يعرض عليه ، فإذا عرض عليه عمل أحاله إلى المكتب ، فيتولى المشرف على جداول العمل تعيين أصلح فتى للقيام به .

فإذا شكا أحد الناس من أن العمل لم يتم على أوفى وجه ، ذهبت لجنة من الفتيان للاستقصاء، ثم تسمع دفاع الفتى المتهم بالتقصير، فإذا حكمت بأنه مذنب ، فرضت عليه أن يعيد ما عمل مرة أخرى ، أو تأبى أن تدفع له أجره وترد المال إلى رب البيت ، صاحب الشكوى . أما إذا حكمت بأن العمل قد أنجز ولا عيب فيه ، فإنها تعيد المال إلى صاحب الشكوى على كل حال (فالزبون دائماً على حق) ، فإذا عاد صاحب ذلك العنوان يطلب منها أن تعمل له شيئاً اعتذرت له بكثرة العمل وضيق الوقت .

وقد بلغ معدل ما كسبه كل منهم خلال إجازة صيف واحد ، أحد عشر جنيهاً . وقد قدر دخل الفتى الذى دأب على العمل خمس ساعات فى اليوم خمسة أيام فى الأسبوع خلال ثمانية أسابيع ، فبلغ تسعة عشر جنيهاً.

ولم تكد تنقضى سنتان على إنشاء شركة « أعمال المنزل » حتى ذهب الأولاد الصغار إلى كندلبرجر وطلبوا عملا ، فأنشئت « شركة الفتيان لصناعة الأثاث » ، ومافتئت تدار إدارة موفقة حازمة منذ ذلك الحين ، وأعضاؤها ينفقون أربعة أيام فى الأسبوع يصنعون أشياء أو يبيعون ما يصنعه إخوانهم. وقد اتخذوا ورشة التدريب فى مدرسة البلدة مصنعاً لهم ، وعينوا معلماً خبيراً لتدريبهم . أما المواد التى يصنعون منها مايصنعون فهى الحطب الذى تطرحه شركة الورق ، فيشترونه منها بسعر السوق . وهم يصنعون أقفاصاً للطير ومقاعد وسلالم وكراسى وبيوتاً للكلاب وعلباً للأحذية ومشاجب لتعليق الثياب وستائر السلك للأبواب والنوافذ . وقد بلغ صافى دخل الجماعة فى صيف واحد مئة جنيه وتسعة جنيهات . وكان نصيب الفتى الذى لم يعمل سوى بعض الوقت جنيهين ونصف جنيه ، أما الفتى الذى دأب على العمل فكان نصيبه أربعة عشر جنيها .

وأمين صندوق الجماعة فتى فى الثالثة عشرة من العمر ، وقد سئل عن معدل أجر العمل فى الساعة ، فنظر نظرة جد فى دفاتره وقال: « بلغ المعدل ستة قروش وسبعة مليمات ونصف مليم » . فهذه التجربة التى أتيحت له فى إجازة الصيف صرفت ذهنه إلى الاهتمام بدراسة المحاسبة . ومن زملاء هذا الفتى من يريد أن يصير بائعاً أو مهندساً أو غير ذلك .

ولم يكد الصغار يشرعون فى العمل ، حتى ذهبت الفتيات إلى مكتب شركة الورق

فأنشأت لهن « شركة الخبز »، وعينت سيدة مدربة للإشراف والتوجيه . وقد تولت هذه الفتيات فى صيف واحد ، إعداد ثمانين غداء كل أسبوع ، وقد اشترين بأنفسهن مواد الطعام اللازمة وطبخنها وقدمنها ثم غسلن الصحون . وقد صنعن وخبزن ٣٠٠٠ قطعة من الكعك والحلوى ، وأقمن حفلتين وزعن فيهما المثلجات ، فبلغ دخلهن فيهما مئة ريال ، وبلغ نصيب كل منهن فى آخر الإجازة ٢١ ريالا ، يضاف إليها ما تدربن عليه من أساليب الطبخ وإعداد المائدة إعداداً لطيفاً ، وحفظ المطبخ نظيفاً مرتباً ، وحُسن الانتفاع ببقايا اللحم والطعام . وقد تعلمن جميعاً أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، بل لا بد من الكدح فى طلب المال .

ويكاد كل فتى وفتاة فى بلدة بارشمنت يكون عضواً فى إحدى هذه الشركات الثلاث ، أما الذين شبُّوا عن الطوق فقد صار عدد وافر منهم موظفين فى مصانع الورق . وكندلبرجر مزهوٌّ ببراعتهم وسعة حيلتهم وحسن تحملهم للتبعات . فالفتيان الذين أحسنوا بيع أقفاص الطير وعمد حبال الغسيل ، يحسنون بيع الورق . وأما الذين أحسنوا العمل فى المصنع فتراهم اليوم قد صاروا ميكانيكيين حاذقين .

قال كندلبرجر : « وكل هيئة فى كل بلدة تستطيع أن تبدأ حركة كمثل هذه الحركة — سواء أكانت شركة صناعية أم نادياً للرياضة أم فرقة للكشافة » ، ثم أضاف « ولكن ينبغى أن تحرص على شيئين : أولهما نظم شركة، وليكن دفع المال إلى الشركة لا إلى الفرد من أعضائها ، وهذا يعلم الصغير مبادىء العمل التجارى . الثانى هيىء لهم مرشداً ومستشاراً — رجلا يحسن إرشاد الصغار على أن يدعهم وشأنهم فى إدارة جماعتهم . فإذا فعلت فلن تخفق » .



سئل صينىٌّ بعد مأتم : « لِمَ تضعون الطعام على القبر — أتتوقعون أن يبعث الميت فيأكل ؟ » ففكر الصينىُّ هنيهة وقال : « لِمَ تضعون أزهاراً على الميت — أتظنون أنه سيبعث فيشمها ؟ » [مسز آرثر سميث]

أربعة أشهر في بيت معمور

هارلان جاكوبس

مختصرة من مجلة "هاربرز"

[هارلان جاكوبس ليس هو الاسم الحقيقي لكاتب هذه المقالة ، بل هو اسم مستعار لرجل له منصب ممتاز فى إحدى الجامعات الأمريكية ، ويشهد محررو مجلة هاربرز بأن هذه القصة رواية صادقة لتجربة مرت بكاتبها .]

قضيت أربعة أشهر فى بيت معمور ، أو أقل مايقال إنه بيت كان يأتيني بالدليل بعد الدليل على أنه كذلك .

كان منزلا صغيراً منفرداً عند شاطىء ولاية مساشوستس ، بُني منذ تسع سنوات مضت ، بيد أنه بقي خالياً لم يسكنه أحد قط حتى نزلنا فيه لنصطاف . فكنت أنا وهيلين أول من قضى فيه سحابة يوم أوسواد ليلة .

في أول ليلة عجّلت هيلين وآوت إلى فراشها ، وبقيت أنا يقظان عاكفاً على بعض الكتابة . كان فى الطابق الأعلى غرفتان واسعتان للنوم ، بينهما ردهة رحبة . نامت هيلين فى إحدى الغرفتين، وبقيت أنا أكتب فى الغرفة الأخرى. وكانت ليلة دافئة ، ومن أجل ذلك تركنا الأبواب مفتوحة ، وكنت حريصاً ، ولاريب ، على أن لاأحدث حساً ما استطعت ، ولكن لم يمض قليل حتى شعرت أن هيلين قد استيقظت من نومها ، ثم قالت: «أهو أنت الذى كان يحدث هذا النقر؟»

فقلت : « ربما . أهذا الذى تعنين ؟ » وهززت منضدة الكتابة بضع هزات .

قالت : «كلا ! كلا ! لم يكن كهذا الصوت البتة ، فالذى سمعته كان نقراً يخيل إلى أنه آتٍ من قبل مدخل البيت المرصوف ، كأن أحد ينقر البلاط بعصاه . ألم تسمع أنت؟ »

فجعلت أغدو وأروح فى غرفتها وأحدثها ببعض مايكون فى الأحلام ، ولكن فى غير طائل ، ومع ذلك فلم نحمل الأمر محمل الجدّ ، ولم تمض دقائق حتى نسيناه .

وجاءت الليلة التالية وكنا في غرفة الجلوس فى أسفل الدار ، فما قاربت الساعة العاشرة حتى تأدّى إلى سمعنا نقرٌ آت من ناحية المدخل المرصوف — على نحو عشر أقدام من حيث كنت أجلس وسمعنا نحو اثنتى عشرة نقرة بين كل اثنتين منهما قريباً من ثانية، وكانت كأنها وقع عصاً على البلاط ، فصاحت بى هيلين : « هذا الذى سمعته بالأمس » ، وكنت عندئذ قد بادرت إلى

مصباح كشاف اختطفته من على طُنُف الموقد ، وانطلقت قصد الباب ، فما كدت أفتحه حتى سكن النقر ، وبعد لحظة كنت خارج المنزل أُدير المصباح فى أرجاء المكان ولكنى لم أر أحداً — لا أثر من إنسان أو حيوان أو شيء يشقّ سكون هذا الليل.

وظل هذا يتكرر بنفس الطريقة مرات طول الصيف ، ولقد سمعناه خمسين مرة على الأقل، كان مأتاه ليلاً وفى الساعة العاشرة على الأغلب. ولا حاجة بى إلى تفصيل ما كان يحدث كل مرة فقد كان هُوَ هو .

ولاشك فى أننا بذلنا كل ما وسعنا حتى نعرف سر ذلك ، ففحصنا المدخل المرصوف بلاطة بلاطة مرة بعد مرة فى وضح النهار ، وظللت أكثر من عشر ليال حريصاً على أن أتخذ مجلسى على مقربة من الباب عند دنو الساعة العاشرة ، ولكن مايكاد النقر يحدث فأنطلق خارجاً إليه حتى يسكت غير تارك أثراً ينمّ عليه. وأخيراً نفضنا أيدينا من تتبع هذا ، فقد اعترتنا أمورٌ أدهى منه وأغمض .

ينبغى قبل أن أعرض لذكر هذه الأمور أن أذكر عجائب أخرى كثيرة أقل منها شأناً، لأننى حريص على أن أسوق الحوادث بترتيبها . وهذه الحوادث الثلاث التالية قد وقعت لى أنا وحدى ، جاءت فى ثلاث ليال متوالية فى الأسبوع الثانى من سكنانا هذا البيت ، وكان حدوث كل واحدة منها بعد دقيقة أو اثنتين من نومى فى فراشي .

لم أكد أضع رأسى على الوسادة حتى طرق سمعى صوت أشبه بصوت علبة ثقاب هوت على الأرض ، فلو أقسمت بالله أنها علبة ثقاب لما أثمت ، بيد أنى سمعت صوت شيء سقط . ولما لم يكن ثمة سبب لسقوطها، فقد نهضت من فراشى وأضأت المصباح متعجباً مما كان .

لم أجد على الأرض شيئاً ، فنفضت الغرفة كلها بحثاً — تحت الكراسى ، وتحت الصوان ، وفى المقصورة . لم أر شيئاً قط . وإذن فليس ذلك شيئاً قد هوى أو وقع .

أما فى الليلة الثانية فقد سمعت حفيف أوراق صحيفة يعصف بها الهواء مابين جانبى الغرفة ، فكان أيضاً صوتاً أظهر من أن يخطئه السمع ، ولكن لم تكن فى الغرفة صحيفة ، ولا كان فيها نسمة من هواء تحرك شيئاً مثلها ، فلم أدهش حين بادرت إلى التفتيش فلم أجد شيئاً من الصحف فى غرفتى أو فى أى مكان آخر من هذا الطابق .

وأما الليلة الثالثة فجاءتنى بصوت أعنف وأوضح ، فلم أكد أستقر فى فراشى أيضاً حتى كأن كرة قد سقطت على الأرض وأخذت تتدحرج حتى صدمت الحائط ثم سكنت .

فما كذّبت أن وثبت من فراشي وأضـأت النور ، ولكنى لم أر شيئاً على وجه الأرض، ولا وجدت ما يدل على اختلال فى نظام الغرفة أو فيما سواها من الغرف .

وأكبر الظن أنه يهجس الآن فى نفس القارىء أن يقول : « إنها الجرذان! » ، فما من أحد ممن سمع قصتى إلا جرى على لسانه ذكر الفئران أو الجرذان عاجلاً أو آجلاً . ولكنى أبيح لنفسى أن أؤكد له أنى طويل الخبرة بالجرذان وببنات أبيها وبنات أعمامها وعماتها وخالاتها ، وكل ماأرجوه أن ينتظر القارىء حتى يسمع ما هو أدهى وأعظم .

وإنى لأذكر لك ظاهرة ليست بذات شأن ، وإن كانت كثيرة الحـدوث ، قد سمعناها مئـات من المرات فى ذلك الصيف أنا وهيلين ، إما معاً وإما منفردين ، وقد كنا نسمعها ليلاً أو نهاراً فى أية ساعة ، وفى كل غرفة ، بل من عند كل حائط وحاجز ، كانت حاضرة فى كل مكان حتى سميناها تندّراً : « طقطقة الوجود »

وقد حان أن أذكر شـيئاً أشدّ فزعاً ورعباً ، فإذا هجس فى خاطرك أنه وقع أقدام يمشى فى البيت فما أخطأ ظنك ، فقد أخذنا نسمع وقع الأقدام فى كل ناحية من هـذا البيت الصغير ، وبدأ ذلك فى الأسبوع الثالث من مُقامنا فيه ، وظللنا نسمعها فى الحـين بعد الحين طول أيام إقامتنا ، فكنا نسمعها فى ليلة بعينها أو يوم بعينه ثلاث مرات أو أربعاً ، وربما مرّ أسبوع بتمامه لا نسمعها البتـة . ومهما يكن فقد سمعنا فيما أظن أكثر من أربعين مرة فى ذلك الصيـف .

كان وقع الأقدام واضحاً لا يرتاب فيـه . ولا يذهبن بك الخيال إلى أنى إنما أعنى وطئاً خفياً مكتوماً فى ناحية بعيدة من أنحاء البيت، كلا بل هو وطء ظاهر كوطء إنسان فى قدميه حذاء يغدو ويروح على أرض الغرفة التى فوق رؤوسنا ، أو على أرض الغرفة التى تحتنا إذا كنا فى الطابق الأسـفل . وكان وطئاً بيناً كوطء رجل فى تمام رجولته . لم يكن قط وطئـاً مكتوماً ، ومايسمعه عاقل مدرك فيساوره أدنى شك فى أن هذا وطء رجل يمشى فى نواحى البيت .

وسأسوق لك الدليل الصادق فى حادثة من جملة حوادث أستطيع أن أرويها لك . ذلك أنه كان فى هذه الناحية امرأة (اسمها مارى سميث) ، ونشأت بيننا وبينها مودّة دانية حتى ربما رأيناها تدخل علينا دون أن تكلف نفسها عناء الاستئذان . وذات يوم كانت هيلين وحدها تعمل فى الطابق الأعلى، فسمعت وقع خطوات تدخل البيت وتمشى فى أرجائه ، فظنت أنما هى مارى فنادتها ، ولكن مامن مجيب . فانطلقت نازلة ،فانقطع

عندئذ صوت وقع الأقدام ، فما بلغت الطابق الأسفل حتى وجدته خالياً .

وحين حدث هـذا كان عهدنا قد طال بذلك «الشيء» الذى سميناه «عفريتنا» ، ولذلك لم تدهش هيلين أن تجد الغرفة التى سمعت منها وقع الأقدام خالية — لقد ألفت حدوث ذلك مرات كثيرة من قبل. فما زادت على أن غمغمت ببضع كلمات عن العفريت القديم وألاعيبه المعهودة ، ثم عادت إلى ما كانت تعمل ، ولكن ما هو إلا أن سمعت وطء هـذا «الشيء» داخلا ومتجولا فى الغرفة السفلى كما فعل من قبل ، فتسللت عنـدئذ هيلين وهى تسترق الخطى ، فإذا الوطء قد انقطع أيضاً وإذا الغرفة خاوية ، وكرّت هيلين راجعة إلى الطابق الأعلى ثانية بعد أن نفضت أرجاء الفناء بعينها باحثة .

وما كادت تواصل عملها حتى سمعت الوطء ثانية ، وإذا أقدام سائر يجتاز عتبـة الدار ويطوف فى الطابق الأسفل ، بيد أنها بقيت فى هذه المرة حيث هى ، فما فى الدبيب والنزول فائدة تُرجى — لقد بلونا ذلك جميعاً عدة مرات من قبل ، فلم تلق إلى هذا «الشيء» بالا ، ولـكن ماهو إلا لحظـة حتى سمعت من يقول :

« ألا تزالين منهمكة فى العمل ؟ »

إنه صوت مارى سميث بنبراته العـذبة المتهللة . فعندئذ عرفت هيلين أنها لا تـكاد تجد فرقاً بين وقع أقدام ذلك « الشيء » ، ووقع أقدام مارى سميث .

أما أعظم ذلك وأهوله ، فقد كان دوياً يسمع واضحاً من مسافة ميل تقريباً ، وسميناه « تقوُّض البِيان الضخم » إذ لم نجد صوتاً أشبه به من هذا .

كان ذلك فى منتصف الصيف تقريباً ، فقد كنا ليلة فى غرفة الجلوس فسمعنا من قبل الجراج هَدّة صـوت كاد يصم آذاننا ويزلزل البيت زلزالا . كان كالذى تسمعه إذا خارت قوائم بِيان ضخم فخر ساقطاً على الأرض ، ولـكن لم يكن فى البيت كله شيء من الأثاث يظن به أنه يحدث مثل هـذه الضجة إذا هوى ، ولـكننا لم نضع الوقت فى التسـاؤل عن سر هذه الهدّة القاصفـة ، وهرولنا مسرعين إلى المخزن لنرى ما هذه الـكارثة ، وأغلب الظن أننا بلغناه بعد ثلاث ثوان من سماع تلك الهدة .

لم نر فيه شيئاً يريب قلّ أو كثر، وكنا قد وضعنا فيه كتبنا ، فلم نر كتاباً واحداً سقط من فوق رفه ، بل كانت كأتمّ ما تكون . فطفنا بالبيت كله ودرنا حوله، فإذا كل شيء فى مكانه ، وأعجزنا أن نجد سـبباً أو طرفاً من سبب لهذه الهدة القاصفة التى سمعناها .

وقد حدث هذا نفسه مرتين أو ثلاثاً —

وبعد قليل سوف تتبين العلة المحتملة لـكل هــذا .

لم يكن يزورنا طول مدة الصيف سوى ماري سميث ، فقد كان العمل يستغرق كل وقتنـا . حتى إذا جاء شهر سبتمبر جاء ثلاثة من أصدقائنا ليقضوا معنا إجازة الأسبوع ، هم محاميّ الذى كان يعدّ لى صيغة عقد معقد ، ومعه زوجته وابنته ، وهى فى السنة الثانية من الجامعة . وكان هذا الصديق المحامى أشد من أعرف شكاً وعناداً ، أما زوجته وابنته فأبعد شىء عنهما الخوف واضطراب الأعصاب. بيد أنى آثرت أن أحذر صديقى وأنذره ، فجعلت أصبّ على سمعه شطراً عظيما من هذه القصة التى رويتها لك ، فما جنيت شيئاً سوى تعب اللسان ، ولقى قصــتى بالاستخفاف والازدراء . وكان تعقيب هذا الصديق الذى لا يؤمن بشىء سوى العقل : « أما أنا فأسأل الله أن أسمع شيئاً من عجائب خليلك العفريت » .

وفى تلك الليلة خرج النساء جميعاً ليشهدن مسرحيــة يمثلها بعض الهواة ، وبقيت أنا وصديقى فى البيت نجاهد فى وضع صيغة العقد ، فلم نلبث أن استغرقتنا الأرقام المعقدة ، وإذا بطقطقة خافتة آتية من قبل الجدار الذى يلى رأس صديقى . فقال متعجباً : « صاحبتك طقطقة الوجود ! »

قلت : « نعم » .

قال وهو ينظر إلى الجدار : « إنه قرقعة من خشب بدأ يجف ، ولا ريب »

فانصرفت إلى الأرقام وقلت لنفسى : « مهما يحدث فلن ألقي إليه بالا ، وسأمضى فى القراءة ـ وأدعه يفعل به ما يشاء »

وما هو إلا نحو عشرين دقيقة حتى سُمع فوق رؤوسنا وقع الأقدام الذى عهدناه ، وتمالكت نفسي بأقصى ما وسعنى ومضيت أقرأ ، ولم أرفع عينى حتى رأيت صــديقى يهبّ قائماً من كرسيه ويقول : « ويحك ، ماهذا ؟ »

قلت : « لاشىء سوى العفريت » .

قال : « أى عفريت ويلك ! إنه رجل يمشى فوقنا ، هلم معى » .

وماهــو إلا لحظة حتى كنا فى الطابق الأعلى ، ولـكننا لم نر شيئاً ولاريب، وامتلأ قلبي سروراً وأنا أرى هذا الصديق العنيد يبحث عن شىء أنا أعلم أنه غــير واجده . وقد نفض الغرف عاليهـا وسافلها ، وفتش المقاصير وتحسسها ، وركب ســور الشرفة العليــا ووقف على أمشاط أرجله وأدار مصباحه الـكشاف فى نواحى السطح ، حتى بلغ منه اليأس وأقرّ بالعجز .

لم نعمل بعد ذلك شيئاً فى تلك الليلة ، وبقينا نتحدث عن ذلك الشىء حتى جاءت النساء فانصرفنا إلى حديث غيره . وقال لى

محذّراً : « أوثر أن لا تعرف زوجتى وابنتى شيئاً » ، وما هو إلاّ أن قمنا فأوينا إلى مضاجعنا .

كان البيت صغيراً ، فأصر ضيوفنا الثلاثة على أن يناموا معاً فى غرفة واحدة ، الغرفة القريبة من السلم ، فنام الرجل وامرأته على السرير ، ونامت الفتاة على دكة قرب الجدار ، واستولت هيلين على غرفة نومى ، واضطجعت أنا على أريكة فى الطابق الأسفل . ولم يمض قليل حتى سمعت حسّ ضيوفى الثلاثة قد هبوا من نومهم وجلسوا فى الغرفة قليلاً ، وسمعت أيضاً همسهم المكتم ، وانقضت الليلة بعدئذ فى سكون وهدوء .

ولما أصبح الصباح دلتنى النظرة الأولى على أن ضيوفى قد باتوا بشر ليلة .

« ماهذه الهدة العاصفة التى سمعناها ليلة أمس ؟ »

« هدّة ! أية هدّة ؟ »

« تلك الهدة المخيفة التى جاءت حين أوينا إلى مضاجعنا — كأن سقف الجراج قد خرّ وانهار » نظرت إلى هيلين نظرة ملؤها كلام وقلت لها : « أسمعت شيئا ؟ »

قالت : « كلا ماسمعت صوتاً »

قلت : « ولا أنا أيضاً ، حدثونا ماذا سمعتم ؟ »

أخذوا يحدثوننا ، فوصفوا صوت « تقوّض البيان الضخم » أدق وصف ، وكما سمعناه فى ثلاث مرات من قبل ، ولم نسمعه فى هذه المرة الرابعة لعلة لاندرك كنهها . ولو جهدت أن أصف ذلك الصوت لما استطعت أن أقول فى وصفه ماقالوا ، وقد اعترفوا لنا بأنه بلغ من ارتياعهم أن هبّوا من منامهم ، وأخذ الأبوان ابنتهما إلى فراشهما وجعلاها بينهما .

هذه خاتمة قصتى .

وما من أحد سمعها إلا أكثر من ذكر صرير الألواح فى البيوت المصنوعة من الخشب ومن ذكر الفئران وأفعالها . بيد أننا نزلنا البيوت المصنوعة من الخشب ، قديمها وحديثها ، فنحن نعرف أصوات الخشب على اختلافها . ولقد سمعنا مراراً صرير الخشب فى هذا البيت ، ولكن لم نكن لنخلط بينه وبين الأصوات التى وصفتها فى هذه القصة . ولقد عشنا فى بيوت تكثر فيها الفئران ، ونحن نعرف ماذا تفعل الفئران وما أصواتها ، وكان منها فى هذا البيت نفسه عدد جمّ فوضعنا له المصايد وقضينا عليه فى الأسبوع الأول من مقامنا . وقبل كل شىء ، فاعلم أن الفئران لاتدحرج كرة ولا تقوّض بياناً ضخماً ، كما وصفت لك ، ولذلك لا نكاد نسمع قول من يذكر صرير الخشب وصوت الفئران حتى نجاهد أنفسنا لنبتسم ابتسامة ضعيفة .

ويجدر بى أن أذكر أيضاً أننى أنا وزوجتى لسنا ممن يشرح صدره للعفاريت والأشباح ، فنحن قوم من أوساط خلق الله بلغنا سن الكهولة ، ولم نكن قط ممن يؤمن أشفَّ إيمان بطروق العفاريت والأشباح .

ولست أعلم عن « عفريتنا » ذاك حتى اليوم شيئاً أكثر مما أعلمه عما وراء الفلك .

نعم إنى لأحب أن أعلم ، بيد أنى أشك فى إمكان ذلك أعظم شك . وأنا لا أومن بالعفاريت ، وإن كنت أعرف حق المعرفة أننا لم نقف على دليل قاطع ينفى وجودها فى الكون . والذى أعلمه هو أنه كان فى ذلك البيت « كائن » مطلق السراح — ويسرُّنى لو أستطيع أن أعرف ماهو .

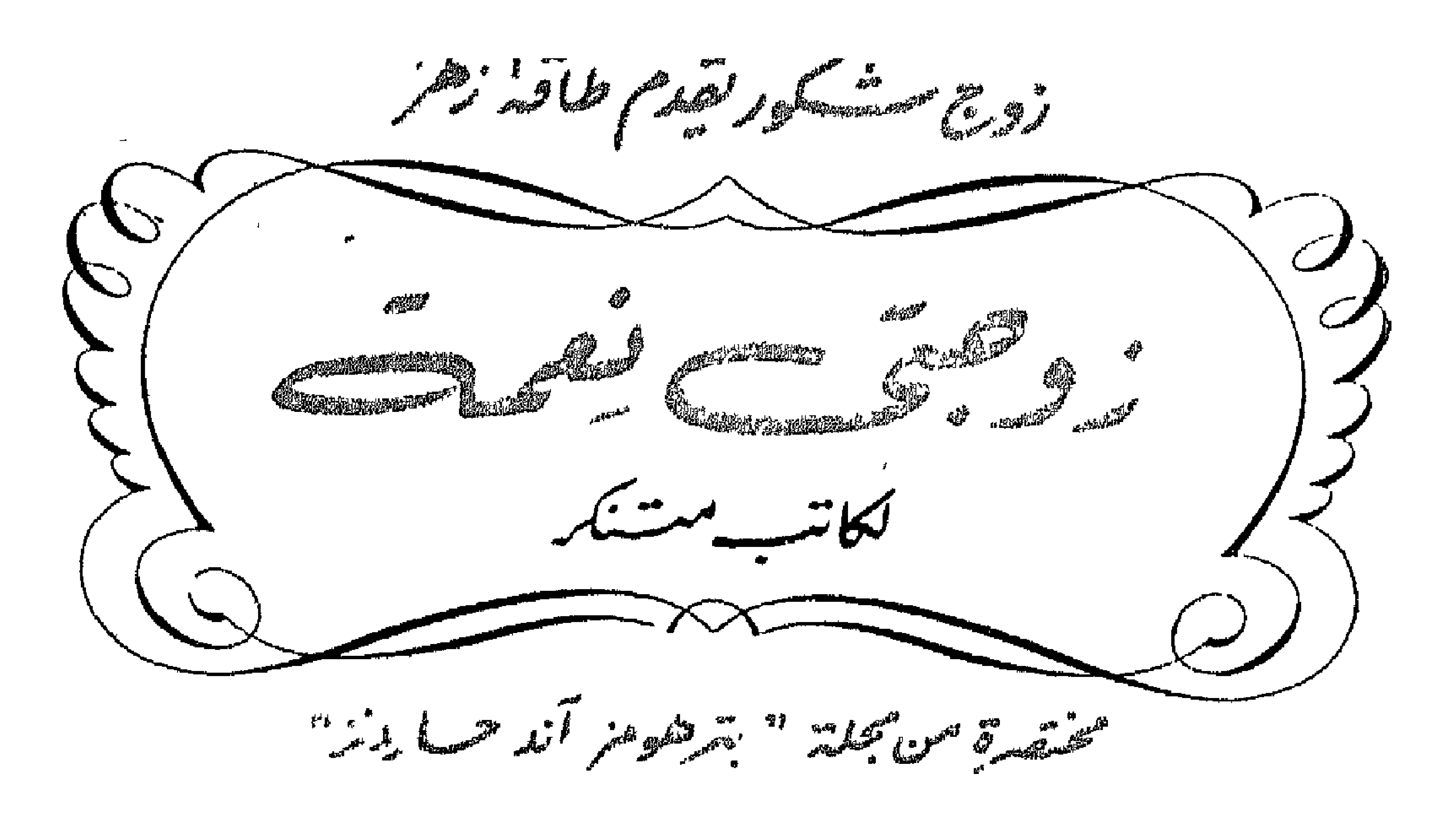
عسى أن يرتد إلى الأعمى بصره

مرجريت ستراب فتاة فى الثامنة والعشرين من عمرها ، وقد جندت للحرب وألحقت بالأسطول ، ومنذ شهر واحد جلست ذات مساء فى دارها تقرأ مجلة ، ثم التفتت إلى أمها وقالت : « كنت أقرأ فى مجلة ريدرز دايجست (المختار سبتمبر ١٩٤٦ ص٧) عن جراحة ترقيع القرنية ، وهى التى تتيح الانتفاع بعين واحد من الناس فتنقل بُضعة منها إلى عين من يحتاج إليها . أفلا ترين أنه يجمل بى أن أوصى بعينى حتى ينتفع بهما بعد وفاتى ؟ ويومئذ يستطيع رجل أقام طول حياته فى الظلام ، أن يرى آيات الله وعجائب الطبيعة ، وكذلك يتاح لى أن أظلَّ حيّة حتى بعد أن أموت » .

فقالت أمها : « أجل يا عزيزتى . يبدو لى أن هذا مستحسن . ولعلك تجدين من يدلك على السبيل إلى هبة عينيك ، بيد أنك صبية فى ميعة شبابها ولا تزال لك فى الحياة فسحة ممتدة » .

ولم يكد ينقضى أسبوعان حتى سقطت مرجريت عن صهوة جوادها وأصيبت بأذى بالغ ، فنقلت على عجل إلى المستشفى ولكن المنية عاجلتها بعد ستة أيام .

وتذكرت أمها ما كانت ابنتها قد قالته عن عينيها ورغبتها فى أن يُنتفع بهما فى ردّ البصر على إنسان من الناس . وفى ذلك اليوم وضع طرد صغير على طائرة ، فلما بلغت الطائرة نيويورك سلم الطرد إلى مستشفى العين والأذن فى تلك المدينة . واليوم ، بعد شهر واحد منذ بدأت هذه القصة ، نجد رجلا كان يعيش فى عالم الظلام قد صار قادراً على أن يرى « آيات الله وعجائب الطبيعة » بعينى مرجريت ستراب . [جورج أوكونور ، فى إذاعة]



دلت إحصاءات الطلاق على أن الزواج قاس على الحب ، وكثير جداً من الزواج الذى لم ينته بالطلاق ، يحتمل على أنه نوع من الأسر ، وهذا مصير نجوت منه بفضل بعض صفات معينة فى زوجتى .

ذلك أن هيلين دائمة البشر ، ومازلت أعود إلى البيت وإليها كل يوم منذ عشر سنوات ، ولكنى ماعدت مرة قط وأنا أخشى أن أرى وجهاً متجهماً أو مكتئباً أو فاتراً ، فأنا دائماً أشبه بعاشق عائد من الحرب ، منّى بكادح فى سبيل الرزق يؤوب من المدينة .

وإذا انكسر قلبى أنعشته حرارتها ، وإذا كان يومها شاقاً فإن سخطها يمتزج به المرح إذ تروى لى كيف كان « مزعجاً » . وقد وضعت ثلاث مرات ، وأجريت لها جراحتان كبيرتان ، فكانت فى كل حال تجعل الأمر يبدو كأنى أنا الذي أعانى ذلك ، فعلبها أن تشجعنى وتطمئننى . وما غام وجهها المشرق قط إلا من الحزن .

وفيها مرونة ،فهى لاتزال تنتعش بسرعة، وعندها أن هناك دائماً غداً يرجى .

وفى هيلين ولاء ، وأنا رجلها وهى أعظم ولاء لى منى لنفسى ، وهى مشجعتى والتى تتولى الدعاية لى ، ومهما يكثر تعثرى وتهافتى فإن رأيها فى قدرتى يظل ثابتاً ـ على الأقل فى الظاهر .

وهى تعتقد أن بنينا الثلاثة من خير الأطفال فى الدنيا وأجدرهم بحسن المستقبل ، وتجعل بالها إلى كل علامة ولو ضئيلة على جودة الصحة أو الحذق ، أو رقة القلب ، وتبدى اغتباطها بذلك فى غير خجل . وهى شديدة عليهم ولكن غايتها هى أن تبرز مافيهم من مزايا ، فهم يستمدون من اطمئنانها ثقتهم بأنفسهم .

وهيلين مسرفة ، لا فى المال بل على نفسها، وليس مما يوافق طبيعتها أن تتولى أمراً أو تدعه

ناقصاً ، فإذا عالجت مسألة فإنها تعالجها بروح قولها الذى لا تفتأ تكرره : « هذه المسألة اللعينة يجب أن تحل حلاً صحيحاً » .

وهيلين تتسامح ، ولم تحاول قط أن تخلقنى خلقاً جديداً، ولما كانت تعتز بشخصيتها فإنها تتقبل شخصيتى بقبول حسن .

ومن أجل هذا لاتشاكس ولا تتعنت ، ولا تزعجنى بأسئلة كهذه : « لماذا لا تفعل هذا ؟ » أو « لماذا بالله تريد أن تفعل كيت وكيت ؟ » ، ولا تحاول أن تسيطر على فى عملى وتسيرنى فيه ، أو تصف لى ملاهىّ ، أو تختار لى أصدقائى، أو تقود السيارة وهى على المقعد الخلفى .

وهى لا تتدخل فيما لايعنيها أو تتجسس ، وإذا رأتنى زاهداً فى الكلام فإنها لا تحاول جرّى إليه ، فإن فى وسعها أن تنتظر . وليست من الزوجات المطالبات بتقديم تقرير يومى عن المكان الذى كان فيه أزواجهم، ولماذا، ومتى ، ومع من كانوا . وهى أحسن الناس إصغاء ، ولكنها من أزهد الناس فى التساؤل والبحث ، وهى لاتفتح بريدى ، ولا تصر على قراءة الرسائل التى أكتبها ، ولا تدس يدها فى جيوبى وتأخذ مافيها .

حتى المال لا تزعجنى من أجله ، وليس السبب أنه وفير ، ولكنى لست مطالباً ببيان ما أنفقت فيه القروش ، ولاهى مطالبة بهذا ، فأنا أعطيها قدراً من المال كل أسبوع وأحتفظ لنفسى بقدر آخر ، فتؤدى هى كل نفقات البيت والثياب والسيارة ، وتفعل ماتشاء عابق ، وأنا أؤدى أقساط التأمين والضرائب وتكاليف العلاج ، وما زاد أنفقه أو أدخره كما أشاء . وأنا أعلم أن هذا الترتيب الذى جرينا عليه عفواً ، لا يتفق وخير مايشير به النصحاء ، ولكنه يلائمنا .

وليست هيلين بآية من آيات الكمال ، فإن لها خصالها وخصائصها ، وقد يكون بعضها مزعجاً ، ولكنى لاأرى أن أقمع هذه الخصائص ، لأنها هى التى تكسبها شخصيتها الخاصة . وهى تمقت الذباب والبعوض ، وتراها وهى فى بيوت الناس تثب لتقضى عليه . ولها ولوع بالتعميم الأعرج ، مثال ذلك : إذا أمطرت السماء ثلاث مرات فى شهر سبتمبر ، فهى تقول إنها « هطلت باستمرار طول الشهر » . وتكره إعداد الحقائب صغارها وكبارها ، وترتيب أدراج الخزانة ، فالأمر فى هذه فوضى . وهى تحب أن تمضغ اللبان .

وهى مسلية لأنها هى نفسها متسلية ، والحياة تسرها وتروعها ، فتتلقى ما يولده هذا من الإحساسات ، ويبدو دائماً كأن فى نفسها إبريقاً فائراً بهمسات الدهشة والضحك. وفى وسعك أن تتبين أن عقلها يبدى

ملاحظات لنفسه حتى حين تصمت . ولها أساوب فى الإصغاء إلى مايقصه الغير فى الأمور العادية ، فيخيل إليك أنها تصغى لروايات شهود عيان عن الهجوم على بيرل هاربر .

ولما كان اهتمامها بالغاً بما يدور حولها ، فإنها لا تستطيع أن تجعل بالها إلى نفسها . وقد خلت من ذلك الشعور بالذات الذى يورث كثيراً من النساء الاضطراب ،فتراهن يسوين شعرهن على عيون الناس ، ولايزلن معنيات بثيابهن ، والنظر فى مراياهن الصغيرة ، وصبغ شفاههن . ذلك أن مسرحية العيش ، والضحك ، والألم ، والنظر ، والإحساس ، والتذكر ،والاهتداء ، والخلق والإنشاء ، والحب — كل هذا يستغرقها . والزواج فى نظرها لايضجر ، وقد يتطلب جهداً كبيراً ولكن هذه المسألة اللعينة يجب أن تحل على الوجه الصحيح !

ولكنها ، وهى تجاهد لجعل الزواج موفقاً ، أبعد ما يمكن أن تكون عن ذلك الضرب المستوحش من النساء اللواتى يُهلكن بعولتهن وبنيهن من فرط لهفتهن على الاستيلاء عليهم . فأنا لست سجينها ، وهى ليست سجّانى .

وماذا كانت النتيجة ؟

النتيجة العجيبة ياسيداتى ، سخرية ما كرة حلوة ! فإن هيلين باتقائها أن تحدّ من حريتى أو تغير أساوب حياتى ، قد ضمنت أن أكون عبدها المخلص ، لأنها لم تستثر بالنقار أو التقييد أو التعذيب شيطان السخط العنيد الذى يدفع الإنسان إلى الرفس والمقاومة ، ليثبت استقلاله وليمتحن قوة كيانه . فأنا لا أحب أن أخرج من هذا السجن الذى لاقضبان له . ووثاقى فيه: المروءة ، والشكر ، والولاء، والثقة. أما الخوف فلا وجود له أبداً.

OO·OO··OO·OO

جلست فى مكتب مصنع صغير ولكنه كخلية النمل أتحدث إلى صاحبه الشاب ، وكان على مكتبه صورة رجل مطبق الشفتين صارمهما ، ضيق العينين حادهما ، وكانت فى إطار بسيط ، فسألته « هذا أبوك ؟ » فقال الشاب : « كلا ، ولكنه الرجل الذى أنا مدين له بنجاحى » . فرفعت حاجبى ، فضحك وقال : « هذا أنذل رجل أعرفه ، وكنت أعمل له ، ولهذا أحتفظ بصورته لتذكرنى بأنى إذا ارتكبت أخطاء أو كسلت وتهاونت ، فسأعود إلى العمل له ، وقد يدهشك أن تعلم إلى أى حد يستحثنى هذا وينشطنى » .

[جون توماس إروين فى مجلة كورونت]

كلمات يُهتدَى بها

"العمر أقصر من أن يحتمل الإسفاف"

أنـدريـه مـوروا

مختصرة من مجـلـة " ذسـس ويك "

هذه إحدى الكلمات التى أتمثل بها ، وهى أحبها إلىّ ، وقائلها هو دزرائيلى ، وقد نفّست عنى فى كثير من ساعات المحن الأليمة . ونحن كثيراً ما نتهاون فندع نفوسنا تضطرب من جراء أشياء تافهة كان ينبغى أن نحتقرها وننساها . فربما أسدى أحدنا إلى رَجُل معونة فكفرها ولم يشكرها ... وربما ظن بامرأة أنها له صديقة فإذا هى تغتابه وتذكره بالسوء ... أو ربما رأى أحدنا أنه مستحق لجزاء حسن ، فإذا به يحرم ما يستحق ، وإذا الذى لقيه من خيبة الأمل قد استبد به استبداداً يثبطه عن عمله ويُطير عن عينيه الكرى . ولكن أليست هذه حماقة ؟ فنحن إنما خلقنا على هذه الأرض لنقضى فيها أعواماً تطول أو تقصر ، فإذا بنا نستهلك ساعات لا تعوّض فى الأسى والحزن على أشياء لا نلبث قليلا حتى ننساها وينساها الناس . وإذن فينبغى لنا أن نصرف أيام حياتنا إلى كل شىء له قيمة من عمل أو شعور ، وإلى أفكار سامية وعواطف صادقة وأعمالٍ باقية — فإن العمر أقصر من أن يحتمل الإسفاف .

المجرب العظيم

فرانسيز بركنز
وزيرة العمل فى رئاسة فرنكلين روزفلت

مختصرة من مجلة "كوليرز"

ما يعرفه فرنكلين روزفلت عن أصول الاقتصاد المجرّدة شيئاً قليلا ، وكان ينظر فى جميع المشكلات الاقتصادية فيردّها إلى أبسط صورها التى يتمثلها فى حياة الناس . فلما كان حاكما لولاية نيويورك وبدأ يعنى بمشكلة الأزمة الاقتصادية ، استمع إلى مناقشات نظرية كثيرة فى شئون الاقتصاد ، ولكن لم يشعر أنه أدرك حقيقة الرأى النظرى إلا يوم رأى قرب بيته مصنعاً يصنع قمصان الصوف ، ويتيح عملا لمئة وخمسين من الناس . فتحدّث روزفلت مع صاحب المصنع الذى بلغ منه اليأس ، وتحدث مع العمال الذين أفزعتهم الأزمة وشتتت عقولهم . وكذلك وقف على المشكلة من ناحيتها الاقتصادية وناحيتها الإنسانية فى وقت واحد ، فصار إذا ما عرضت خطة من الخطط سأل نفسه : كيف تطبق تلك الخطة على مصنع قمصان الصوف ؟ فيعرف أهى خطة صالحة مجدية أو لا .

كان هذا المصنع يصنع قبل الأزمة قمصاناً جيدة من الصوف للسيدات ، فكان القميص يباع بتسعة ريالات أو عشرة ريالات ، وكان المصنع فى قرية صغيرة ، وكان العمال ينالون أجوراً حسنة تمهد لهم أن يعيشوا عيشة يُسْر فى جماعتهم ، وكان العمل ثابتاً أو يكاد يكون ثابتاً ، لأن سوق هذه القمصان كانت سوقاً غير مضطربة .

ثم جاءت الأزمة ، فبدأ تجار الجملة يقلّلون ما يطلبونه منها ، وصار لزاماً على صاحب المصنع أن يكف عن العمل فى الفترات بين إنجاز مطالب التجار ، فيتعطل نحو نصف عماله عن العمل . وكان العمال أصدقاءه ، فتوسلوا إليه أن يصنع شيئاً من أجلهم ، فلما اشتد به اليأس ذهب إلى المدينة ، وقابل تجار الجملة والسماسرة فوجدهم مضطربين كاضطرابه ، فلا بد لهم من أن يبيعوا إذا أرادوا أن يظلوا تجاراً .

وأخيراً وجد سمساراً فقال : « عندنا طلب بخمسة آلاف قميص صوف نشترى القميص الواحد منها بريالين . أتستطيع أن تقبل هذا الطلب ؟

فصعق صاحب المصنع من الدهشة وقال :

« أنت أعلم منى بأن هـذا السعر لايكاد يقرب من التكاليف » .

فقال السمسار : « أنا أعلم ذلك، ويؤلمنى أن أقولها ، ولـكن خفض أجور عمالك تخفيضاً كبيراً ، وزد ساعات العمـل ، واستعمل صوفاً غير جيد ، فيصير فى وسعك أن تصنعها بهذا السعر » .

فعاد صاحب المصنع إلى قريتـه ، ودعا عمـاله إلى اجتماع وعرض عليهم الرأى . وقال إنه مستعد للنزول عن كل ربح ، وأنهم إذا قبلوا فأمامهم عمل يستغرق بضعة أسابيع بأجور يستنكف أن يجرى ذكرها على لسانه ، وطلب منهم أن يعملوا حساب الأجـور التى ينالونها إذا بيع القميص بريالين . وروى لهم أن السمسار قال له إن هناك متجرين آخرين يشتريان مثل هـذه القمصان إن هو استطاع أن يصنعها ويبيع الواحد منها بريالين . فقال العمال إنهم يقبلون ما عرض عليهم ، لأنه لامناص لهم من عمل يعملونه .

فلما رأى روزفلت ذلك المصنع كان العمال منصرفين إلى صنع هـذه القمصان بأجور لاتزيد عن خمسة ريالات فى الأسبوع ، وأما صاحب المصنع فكان لايجنى شيئاً من الفائدة على رأس المال . فأدرك روزفلت يومئذ على أوضح صورة وأجلاها شدة اليأس التى قد تستبد بالناس . وما تراه فى برنامجه يوم صار رئيسا للولايات المتحدة من بصيرة نافذة وعطف جميل ، يرجع أعظم فضله إلى تلك الصورة الجامعة التى قامت فى ذهنه بعد التجربة التى مرت به فى ذلك المصنع . فقد صارت المشكلة البارزة التى تواجهه أن يعود بالأجور إلى المستوى الذى يمكن الناس من أن يشتروا بعض ما يحتاجون إليه ، وأن يرد الأسعار إلى المستوى الذى يمـكن الصانع والتاجر من أن يجنى بعض الربح من ماله ومجهوده .

وقد كان روزفلت لا يستنكف أن يجرّب التجارب ـــ فى السياسة والاقتصاد جميعاً ، ولـكنه لم يكن رجلا متطرفاً . وقد سأله أحد الصحفيين مرة : « أشيوعى أنت يامستر روزفلت ؟ »

فقال : « لا » .

فقال الصحفى : « أفرأسمالىٌّ أنت ؟ »

فقال : « لا » .

فقال الصحفى : « أفاشتراكى أنت ؟ »

فقال : « لا » .

فقال الصحفى الشاب : « إذن فما هى أصول فلسفتك ؟ »

فقال روزفلت مدهوشاً : « فلسفة ؟ أنا رجل أومن بالله ثم بالديمقراطية ـــ وكفى » .

وهذه الـكلمات تعبر فيما أرى عن مدى

تطرف روزفلت فى شئون السياسة والاقتصاد.

وقد كان لايؤمن بأن خير نظام هو النظام الذى تلغى فيه أصول الملكية الفردية لأسباب الإنتاج حتى تحل محلها ملكية الشعب أو الحكومة لتلك الأسباب . وقد كان روزفلت يسلّم بقيام الحالة الراهنة فى النظام الاقتصادى الأمريكى كتسليمه بوجود أسرته . وقد كان يرى أن هذا النظام ينبغى أن يكون مشرباً بالإنسانية والإنصاف ، وأنه ينبغى أن يدخل عليه من التعديل ما يدفع عن الناس ألم الفاقة والإهمال .

وكان يعتقد أن الأعمال التجارية خليقة أن تكون فناً جميلا ، وأن فى وسع الناس أن يمارسوها على قواعد الأخلاق . وكان يرى أن هذا هو المحك ، فينبغى أن يتوخى رجال الأعمال فى صناعتهم وتجارتهم خير الجماعة فيما يتوخونه . وكان يأبى أن يسلم بأن الغرض الوحيد من الصناعة والتجارة هو أن تكسب المال كسباً مطرداً . وكان يرى أن أهل الصناعة والتجارة ينبغى أن يصنعوا البضائع ويوزعوها على وجه يكفل لهم دخلا يكفيهم أن يعيشوا عيشة ميسرة ، ويوفروا من المال مايثمرونه فى أعمال أخرى منتجة .

لم يكن روزفلت يتوهّم أن برنامج « التوزيع الجديد » طلع على أمريكا بدواء شافٍ لعللها الاقتصادية ، وكان يدرك أن قوانينه إنما كانت وسائل توسَّل بها لفترة عابرة . وقد قال مرة فى اجتماع عقدته الوزارة عن اقتراح عرض عليها لزيادة ماينفق على المنشآت العامة : « لابد لنا من ذلك ، وينبغى أن نصنع الآن ما فى طاقتنا ، فكأنك تضع كل شىء تملكه فى ثقب فى سدّ لتمنع الفيضان . ينبغى أن نصنع الآن مافى طاقتنا فقد كاد الوقت يسبقنا » . وقال مرة أخرى: « ينبغى لنا أن نصنع خير ما فى وسعنا أن نصنعه الآن ، فإذا لم نوفق فيه عدَّلناه عند تطبيقه » .

وقد طغا على تفكير روزفلت فى أثناء وصفه لبرنامج التوزيع الجديد شعوره بأنك لن تجد رأياً حاسما لا يتبدّل فيما يقضى به العقل البشرى من قضاء . وإذن فعلى المرء أن يقدم على العمل الذى يبدو له اليوم عملا صالحا ، مادام يدخل فى وسعه أن يعدله غداً إذا تبين أنه عمل قد أخطأه التوفيق » .



ليست الشيخوخة سوى عادة كريهة لا يجد الرجل العامل وقتاً لاعتيادها .

[أندريه موروا]

شجاعة صامتة

لما ذهبت تيرى كولانجيلو الحسناء السوداء العينين إلى جريدة شيكاغو ديلى تايمز منذ ثلاثة أعوام لتتدرب فيها على استقاء الأخبار ، كان مما أوصاها به كارين والش محرر القسم الداخلى ، قوله : « اقرئى كل حرف فى التايمز كل يوم » .

ففعلت . وفى عصر اليوم العاشر من أكتوبر ١٩٤٤ وقعت على قصة العام بمدينة شيكاغو مختزلة فى ثلاثة سطور بالحرف الدقيق فى باب الإعلانات المبوبة ، فأحاطت الإعلان الوجيز بخط أسود ووضعته على مكتب والش :

« ٥٠٠٠ ريال مكافأة لمن يرشد إلى قتلة الضابط لندى فى ٩ من أكتوبر ١٩٣٢ تليفون ١٧٥٨ بين الساعة ١٢و٧ مساء »

وقالت : « قد يكون وراءه قصة » .

فوافق والش ودعا إليه المخبر ماك جواير الذى كان فيما مضى مخبراً سرياً ، والذى استطاع أن يكشف للتايمز عن أسرار جرائم عويصة . وقال له والش : « ابحث وبين لى ما هى هذه الحكاية ؟ »

فانطلق ماك جواير يعمل ، وما لبث أن عاد يقول : « هذا إعلان من امرأة تدعى تيللى ماجيك ، وقد أدين ابنها جو فى مقتل هذا الشرطى منذ أحد عشر عاما ، وهو الآن فى سجن جوليت وقد حكم عليه بالسجن ٩٩ عاما »

فقال والش : « ابحث عن المصدر الذى جاءت منه المرأة بخمسة آلاف ريال ، فقد تكون هناك قصة مثيرة » .

وقد صح ظنه ، وما هى إلا أسابيع قليلة حتى كانت شيكاغو كلها تلغط بها .

لما قصد المخبر ماك جواير إلى منزل تيللى فى عصر ذلك اليوم من أكتوبر ، وجدها فى مطبخ بيتها الصغير الزرى فى ذلك الحى الكثير الدخان الواقع خلف زرائب الماشية فى شيكاغو ،

فقال لها : « أنا مندوب التايمز ، وقد جئت من أجل إعلانك » .

كانت امرأة قصيرة نحيلة متينة العضلات، وقد جرت خطوط من البياض في شعرها الفاحم ، وقد استبانت السن في بروز عظام وجهها السلافي ، وفي انحناء ظهرها من العمل الشاق ولا شك .

فقالت له اجلس ، وجلست إلى مائدة المطبخ أمامه ، وشرعت تتكلم ببطء باحثة عن الألفاظ الإنجليزية .

وقالت: «جو فتى طيب، لم يقتل أحداً» .

فسألها ماك جواير هل عندها أي دليل، فقالت إنه لادليل عندها غير ماأبى المحلفون أن يأخذوا به في المحاكمة. وهذا هوالسبب في نشر إعلانها ــ لتهتدي إلى من قتل الشرطي لندي، وبهذا تثبت أن ابنها جو لم يكن مجرماً ، وهي مستعدة أن تدفع خمسة آلاف ريال في سبيل إظهار الحق .

فسألها ماك جواير: « وكيف جمعت هذا المال ؟ »

فقالت تيللي : «من مسح البلاط في مبنى مكاتب بالمدينة ، أفعل ذلك ليلا منذ أحد عشر عاما ــ منذ ذهب ابني جو » .

وقالت إن زوجها يعمل في الزرائب ، وكثيرا ما يتبطل ، فأيقنت أنها لا تستطيع أن تعتمد على ما يقبض من أجور لا بتياع الحقيقة التي تطلق سراح جو ، ولهذا قبلت العمل الوحيد الذي استطاعت أن تجده . وهي تعمل ثماني ساعات في الليل ، وست ليالٍ في الأسبوع ، على يديها وركبتيها ، وتمسح البلاط في هذا المبنى ، وما زالت تواصل المسح منذ أحد عشر عاماً ، أي ٣٥٠٠ ليلة مضنية ــ على فدادين من الرخام، وفي أوقيانوسات من الماء المرغي المزبد . وكانت أعواماً كلها آلام ظهر وأوجاع رأس، غير أن شجاعتها لم تخنها قط . وقد احتاجت إلى مسح كثير مرهق بمعدل ثمانية قروش ونصف للساعة ليتسنى لها أن تدخر ٥٠٠٠ ريال ، ولكن المال صار في يدها الآن .

فسألها ماك جواير : « هل ردّ أحد على إعلانك ؟ »

فهزت تيللي رأسها وقالت إنها جربته من قبل نشر إعلان بمكافأة قدرها ٣٥٠٠ ريال فلم يرد عليها أحد ، وأنها وجدت أن العدل خليق أن يكون ترفاً غالياً .

وعاد ماك جواير إلى مكتبه وقص على والش ماوقف عليه ، وقال : إن هذا خليق أن يكون موضوعاً حسناً للجريدة، فوافقه والش ، ولكن القصة مازالت ناقصة .

وسأل: «أتظن أن الفتى كان بريئاً حقا؟»،

فقال ماك جواير: «هذا ما أتساءل عنه ــ أما المرأة العجوز فإنها واثقة أنه بريء » ــ

فقال والش : « يحسن أن تتحرى هذا الأمر ، وإذا كان الشاب قد ظلم فلنعمل على إطلاق سراحه » .

وظل ماك جواير ومعه مخبر آخر من الجريدة اسمه ماك فول ينقبان عن البينات المطوية ، ويبحثان فى المدينة وبين الناس عن شهود فى هذه الجريمة التى نسيت منذ زمان طويل ، وكان عليهما أن يتغلبا على مناورات السياسيين الذين لايريدون إحياء ماطوى من هذه القصة .

وفى أثناء ذلك كانت تيللى تواصل المسح ، وفى كل أسبوع تودع البنك ١٦ ريالا و ٨ قروش . وبينما كانت هى تمسح كان ماك جواير وماك فول يبحثان عن الحقائق والتايمز تنشرها .

بدأت هذه القصة الأليمة فى عصر اليوم التاسع من ديسمبر ١٩٣٢ ، وكان الحى الأجنبى الواقع خلف المخازن غاصا بالحانات وكانت إحداها فى سوث أشلاند أفنيو ، تديرها شقراء نصف شعثاء اسمها ڤيرا . وفى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين من عصر ذلك اليوم دخل الشرطى وليم د. لندى بعد انتهاء عمله ، هذه الحانة التى تدار بغير ترخيص ، وطلب كأساً ، فقدمتها له ڤيرا . وكان هناك زبون آخر فى هذه الحانة المنعزلة القذرة ، فدخل لندى مع هذا الزبون فى حديث عن ڤيرا وحماقتها ، إذ تضع عدة آلاف من الريالات فى صندوق عندها ، وكل من فى الحى يعرفون أن هذا المال هنا . وسيجىء يوم ...

وفى هذه اللحظة دخل الغرفة رجلان طويلان وفى أيديهما المسدسات ، فارتاعا إذ وجدا فيها شرطياً . وكان لندى يرتدى معطفه ، فمن الصعب أن تصل يده إلى مسدسه . وبينما كان يدس يده ليخرجه أطلق الرجلان عليه الرصاص وفرا وتركاه فى النزع ..

حدث هذا فى العام السابق لافتتاح معرض شيكاغو العالمى ، وثقل على المحافظ أنطون سرماك سوء سمعة المدينة فأمر بتطهيرها . فانطلق رجال الأمن يفتشون الحى الواقع خلف الزرائب فى عصر ذلك اليوم ، وغصت الشوارع بالمخبرين السريين يبحثون عن الأشقياء المعروفين ، ويستجوبون كل الشهود .

وفى ذلك اليوم كان جو بن تيللى — وهو عامل عند ميكانيكى — فى بيته على مسافة ميل من حانة ڤيرا السرية . ولم يذهب إلى عمله لأن زوجته هيلين جاءها المخاض ، فقام أولا بأعمال البيت بدلا منها . وفى الساعة الثالثة جاء ينقل الفحم إلى حيث

بحزنه . وقد شهد ثلاثة من الجيران بهذا في المحاكمة .

ولكن جو وزوجته ارتكبا غلطة واحدة ، وكانا لايعلمان شيئا عن حادثة القتل وعن بحث الشرطة . فلما أقبل عليهما في تلك الليلة أحد المعارف القدماء ، وقال إنه واقع في « ورطة » سمحا له بقضاء الليلة عندهما ، وزادا فأخبرا الجيران أن الرجل بات عندهما — فأخبر بعض الجيران الشرطة .

وكان جو لا تنطبق عليه أوصاف القاتلين ، فقد كان أدق جسما وأنحف ، وشهد اثنان أبصرا القاتلين الهاربين بأنهما واثقان أنه لم يكن أحدهما ، وشهدت ڤيرا أيضاً بأنه ليس أحدهما ، ولكنها بعد حديث خاص مع الشرطة غيرت أقوالها وقالت إن جو أحد القاتلين . وكانت هي الوحيدة التي شهدت بذلك في المحكمة .

فلم يقتنع القاضي الذي نظر القضية ، واستدعى كل واحد من الشهود مرة أخرى واستجوبه ، وتبين ماك جواير أن القاضي بعد الحكم على جو قال لأسرته إنه مقتنع بأن ظلماً صارخاً قد ارتكب . وقد أقلقه ذلك ، فاعتزم أن يصلح الخطأ ، ولكنه مات قبل أن تتاح فرصة لإعادة النظر في القضية . فنسيت شيكاغو أمر جو ، وكانت زوجة جو تحمل طفلها وتزور جو في سجنه ، وكانت تيللي تزوره أيضا ، وحاولت تيللي أن تحيي الأمل في نفس جو ، فقالت له إن كل شيء سيكون على مايرام متى ادخرت ما يكفي من المال . وكان جو يعمل في السجن ، ويتعلم إمساك الدفاتر والاختزال .

وبعد خمسة أعوام أقبلت زوجة جو عليه لتزوره وكانت وحدها وقالت له : « إني أعلم أنك بريء ، ولكنك لن تبرح هذا المكان أبداً ، وابننا يحتاج إلى أب له في البيت ، وقد طلب مني بعضهم أن أتزوجه ، ولهذا سأستصدر حكما بالطلاق » .

ولم ترض تيللي عن هذا ، فقد كان حسب جو مايعاني ، ولم يكن ينقصه أن تزيد هيلين حياته مشقة ، غير أن تيللي لم تقل شيئا ، واكتفت بأن تواصل مسح البلاط .

وعكف محررو التايمز على محاضر المحكمة ، وراجعوا سيرة كل الشهود وفحصوا أخلاقهم ، ووجدوا وثائق عامة اعتقدوا أن الشرطة ورجال مكتب المدعي العام بالولاية يحاولون إخفاءها ، واتصلوا بأعضاء هيئة المحلفين الذين أدانوا جو . فقرر أربعة منهم كتابة ، وبعد حلف اليمين ، أنهم ما كانوا ليدينوا جو لو أن البينات الجديدة التي ظهرت كانت عرضت أثناء المحاكمة . وكان جيران جو قد ساءهم أن المدعي المتلهف على إدانة

المتهم قد طرح شهادتهم جانبا ، فكانوا من جراء هذا مستعدين أن يقولوا الحق مرة أخرى كما عرفوه .

واستعانت التايمز بليونارد كيلر مخترع الجهاز الذى يفضح الكذب ليحمل جهازه إلى السجن ويختبر جو . فعاد كيلر يقرر : « إن الرجل يقول الحق » .

ثم وكلت التايمز محامياً درس كل الحقائق التى جمعها المخبرون بعد جهدوعناء، وكانت هذه الحقائق مقنعة ، حتى أن مكتب العفو بالولاية قام بتحقيق شامل ثم أوصى الحاكم بإطلاق سراح جو فوراً .

وفى ١٥ من أغسطس ١٩٤٥ خرج جو من بوابة سجن جوليت، وكانت تيللى إلى جانب السور الحجرى العالى فطوقته بذراعيها، ولم تذرف دمعاً ، أليس جو قد صار حراً ؟

وحمل ماك جواير جو وتيللى فى سيارة إلى شيكاغو ، وأقيمت فى تلك الليلة حفلة صغيرة للأسرة فى مطبخ البيت. وكانت تيللى قد أعدت كل مايحب جو ، فجلس إلى رأس المائدة ، ووقفت هى إلى جانبه تملأ له طبقه، فقد انتهى كل شىء الآن وصلح الحال — وصار ابنها حراً مرة أخرى .

وأبت التايمز ماقدمته لها تيللى من مدخرها — خمسة آلاف ريال — فهى محتفظة بها لجو ، فقد يحتاج إليها يوما ما ، كما تقول . على أن جو غير محتاج إليها الآن ، فإنه يشغل وظيفة حسنة ، ويقوم بعمل السكرتير لرجل من رجال الصناعة ، وقد بدأ حياة جديدة .

وهذا حسْب تيللى التى لاتدرى أن تلك الأعوام الطويلة التى قضتها راسخة الإيمان ببراءة ولدها باذلة كل جهد مضن ، إنما هى ملحمة رائعة للشجاعة الوضّاءة الصامتة .



جاءت الطباخة الجديدة فإذا هى فى نظرى لقية ، فاتفقنا على الأجر وساعات العمل وأيام الإجازة . ثم قلت لها : « إن زوجى لا يتأخر عن مواعيد الطعام » . ثم أضفت كالمعتذرة : « ولكنه قد يفاجئنا أحياناً بدعوة ضيوف إلى العشاء دون إنذار ، فيحسن فيما أظن أن تكونى دائماً متأهبة لمثل هذه الحالة الطارئة » .

فأحنت رأسها موافقة وقالت : « أمرك يا سيدتى ، سأبقى حقيبتى معدّة للرحيل » .

[كرستين نيسون]

« إن أمريكا لا تسأل الأمم شيئاً تكره هى أن تعطى مثله »

هيئة عالمية على الطاقة الذرية أو كارثة عالمية

مقتطفات من خطبة برنارد باروخ

برنارد م . باروخ مستشار الشعب الأمريكى ورؤسائه فى حربين عالميتين ، هو ممثل الولايات المتحدة فى لجنة الطاقة الذرية بهيئة الأمم المتحدة . وقد منح منذ عهد قريب الجائزة السنوية التى تمنحها « دار الحرية » فى مدينة نيويورك ، فألقى خطبة صريحة بليغة اقتطفنا منها هذه الفقرات .

أمريكا مستعدة لتحريم القنبلة الذرية وإتلافها — أن تجعلها أداة حياة لا أداة هلاك — إذا أطبقت أمم العالم على ميثاق يكفل الأمان من الحرب الذرية ، ولكن ينبغى أن يكون ميثاقاً صادقاً نافذاً . لا مجرد إعراب عن نية صالحة تعوزها كل وسائل الإمضاء والتحقيق .

ولقد قدمت أمريكا اقتراحها هذا فى ١٤ يونيه سنة ١٩٤٦ ، وانقضت بضعة أسابيع فإذا السفير جروميكو يعلن أن روسيا غير قابلة له ، لا جملة ولا تفصيلا .

وحجة الروس هو أن التفتيش انتهاك للسيادة القومية ، ولو كان هذا حقاً فهو خير من كارثة تشمل العالم كله ، وإن أمريكا لراضية أن تقبل التفتيش ، وهى عارفة أنها سوف تبقى زمناً وهى أكثر الأمم تعرضاً لهذا التفتيش .

ولقد أعجزنى أن أفهم السر الذى من أجله يسبغ الناس على السيادة القومية ، كل هذه الرهبة والتقديس ! وأرى أن بعض الشئون الدولية تقتضى وجود موظفين من أمة بعينها فى أرض أمة أخرى ، من ذلك شئون الجمارك والبريد وغيرها. وأرى أن كل معاهدة تتحيف شيئاً من السيادة القومية المطلقة ، بيد أنى أرى الأمم تعقد أمثال تلك المعاهدات مختارة وناظرة إلى المصلحة المشتركة .

وأساليب إحداث الطاقة الذرية ، سواء أريدت للحرب أو للسلم ، أساليب واحدة لاتكاد تفترق إلا عند مقربة من النهاية. فإذا أردت استخراج الطاقة الذرية لمنافع السلم فقد قطعت ثلاثة أرباع الطريق المفضية إلى السلاح الفتاك . والفيصل الحاسم بينهما هو

نية مستخرجيها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. أفلا يهدينا ذلك إلى أن التفتيش والهيمنة أمر لابد من المصير إليه؟ وقد أجمعت تقارير اللجنة العلمية والفنية على أن مثل هذه الهيمنة أمر ممكن.

وإنى لأقول لكم بلسان رجل حنكته التجارب: إن خطة أمريكا لاتنهضّم شيئاً من كرامة أية أمة أو من سلامتها، بل هى خطوة واسعة نخطوها نحو السلم العالمى. ومن أراد شيئاً لم يعدم إلى إدراكه سبيلا.

وهذه الخطة لاتزال هى خطتنا — فيها الكرم والعدل، وأمريكا لاتسأل الأمم شيئاً تكره هى أن تعطى مثله، بل ينبغى لكل منا أن يشارك بنصيبه.

لن أكون إلا خائناً للأمانة التى أحملها إذا أنا نصحت بنبذ سلاح من أمضى أسلحة أمريكا — وهو القنبلة الذرية. فكيف يجوز لإنسان أن يطلب تدمير القنابل الموجودة إذا لم يحرم الاستمرار فى صنع غيرها تحريماً باتاً؟ ولماذا تطالب أمريكا وحدها بأن تضحى فى سبيل إرادة الخير العالمى، فإذا أريد أن نتساوى فى التضحية، فليكن لكل أمة نصيب فى التضحية.

وأنا أعتقد اعتقاداً راسخاً أن مقترحات أمريكا لا تهدف إلى إبطال سلاح واحد من أسلحة الحرب وكفى، بل إلى إبطال الحرب نفسها.

فاجتناب الحروب هو الغاية الصالحة التى تسعى إليها، فعندئذ وحسب تكف الأمم عن التنافس فى صنع الأسلحة السرية المخيفة — كالذرية والبيولوجية والبكتريولوجية والغازية وغيرها. فإذا وفقنا إلى طريقة مرضية، للهيمنة على الأسلحة الذرية، كان لنا أن نؤمل خيراً فى تحريم استعمال الأسلحة التى تحدث التدمير الشامل.

إننا نسير اليوم على سياسة كلها أثرة بيّنة، ولكن عهد السّلم إذا جاء بعد أجل متطاول، فسيشمل الأمم جميعاً. ومن أجل إدراك هذه الغاية تريد أمريكا أن تكون فى طليعة المجاهدين لنيلها، وسوف تكون.

والآن وقد آذنت شمس حياتى بمغيب، أحب أن أؤكد بأنى مؤمن ببلادى وأمىّ أمريكا — هذه الأم التى لا يفنى صبرها ولا يُبْطىء جزاؤها ولا يسرع بها غضبها، هذه الأم الجريئة الحرة العادلة العامر قلبها بالحب.

فلكى نشدّ أزرها، ترانا نعارض الدكتاتورية من أهل اليمين أو من أهل اليسار، ونعارض الطغيان، ونعارض النظام الجامع، ونعارض الاستبداد سواء كان من الأمم أو الأفراد. ونحن مستعدون لكل تغيير تمليه الحكمة، ونحن نصرف كل جهودنا

إلى نشدان السعادة، أى إلى تحسين معيشة البشر . وأنا أعلم أن بعض خصائص الشعب الأمريكى بطيئة فى نمائها إلى غاية النُّضج ، بيد أنها تنمو ولا جرم . وإنى لأختال فخراً بفضائل الشعب الأمريكى ، وأومن بأنه يتعقّب أخطاءه بالتصحيح والإصلاح .

ولست أعرف وسيلة تكفل لنا توسيع آفاقنا سوى المحافظة على حرية العمل ، ولكن لا بد من أن تقترن بها المحافظة على إتاحة الفرصة الكاملة فى شئون السياسة والدين والاجتماع والاقتصاد .

ولست أعرف نهجاً يؤدى إلى المحافظة على هذه الحقوق أفضل من الديمقراطية — ديمقراطيـــة متغلغلة لا تقف ، منتشرة لا تنقبض ، ديمقراطية تكفل لنا ما عبّر عنه الشـاعر بقوله : إنه لحقٌّ سرمدى خفى كالأنفاس التى نتنفسها — أن يُباح لنا العيش بلا إذن من بشر ، تحت سلطان القانون .

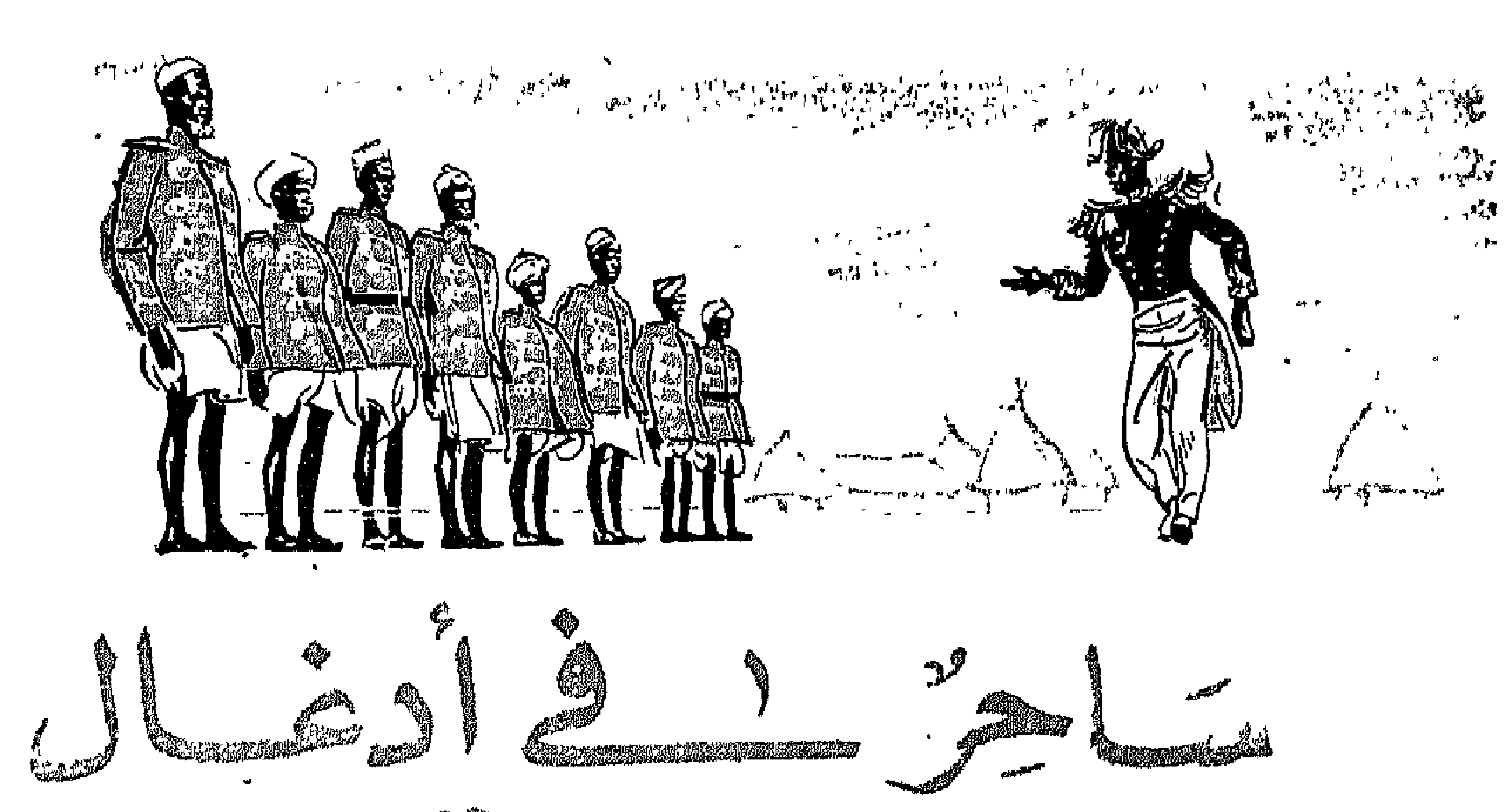
المستقبل لشباب اليوم

يتساءل الشباب العائدون من الحرب عن مستقبل بلادهم ومستقبلهم أيضاً ، فماذا تراهم سيصنعون بعد ٢٧ عاماً منذ الآن ؟

وفى وسع الـ ١٤٣ الذين هم الآن فى القمة يديرون خمسين من أكبر مرافق البلاد الصناعية والتجارية ، أن يساعدوا على جواب هذا السؤال . فمنذ سبعة وعشرين عاماً مضت ، عاد معظمهم من الحرب أيضاً ، وكانوا جميعاً ، بعد الحرب أو قبلها ، قد بدأوا حياتهم العملية عند أولى درجات السلم . فبدأ أحدهم العمل بريال ونصف فى الأسبوع ، وأحد عشر آخرون بأقل من خمسة ريالات فى الأسبوع ، وبدأ ثلاثة وأربعون بأقل من عشرة ريالات فى الأسبوع ، و ٨١ كانوا يتقاضون بين ١٠ ريالات و ٢٥ ريالا فى الأسبوع ، وكان سبعة فقط يتقاضون ٢٥ ريالا .

فمتوسط الأجر الأول لهم جميعاً كان ١٣ ريالا ونصف ريال فى الأسبوع .

فمن الذى سيتولى أكبر أعمال الأمة الصناعية والتجارية فى ١٩٧٣ ؟ نفس هذا الضرب من الرجال . وسيكونون — كهؤلاء الآن — زعماء أوتوا من الشجاعة والطموح والابتكار ما يعينهم على الارتقاء فى السلم درجة بعد درجة .



ساحر فى أدغال إفريقية

برايان أوبريان

سنة ١٩٢٠ كنت موظفاً فى شركة فرنسية تمدّ أسباب التجارة بين القبائل فى جوف إفريقية الفرنسية الاستوائية وثغور الساحل الغربى ، فقابلت « مستر هيفورد » أول مرة . وقد كنت أجوس فى منطقة غابات خشب المجنة فى أرض الكميرون الجنوبية ، فأسلك الدروب الضيقة فى الأدغال ، وكان معى ١٢٠ حمالاً مثقلين بالملح والقماش المطبوع والمُدى والصنانير وغيرها . وكنت أرجو أن أقايض عليها بالأبنوس وزيت النخيل والمطاط والعاج ؛ فمنذ سنوات لم تطأ هذه الأرض قدم رجل من البيض .

وقرعت طبول الإشارة فعلم أهل الغابات أنى أقصد « إيكين » ، قرية صغيرة من قرى قبيلة البولو تبعد ١٥٠ ميلا عن الساحل وتقع على نهر كامبو على مسافة درجتين إلى الشمال من خط الاستواء .

فلما دنوت من القرية لاحظت أن الدرب خال من الحشائش ، وأن على جداول الماء جسوراً حسنة من الخشب ، وأن القرى ليست كما عهدت أكواخاً حقيرة قذرة بل صفوفاً متوازية من أكواخ مهندمة من النخيل بينها ميادين فسيحة . وقد رأيت حدائق واسعة من البطاطا والذرة وغيرها ، ورأيت خارج قرية « إيكين » مزرعة صغيرة من الكاكاو ، ودهشت ساعة سمعت مترجمى يقول لى : « الكاكاو ملك الرجل الإنجليزى ، هو يعيش فى إيكين » .

فلما دخلت القرية رأيت ساحة نظيفة

تشرف عليها دار الندوة ، وهى مجلس لا جدران له يختلف إليه شيوخ القرية للمشورة أو للسمر . ورأيت بقربه رجلا نحيلا طويلاً عليه ثوب قديم أبيض من ملابس الرياضة ، وفى قدميه حذاء من قماش صفيق مُطلى بالبياض ، وكان يخفى وجهه ظل قبعة بيضاء كالخوذة ، فرفع خوذته وانحنى .

« يسرنى أن أرحب بك » ، قالها وقد أخذ يعتدل فبدا له وجه أسود كالفحم ولحية غبراء ، وشعر كث أبيض ، ثم قال : « يسرنا أن نرى إنجليزياً بعد هذه السنوات الطوال ، فأنا مستر هيفورد ، من أبناء الساحل الذهبى ، وأنا إنجليزى أيضاً » .

فصافحته مدهوشاً ، ترى ماذا يصنع شيخ من أهل الساحل الذهبى فى هذه القرية النائية ؟ وإذا عيناه تتألقان باللاهفة التى تخالط أدب المضيف الحريص على أن تكون راضياً عما ترى فى داره ، ثم قال : « أرجو أن تطول أيامك معنا ، وأن تأذن لى أن أصحبك وأكون صديقاً لك » . فكان لى صديقاً صدوقاً طوال السنة التى قضيتها على النهر ، ولولا إرشاده السديد لتعذر علىّ أن أتجر مع الوثنيين النافرين من أهل المنطقة .

وقد أمر البولو غداة وصولى أن يمهدوا رقعة من الأرض على شاطىء النهر ، وأن يبنوا لى كوخاً من لحاء الشجر وأعواد النخيل يكون ذا ثلاث غرف تطل على شرفة ، وأبى أن يستوفى ثمنه ، وقال بأنفة : « عفواً ياسيدى ، لا تقبل ثمناً . هذا حق الجوار » .

كانت داره تشرف على رقعة طويلة مكشوفة تمتدُّ إلى شاطىء النهر ، وكانت هناك مخازن ومناشر لتجفيف ثمر الكاكاو ، ومرسى للزوارق ، وكانت أرض شرفته وحجرة الاستقبال مفروشة بمشمع بال ، وعلى الجدران صور من مجلات قديمة . ورأيت على مائدة محفورة من خشب المجنة مصباح جاز مزخرف ، وكان البيت آية فى النظافة ، ويتولى أمره ثلاثة من فتيان البولو .

وكان شيخ القرية يقابل هيفورد كل صباح على درج شرفته ، ثم يسيران معاً إلى القرية ، حيث يتعهد هيفورد الأكواخ الصغيرة النظيفة ، ويقترح ما يقترح ويطرى جمال الحدائق ، ويصدر ما يراه من أمر إلى جماعة البولو التى تشتغل فى مزرعة الكاكاو الخاصة به . وكان فى كلّ جولة يعطى الأطفال أكياساً صغيرة من الملح ، فتكون عندهم أغلى من الحلوى . فإذا ماجاء دار الندوة ، رأيت الفرح يستخفُّ السُّمار إذا ماوقف يبادلهم النوادر والنكات ، فكأنه سيّد من سادة العصور القديمة يتجول فى أرضه شاملاً أهلها بعطفه .

وقد جاءنى بطباخ وحرص على أن أزوّد

بخير ماعندالبولو من زاد : السمك والبيض والبطاطا والذرة والفلفل ، وكانت عناقيد الموز والأناناس تتدّلى من سقف الشرفة .

وكان هيفورد يزورنى كل مساء بعد العشاء ، فأراه لابساً سراويل أبيض خرج لساعته من يد الغاسل ، وسترة قديمة من المخمل كانت قرمزية فيما مضى ، وطربوشاً أسود له زر من الفضة يتدلى عند أذنه . وكان إذا جلس جعل يداعب كأساً من الكونياك بأنامل ضخمة المفاصل ويدخن مستمتعاً غليوناً كنت قد أهديته إليه ، ويسألنى متلهفاً أسئلة كثيرة عن سائر العالم .

وقد صحبنى فى رحلاتى الأولى إلى القرى النائية وراقب مراقبة دقيقة أعمال التجارة ، وكان يرشد شيوخ القرى إلى قيمة السلع التى أعرضها عليهم . وكان غاية فى الإنصاف ، وكان أهل البلاد يثقون به ثقة عمياء ، وقد علمت أن نفوذهُ ممتدٌّ فى أرض مساحتها مئات من الأميال المربعة ، فما كانت قرية تختار شيخها بغير مشورته ، ولا كانت تتمّ مقايضة بين القرى بغير موافقته . وكان أهل القرى يتجشمون السفر أياما لكى يعرضوا عليه أمورهم ، وكانوا يتقبلون أحكامه بثقة تؤثر فى النفس ، وكان سلطانه أعظم من سلطان الشيوخ الذين يعجبون به ويوقرونه. وقد قال لى : « إنهم ينظرون إلىّ كأننى أبوهم ، فينبغى أن عاملهم كأنهم أبنائى » .

وقد أدركت ذات يوم بعض السر فى سلطانه : كان هيفورد ساحراً .

توالت الزوارق إلى مرساه من أعلى النهر وأسفله منذ أسفر الفجر ، وجلس الناس متربعين كالتماثيل أمام داره وقد ركزوا رماحهم بجوارهم فى الأرض الحمراء التى جففتها الشمس ، وكان قد دعانى لأجلس على شرفته فأشاهد مادعاه « فصْل الخطاب » .

وبعد أن دقت الطبول دقات متتالية فتح باب هيفورد وخرج منهُ صبيّان ، فوضع أحدهما إبريق شاى من الخزف وكوباً من الزجاج على مائدة وضعت على درج الشرفة ، ووقف الآخر قربه يهزّ مروحة كبيرة من ورق النخيل . ثم ظهر هيفورد لابساً ثوباً أسود من القطن وقد رسمت عليه بالأحمر بروج الشمس ، وكان على رأسه قبعة عالية ، وعلى عينيه نظارات من الحديد ليس فيها عدسات . فنكس الأهالى رؤوسهم وهمهموا بتحية البولو : « مابولو » .

فردّ هيفورد على التحية بصوت جهورى فقال : « مابولانى » ، ثم سكب ماءً من الإبريق فى الكأس وشربهُ ، ثم نظر إلىّ شزراً ، وأمال الإبريق مرةً أخرى وإذا سائل أحمر ينسكب منهُ ، فشربه ، والناس من حوله يصيحون صيحة الإعجاب والإجلال .

وأومأ إلى جماعة لم يستقرّ لها قرار فى طليعة القوم : فتاة فى السادسة عشرة ، نحيلة هيفاء مزهوّة بفتنتها ،وزوجها الشاب البدين ، وأبوها ، وهو رجل ماكرٌ فى أنفه قطعة من العظم . وقد همس فى أذنى الرجل الذى تولى الترجمة لى بأن الفتاة كانت قد بيعت زوجة للشاب ، وفقاً لعادات القبيلة، وأنها منذ زواجها فرت مع خليلها .

وسأل هيفورد : « أين الآخر ؟ »

فردّت الفتاة ردًّا كلهُ دلالٌ ووقاحة : « ذهب يصطاد فى الغاب » .

وصاح الزوج : إنه لا يريد هذه المرأة ، ثم إنه عاجز عن أن يوفينى ثمنها » .

وابتسمت الفتاة لهيفورد وهزت رِدْفها هزة مغرية،وقالت :إن زوجها كان يضربها ويرغمها على العمل، فلما بلغ منها اليأس فرت مع الرجل الذى تودد إليها .

وصاح زوجها : « إنها فرت مع رجال آخرين » .

وقف هيفورد ووضع كفه غيرحافل على أذن الصبى الذى يحمل المروحة ، فإذا فيها بيضة ، فلما دوّت صيحة الإعجاب ألقى البيضة عند قدمى الفتاة وانحنى يحدق ، فى مُحّها « صفارها » فوثبت الفتاة متراجعة وجعلت تصيح جزعاً حين أشار إليها بعصاه البيضاء ودمدم فى وجهها :« أنت امرأة سَوْء » .

وانفتل أمام وجهها كالبرق الخاطف ، وإذا فى يديه سحلية تتلوى وقال: « إن فيك شيطاناً يدفعك إلى الفرار . ينبغى لك أن تَقَـرّى فى دار زوجك ، فإن لم تفعلى عاد هذا الشيطان إلى قلبك »

فندّت من الجمهور زفرة «إى كى » .

ثم مضى هيفورد يعنفها : « فإذا هجرت زوجك مرة أخرى فله أن يضربك بعصا لاتزيد ثخانتها عن إبهامه» ثم التفت إلى الأب « إذا هجرت ابنتك زوجها فعليك أن تردّ إليه ماله . وكذلك ينبغى لكما كليكما أن تراقباها ، وهذا فصل الخطاب » .

ومضى الثلاثة فى سبيلهم

أما القضية الثانية فكانت قضية امرأة كانت عنزتها قد أكلت الفول من حديقة جارها ، فحكم هيفورد على المتهمة بأن توفى صاحب الدعوى قطعة من لحم العنزة متى ذبحت . وشكت امرأة عجوز أن أهل قريتها قد وضعوها فى كوخ قديم لتموت فيه لأنها صارت عاجزة عن العمل ، فابتسم هيفورد لها من عليائه وقال : « لك ياأماه مكان فى كنف دارى ، ونار تصطلينها ، وطعام سائغ لفمك » . ثم ألقى نظرة على القوم وقال : « أين شيخ قرية هذه المرأة ؟ » ، فتقدم شاب وثيق التركيب وعبس فى وجهها .

فأمره هيفورد : « عليك أن تأتى بعشر

رؤوس من البطاطا كل سبعة أيام ، وعلى رجالك أن يبنوا لها كوخاً فى أرضى ، ولن تتجر مع قريتك حتى تنجزوا ما أمرت به » .

وقد أنفق هيفورد ذلك اليوم كله يقضى فى مشكلات أهل الغابات ، فكان ذا مهابة وعدل ودعابة فى قضائه ، وكان يمزج كل حكم من أحكامه بخدعة من خدع المشعوذين ، وقد قال لى بعد ذلك كالمعتذر : « هى خدع لاضرر منها ، ولكنها تعين هؤلاء المتوحشين المساكين على أن يطيعوا ما أقضى به » .

وقد لممت شتات قصته رويداً من أحاديثى الطويلة معه ليلة بعد ليلة ، ومن أخبار جمعتها من شيوخ الناحية . ولد هيفورد من أسرة ذات يسار من أهل مستعمرة الشاطىء الذهبى ، فى أحد ثغورها ، وطلب العلم فى مدرسة للمرسلين ، ثم عمل فى مزارع الكاكاو التى يملكها أبوه . وقد اصطلحت معرفته اللغة الإنجليزية ، وقدرته على القراءة والكتابة والحساب ، وإحسانه شئون الزراعة ، على جعله مديراً نافعاً ، فلما اندلعت الثورة فى سنة ١٩٠٠ على أعمال حاكم أبيض جاهل ظالم ، طرح عنه سراويله وحذاءه ، وارتدى عباءة المحارب ولبس درعه .

وقد أخمدت نار الثورة وقدم الذين اشتركوا فيها للمحاكمة ، ولكن هيفورد نجا ، وشق طريقه برغم المصاعب والمخاطر إلى الغابات العظيمة التى تغطى جنوب الكميرون ، فكان لا يكف عن السير فى القرى الصغيرة ، إلا ريثما يأكل ويشرب ، ثم يواصل سيره . وأخيراً وصل إلى قرية إيكين ، وهى خير ملجأ لرجل مطارَد . وقبيلة « البولو » مؤلفة من قوم صغار الأبدان ، فزهاهم أن يجدوا هذا الغريب العملاق وافداً عليهم . قال : « وقد بنوا لى بيتاً وجاءونى بطعام وكرمونى كأنى رجل نبيل ، فلذلك ينبغى أن أظل دائماً فى نظرهم رجلا نبيلا» . وقد تعلم لغتهم واستقر فى بلادهم على النهر .

وتذكر شوارع الثغر الذى ولد فيه ، وكيف كانت نظيفة ينزح منها الماء ، فأقنع رجال البولو بأن يحفروا المصارف لنزح الماء حتى لا يركد ولا يتولد فيه البعوض ، وعلمهم أن يبنوا آباراً يطمرون فيها القاذورات ، وأن عزل العجزة والضعاف وتركهم حتى يموتوا جوعاً إثم وعبث، فأمر: « اجعلوهم يكنسوا ساحات القرية فيمنعوا الغبار أن يدخل آنية الطبخ ، وتنقذوا بذلك حياة صغاركم » .

فصارت القرى مهندمة نظيفة ، وقل المرض ، وسر الشيوخ والعجائز أن يكونوا ذوى نفع فدأبوا على العمل . وكانت الدروب الضيقة الملتوية تتخذ شراكاً لصد الأعداء من الحيوان والبشر ، فكشفوها ووسعوها . وكانت

الحدائق صغيرة لا يعنى بها فلا تكاد تنتج ما يقيم الأود ، فوسعت رقعتها ونزحت مياهها واستؤصلت حشائشها ، فإذا ما تنتجه يفيض عن الحاجة ، فيخزن لينتفع به يوم تمس الحاجة إليه .

بيد أن الأهالى كانوا فى حاجة إلى المدى والمجارف وقماش القطن والصنانير والملح ، فجعلهم هيفورد يجمعون المطاط البرى الذى يجمد إذا خلط بالجير فيصنع كرات كبيرة ، ودفعهم إلى صيد الفيلة ومقايضة سائر القرى على لحمها بالأبنوس. ثم خرج برجاله مثقلين بالأبنوس والعاج والمطاط لمبادلتها بالسلع الضرورية على ساحل غينية الإسبانية . قال هيفورد: « أما أنا فقد عدت بملابس البيض والأحذية ومائدة وجاز ومصباح جيد أطالع على ضوئه ».

وقد أخبرنى أن عمله فى أول الأمر كان محفوفاً بأعظم المشقة والخطر ، فالقتال بين القرى متواتر ، وتقديم القرابين من البشر سنة متبعة . وقد بين لى أن ذلك لم يكن ذنب الأهلين ولكنه كان ذنب السحرة الذين حرصوا على إبقاء الأهالى فى سورة من الرهبة والتهويل .

« وقد كرهنى السحرة لأنى كنت أبذل معونتى للأهلين . وقد قطع أحدهم شوارب الفهد ووضعها فى طعامى عسى أن آكلها فتمزق أحشائى ، ولكننى لم أذق طعم شىء لم أعده بيدى فنجوت مما كادوه لى . وقد حدث مرة وأنا أسير فى درب ضيق أن مرق على مقربة منى سهم مسموم ، فأدركت أنه ينبغى لى أن أتغلب على هؤلاء السحرة ، فإن لم أفعل قضوا على .

« وكنت ذات يوم أتولى أعمال تجارتى فى غينية الإسبانية ، فرأيت فى دفتر بيع بالبريد صورة جهاز يصنع السحر . فأعطيت التاجر كل سلعى وسألته أن يكتب إلى أمريكا فيطلب لى صندوق السحر . وبعد أشهر تلقيت خبراً بأن « السحر » فى انتظارى ، فرحلت وحدى لآخذه ، وصرت أتمرن فى سواد الليل حتى غدوت قادراً أن أصنع أشياء من الهواء الخاوى أو أجعل ما فى يدى يختفى كأنه لم يكن . فلما أحسست أننى قد أحكمته تحديت سحرة القرى». وقد أبرقت عيناه ببريق الخبث على ضوء النار فى دارى وهو يقول لى هذا .

« وكان السحرة يلبسون قبعات مصنوعة من جلد البشر ، ومعاطف طويلة من العشب الجاف ، وكانت الروائح الكريهة تفوح من أكياس الأدوية وما تحويه من بضاعة الشر . ووقف أهل القرى فى الظلال بين الأكواخ ، فقد كانوا يريدوننى أن أخزى السحرة على أعين الناس . ولكنهم كانوا يخشون أن

يغلبني السحرة ، ثم ينقلبوا فينكلوا بهم .

« وضعت راحتى على فم أقرب السحرة إلى ، وأخرجت بيضة كسرتها بيدى ورفعت أمام عينيه فرّوجاً حياً ، ثم صحت بالناس : أرأيتم ؟ إن سحره يجلب الموت ، وأما سحرى فيجلب الحياة . ودفعت فى الهواء حلقات منفصلة من المعدن ، فلما التقطتها كانت سلسلة متماسكة ،فقلت : « اكسروها » فعجزوا عن كسرها . وهمّ أحد السحرة فأكل جمرات داخنة ، أما أنا فملأت فمى جازاً من مصباحى وأمسكت بيدى عوداً مشتعلا أمام فمى وصرت أنفخ لهباً متصلا على هذا الساحر حتى شبت النار فى معطفه ،فعدا وهو يشتعل إلى النهر » .

وختم هيفورد حديثه فقال : « أما الآن فأنا الساحر ، ولكن سحرى فى الحقيقة ليس سوى خدع لا تؤذى » .

وقبل أن أبرح القرية ، أردت أن أوزع الهدايا ، وكان بين السلع التى أخذتها معى سترات قرمزية قد اشتريتها من مخلفات الجيش ، فأشار هيفورد على : « خير لك أن تخص الشيوخ بها ، فيعلو مقامهم فى عيون أهل قراهم » . فدعونا الشيوخ وخلعنا عليهم هذه السترات القرمزية ، فوقفوا كالرماح فى ساحة دارى ، وقد زُرّت السترات الحمر على صدورهم المفتولة العضل ، وكانت النساء الواقفات عند حافة الساحة تهمهم بعبارات الإعجاب .

بيد أنى ادخرت لهيفورد شيئاً أفاجئه به : معطف أمير البحر وقد وشيت كتفاه بالذهب وزين سائره بجدائل الذهب ، فأخذه منى بيدين مرتعشتين ولبسه ، فكاد يكون على قدّه ، وحاول أن يخفى عبراته ، ثم تهادى جيئة وذهاباً أمام صف الشيوخ .

وقال : « إنكم تلبسون الآن سترات رجال كانوا زعماء عظماء لما تحلوا به من شجاعة وحكمة ، فينبغى لكم أن تنهجوا نهج الشجاعة والحكمة مع أهل قراكم »

وقد بدا المشهد آية مسلية : صف الشيوخ وسراويلاتهم متجمعة تحت ستراتهم الحمر المهندمة وعلى وجوههم المتفصّدة بالعرق ابتسامة الارتياح ، وهيفورد فى سترة أمير البحر يتحرك ذيلاها فيضرب ان ساقيه وتتراقص خيوط الذهب على كتفيها ، وهو يروح ويجيء أمامهم يخطبهم فيما يجب عليهم حتى يكرّموا السترات التى يلبسونها .

ولكننى لم أر المشهد آية مسلية ، فهذا الشيخ العظيم قد أحال قبيلة البولو قوماً يعيشون فى رضى وسلام ، وقد قضى ١٨ عاما وهو أكبر من معلم وقاض ، فإن « خدعه التى لا تؤذى » كانت السحر الساحر القوى .

سوف يدهشك ما تلقى نفسك قادراً عليه إذا :

جعلت الحياة مغامرة

ستيوارت تشيس

مختصرة من مجلة " ذي روتيريان "

حين تواجهني حادثة جديدة يبدو لي لأول وهلة أنها ستورثني صداعاً أو ما هو شر منه ، أقول لنفسي: خلها مغامرة! وهذه فرصة لتوسيع أفق التجربة ، فامض وعالج هذا الذي لم يسبق لك به عهد !

كان عليّ منذ سنوات ، أن أخطب جمعاً كبيراً من معلمي المدارس في ميلووكي ، ولم أكن واجهت مثل هذا الجمع من قبل ، وكان يخيل إلي أن الوجوه المرفوعة إليّ تمتد إلى الأفق ، ولما لم يكن ثم سبيل إلى التراجع ، فقد احتجت أن أتشدد وأتماسك، فتنفست نفساً طويلاً وذكرت نفسي في صراحة بأن هذا شيء جديد ميسّر ، وأن مثل هذه الفرصة لا تتاح لكل أحد ، وأنت يا بني تعرف ما تنوي أن تقول ، وهكذا تقدمت بجأش رابط إلى المكروفون وقد صح عزمي على الاستمتاع بهذا الشعور الجديد الرائع . وقد استمتعت به فعلا !

جرب اتخاذ هذا الموقف حين يكون عليك أن تواجه جمعا من الناس لا تريد أن تواجهه ، وقرر أن تستمد قوة جديدة من الموقف ، وأنت خليق أن تجد أنه على الرغم من الدقائق الأولى القليلة المحرجة ، يوجد شعور جديد بالثقة والقوة .

ولن أنسى بسرعة ذلك الصباح في إبان الحرب حين تولينا محطة المراقبة الجوية المحلية في الساعة السادسة صباحاً ، ودرجة الحرارة عشرون تحت الصفر ، والرياح تعصف ، فما شعرت قط بمثل ما شعرت به حينئذ من البرد والألم ، وقلما رضيت عن نفسي كما رضيت يومئذ بعد أن انتهينا من الأمر ، لأني مضيت فيه وقمت به . وفي مرة أخرى كنت كبير مراقبي الغارات ، فأحسست في البداية أني كالمغفل ، وكثيراً ما كنت أشعر بأن بدني في غاية الاضطراب، وكذلك عقلي أحياناً . فقد كان هناك تصنّع أو تمثيل كثير، ولكن ألفيتني في النهاية أقرب إلى جيراني ، وأفدت من الخبرة ببلدتي فوق ما أفدت في السنوات الاثنتي عشرة السابقة ، وأرتنا هذه التجربة ما تستطيع جماعة من الناس أن

تقوم به فى باب التعاون ومساعدة النفس ، وذابت الغيرة والخصومات والعداوات القديمة فى العمل فى سبيل غاية مشتركة .

وكلما ازداد مايكتسب المرء من التجارب صار اتصاله المباشر بالعالم أوثق وأرحب ، وحياته أحفل وأعمق معنى ، وصار هو أقدر على معالجة الحياة فى عالمه . أما إذا أحجمنا عن تجربة أمر جديد ، فإننا لاننمو أو نكبر قط ، ونحرم أيضاً كثيراً من المتعة . ولهذا أقول خذ ما يجىء وحاول أن تستفيد منه مزية . حاول أن توسع فهمك بأن تصنع أنت الشىء بنفسك ، ولا تفر من شىء . ولاتتلق تجربتك من طريق السنما والراديو.

منذ بضع سنوات شاهدت جمعية العاملين ساحة التنس عندى ، واقترحت أن أتولى تدريب فرقة ممن تبلغ أسنانهم الثانية عشرة على اللعب ، وقالوا لى بلطف إن واجبى هو هـذا . فهالنى الأمر فى البـداية ، وأشفقت أن يفسـد هؤلاء الصغار أرض الساحة ، وأن لا يعبأوا شيئاً بما أقول . وتساءلت فيما بينى وبين نفسى : كيف نعلم الصغار اللعب ؟

واستقر عزمى على أن أعلمهم أولا آداب التنس — وهى شديدة الاختلاف عن آداب الألعـاب الأخرى . ويقضى قانون التنس بأن يكون خصمك دائماً مصيباً ، وأنه يجب أن يهنأ باستمرار بصوابه . ولم أكن فكرت فى هذا من قبل ، فصرت وأنا المعلم ، أتعلم حتى قبل أن أشرع فى التعليم ، وظللت أتعلم. فلم تفسـد ولم تخرب أرض الساحة ، بل تعهدها التلاميذ بعناية وحذق ، وصاروا يعنون أشد عناية بما أقول ، ولم يبتسموا حين قلت: « هذه هى الطريقة المثلى لإرسال الكرة » ، وقذفت بها فوقعت فى الشبكة !

وحاول أن تتغلب على خوفك من المجهول وقد تغلبت على فزع خفيف كان يساورنى من الثعابين بأن درست أولا خصائصها فى الكتب ، ثم راقبتها فى حدائق الحيوان، وأخيراً بأن تركت ثعباناً أليفاً طوله ست أقدام يزحف على جسدى كله على مرأى من حفل فى حجرة ، لأتشجع وأثبت . وقد تغير رأيى فى الثعابين ، وتحررت تحرراً تاماً من خوف شديد لا سند له من العقل .

وأعرف سيدة بلغ من افتتانها بأحفادها أن لجت بها الرغبة فى درس نفسية الطفل درساً علمياً وافياً ، فقرأت كثيراً من الكتب والمقالات ، ولكنها لم تنلها ما تبغى . وكان فى مدرسة قريبة فصل للمتخرجين يدرس فيه منهج لهم خليق أن يكون أنفع ، فهل تلتحق به ؟ لقد كانت الفكرة مفزعة لها . هل تجتاز امتحان الدخول ؟ وهل يسخر منها الطلبة ؟ وهل يتثاءب الأساتذة ؟ وهل

فى وسعها أن تؤدى الواجبات المدرسية فى البيت بعد ثلاثين عاماً ؟

ولكن عزمها استقر على أن تقدم وتغامر، فاجتازت امتحان الدخول بسهولة ، وأعجب بها الطلبة ، ووجدت أن الواجبات المدرسية فى البيت لذيذة ومنعشة ، واغتبط الأساتذة إذ رأوا طالبة تعرف بدقة ماتبغي أن تتعلم ، وهى الآن تستعد لتلقى مناهج أخرى بعد أن يخف ضغط الطلبة العائدين من الجيش .

ولعل أغرب مغامراتى كانت حين أصيب صديق حميم لى بانهيار أعصابه، فلجأت أسرته إلىّ لأشرف على أعماله وشئونه ، وكان الهبوط والكساد قد جعلها فى حالة سيئة . وكان هذا أثقل ماتوليت — فمن محامين ومصارف ومحاكم ورحلات إلى ولاية تكساس ، إلى بيوع وعقود ناقصة ، وضياع وقت بلاحساب أو حدّ، ومتاعب بلاتعويض أو مكافأة .

على أنى فزت بمكافأة من نوع آخر من هذه التجربة الجديدة ، فقد تعلمت شيئاً كثيراً عن آبار الزيت ، وكيف تجتذب رجال المصارف وتظفر بموافقتهم ، ولماذا ينبغى أن يعد كل امرىء وصيته . وقد قابلت شخصيات عجيبة ، واكتسبت صديقين دائمين على الأقل ، وانفتحت أمامى ناحية جديدة كل الجدة من الحياة الأمريكية .

وقد ألف تشيكوف فى حياة أناس من أوساط الناس ، أقاصيص من خير ما أخرج الناس فى كل زمان . ومن ذا الذى يستطيع أن يعرف سلفاً أين تختبىء التجربة ، والمتعة والأسرار ؟

وعلى ذكر ذلك أقول : إذا أردت أن تحول حديثاً مع رجل مملّ إلى حوار منعش ممتع ، فابحث عما يعنى به ويهتم له وشجعه على الكلام فيه ، وأنا إذا وجدت نفسى مع رجل فاتر مضجر في وقت العشاء ، على ظهر سفينة أو فى مركبة بولمان ، لا أزال أبحث وأتقصى حتى أهتدى إلى ما يعنى به — كلاب الصيد ، أو شعر تشوسر ، أو علم النفس، أو الطائرات الصاروخية — ثم أدعه يتدفّق وحينئذ أستمع .

إن الجنس البشرى فى هذا العصر الذرى يجتاز امتحاناً ، فإذا أريد للإنسان أن ينجح لا أن يخفق إخفاقاً محزناً ، فإن عليه أن يجرب ، وأن يتدبر ، ويفكر ويبتكر مواقف جديدة ، أشدّ مما فعل من قبل . ولابد لملايين البشر من أن يتناولوا الأمور بعقول واسعة مستعدة للتجريب، إذا أريد لجنسنا أن يهتدى إلى الطريق المفضى به إلى البقاء . وإن هذا لتحدٍّ عظيم. نعم ، ولكنه مغامرة عظيمة تنتظرنا أيضا !

فتعالوا بنا ، ولنخرج إليها ، ولنواجهها !

أيقاوم اليابانيون دعاية السوفيت بعد أن ذاقوا طعم الديمقراطيــة تحت ظل حكم ماك آرثر ؟

التراب الأحمر فى

اليابان

جيمس موناهان

مختصرة من مجلة " زى لنيو لسيدر "

أصبحت اليابان فى السنة الثانية من عهد احتلال الحلفاء معتركا لمذاهب السياسة والاجتماع . وقد كانت روسيا السوفيتية مصدر التحدّى الذى وجّه إلى ما تبذله أمريكا من مساع لتنشئة الديمقراطية فى اليابان . ومايسفر عنه هذا النزاع ، خليق بأن يفصل فى هل تصير اليابان « حصناً من حصون السلم أو تنّوراً تستطير منه شرارة الحرب » ، على حدّ تعبير الجنرال ماك آرثر .

ولن يفصل فى ذلك سوى أهل اليابان . ويرى بعض متتبعى الحالة هناك أن الديمقراطية اليابانية الناشئة ليست الآن كفؤاً لذلك . ويرى غيرهم ، من أمريكيين ويابانيين ، أن جذور الديمقراطية فى اليابان ، على حداثة عهدها ، جذور قوية ممتدة فى أرض بلغت مبلغاً وافياً من الخصب .

وقد أتمّ ماك آرثر فى السنة الأولى من عهد الاحتلال ، ما يكاد يكون معجزة . فقد دمّرت البقية الباقية من اليابان العسكرية ، وسرّح ستة ملايين من الجند دون أن يقع حادث يذكر ، وأقصى موقدو الحرب وأنصارهم عن جميع أبواب الحكم ، ومزقت أوصال الاقتصاد الحربى ، وعهد إلى لجنة التعويض من الحلفاء بالتصرف فى أشلائه الضخمة . وقد بدأوا فى الوقت نفسه إنعاش تجارة اليابان الخارجية كما كانت زمن السلم ، وجُعل استكفاء اليابان بنفسها غرضاً لها ، وأخذ اليابانيون ينظرون إلى المستقبل نظرة أمل ورجاء . وعلى ما يستبدُّ بأنفسهم من سخط على الطغمة العسكرية القديمة وكل ما يلوذ بها ، وبرغم الجوع والفاقة ، ترى نفوسهم اليوم قد ألهبتها صورة مثل جديد من المثل العليا . فقد كانت الديمقراطية شيئاً لا يفهمونه سوى بعض الفهم ، ولكنها اليوم تمهد لهم سبيل السلام والحرية .

ويقول ماك آرثر : إن هذه الثورة الروحية بين اليابانيين « لا عهد بمثلها فى تاريخ الاجتماع

فى العالم » . فإذا لقيت تشجيعاً وأتيحت لها فرصة النمو ، كان فى وسعها على رأيه أن تصبح أرسخ بنياناً من الأساس الذى قام عليه فيما مضى إيمانهم الباطل .

واليابان الجديدة صنع ماك آرثر على الأكثر ، فهو القائد الأعلى للدول المتحالفة ، ولكنه اطّرح كلّ رأى معهود فى أصول الحكم العسكرى ، وأنشأ مقر قيادته فى طوكيو ، وجعلها حينئذ توجّه وتشرف ، وأمر اليابانيين أن يتولوا بأيديهم إصلاح أمرهم . وقد كان أول توجيه أصدره منح الشعب اليابانى « وثيقة حقوق » تضمن له حرية العبادة والصحافة والكلام والاجتماع ، وحقوق تنظيم العمال والأحزاب السياسية . وقد أمر بوضع دستور جديد ، وطالب بحق الانتخاب للنساء ، وطلب إجراء انتخاب عام عاجل لبرلمان جديد ، وأمر بإجراء إصلاح شامل فى نظام التربية ، ووعد بتوزيع الأرض على الفلاح المستأجر المضطهد ، وأمر بحل « سيباتسو » على الفور ، وهى شركات الأسر التى تهيمن على ثروة اليابان ، وقد قالت صحيفة نيويورك تايمز فى الربيع الماضى: « إن اليابان هى الأمل المشرق المرجوّ خيره من بين جميع حكومات الحلفاء العسكرية فى البلاد المغلوبة أو المحرّرة » .

ومع ذلك فأنت ترى اليوم أن النزاع الذى جعل أوربة بعد الحرب كابوساً يقض المضاجع ، قد أخذ يعصف باليابان . وقرب قيام يابان ديمقراطية مستقلة قوية ، قد أثار عداء روسيا السوفيتية . وكذلك ترى أن اليابان قبل أن تتمكن من تعزيز الديمقراطية فيها ، قد باتت تتنازعها قوتان فى اتجاهين متقابلين ، وكلتا القوتين تعدها بتحقيق مثل الحرية ، فصارت مضطربة متحيرة .

وقد تريث بعد التسلم الزعماء الذين لهم إلمام بأساليب الديمقراطية ، قبل أن يخرجوا من ظلمات الانهيار الذى ألم بالنظام الجامع ، فتقدم إلى الميدان فريق آخر من الزعماء كان قد أُعِدّ لاغتنام الفرص . وما أفرج عن المعتقلين السياسيين حتى نشطت الجماعة الآخذة بالنظريات الشيوعية وعلى رأسها كيويشى طوكودا . وبعد أشهر أعيدت إلى اليابان من الصين جماعة ينان الشيوعية وعلى رأسها سانزونوزاكا الذى دُرّب فى موسكو ، فأفضى ذلك إلى قبض الشيوعيين على زمام حركة العمال والإذاعة والصحافة .

فما وافى شهر يناير ١٩٤٦ حتى كانت أوسع الصحف انتشاراً فى طوكيو وأوزاكا ، وبعض صحف الأقاليم الصغيرة ، قد انحازت انحيازاً بيناً إلى اليسار ، أما الصحف التى لم تجهر بميلها إلى الشيوعية فقد أيدت قضايا الشيوعيين . وقد عمد موظفو الصحف

اليومية الثلاث الكبرى فى طوكيو، إلى طرد أصحابها وكبار محرريها بحجة أنهم من «مجرمى الحرب» ، وتولوا الهيمنة على سياستها. وقد ظل العمال يلجأون إلى هذا السلاح بدلا من الإضراب المعهود إلى أن حرمته الحكومة .

وقد استولى أهل اليسار على جمعيـــة الناشرين القوية، وسيطروا على توزيع الورق، فصار لهم سلطان الموت أو الحيــاة على كل صحيفة وكل مجلة تقريباً فى اليابان ، فإذا وجدوا أن سياسة أحد المحررين لا تميل ميلاً كافياً إلى اليسار ، وصموه بأنه « رجعى » أو « مجرم حرب » ، ومنعت عنه حصته من الورق ، ونبتت فى الوقت نفسه مجلات جديدة كما ينبت الفطر بين عشية وضحاها ، وكان معظمها مروجاً لمذهب ماركس ولينين.

وقد تردّدت قيادة ماك آرثر فى أول الأمر فى أن تتدخل فى أمر يلوح أنه يمس حرية الصحافة ، والحقيقة أن بعض الذين يعطفون على الشيوعيين من أصحاب المناصب الكبيرة فى القيادة الأمريكية، كانوا يشجعون فى الخفاء أهل اليسار من اليابانيين . فلما عرضت حقيقة الحال على ماك آرثر، عهد بتوزيع الورق إلى جماعة من أهل الثقة ، وأعيــد بعض الأمريكيين إلى بلادهم ، وتلقى القائمون بنشر الصحف والمجلات فى اليابان تحذيراً صارماً فى واجبات الصحافة الحرّة وتبعاتها .

ولكن مضت شهورٌ حتى تمكن رجال القيادة من ردع المسيئين من المشتغلين بالإذاعة، فلما فعلوا كان رجال شركة الإذاعة اليابانية ، وهى شبيهة بالرسميــة ، قد ملأوا أمواج الأثير بحملات عنيفة على الرأسمالية ، وبإذاعات بالغوا فيها فى تصوير الصراع بين العمال وأصحاب الأعمال ومديريها، بل شرعوا يذيعون سلسلة من المحاضرات عن حياة كارل ماركس ، حتى صار اليابانيون (الذين يؤدون الأجور التى تتيح لهم فرصة الاستماع) يشكون من أنهم لا يكادون يفتحون أجهزتهم حتى يسمعوا دعاية شيوعية، ولكنّ الرقابة على ما يذاع قد أخــذت تشتدّ منذ يوليو ١٩٤٦ . وعلى أن المعقبين على الأخبار لا يزالون يقرّعون الحكومة و «الرجعيين » ، فإنّ برامج الإذاعة صارت أدنى إلى التوازن فى عناصرها .

فلما دعا ماك آرثر إلى إجراء انتخاب عام فى أوائل ١٩٤٦ ، سرى الذعر بين أهل الجناح الأيسر ، فكان ذلك باعثاً على الدهشة لما لهم من سيطرة على الرأى العــام ، وقد رفعوا عقيرتهم بأن « الأساليب الديمقراطية لا تزال غريبة على اليابانيين » ، فكان قولا متهافتاً ، لأن أية حكومة جديدة يسفر عنها انتخاب حرٌّ خليقة أن تكون أفضل من البرلمان الذى لم يزل قائماً منذ زمن الحرب ،

ومن الوزارات المرتجلة التى توالت بعد التسليم.
ولكن ماك آرثر أصر على رأيه ، فالانتخاب العام واشتراك النساء فيه كان قاعدة وأصلاً فى خطته ، وخير طريقة لتعريف اليابانيين بالديمقراطية ، هى فى رأيه أن تدعهم يمارسون أساليبها .

وقد سبق الانتخاب الذى تم فى ١٠ إبريل سنة ١٩٤٦ نشاط سياسى لم يسبق له مثيل فى تاريخ اليابان ، فذهب اليابانيون إلى أقصى حد فى ممارسة حقوق التنظيم السياسى والاجتماع العام وحرية الخطابة والصحافة ، وكان عدد الناخبين الذين اشتركوا فى الانتخاب أعظم عدد سجل فى انتخاب عام عند اليابانيين . وقد أسفر الانتخاب عن فوز الحزبين المحافظين ، فقد ظفر بمئتين وثلاثة وثلاثين مقعداً ، وظفر الاشتراكيون الديمقراطيون بأربعة وتسعين مقعداً ، وظفر حزب التعاون (وهو اشتراكى معتدل) بسبعة عشر مقعداً ، وظفرت طائفة من الأحزاب الصغيرة بخمسة وثلاثين مقعداً ، ونال المستقلون ثلاثة وثمانين مقعداً ، وأما الشيوعيون فقد ظفروا بخمسة مقاعد .

وعلى أثر الانتخاب أخذت طائفة من الصحف تميل عن اليسار المتطرف ، فقلقت روسيا السوفيتية مما رأت وعزمت على وقفه . ومن ثم أخذ رجال الصحافة والإذاعة ، وخطباء الشوارع يضربون على نغمة واحدة : « إن الديمقراطية من الضرب الأمريكى لاتصلح إلا للرأسماليين وملاك الأراضى وأصحاب المصارف ، وأما الديمقراطية السوفيتية فهى للفلاح والعامل والعامة فى كل مكان » ، وكذلك نشبت الحرب بين مذاهب السياسة والاجتماع .

وإنك لترى الشعب اليابانى اليوم يعانى ضغطاً قوياً من ناحية اليسار ، وقلما يعنى أحد بأن يخفى أن موسكو هى مصدر هذا الضغط . وهو ضغط لاينفك له أثر فى ناحيتين : ضغط صريح فى مجلس الحلفاء فى طوكيو ، وضغط خفى على الرأى العام من شأنه أن يبلبل عقول جماهير اليابانيين ويحرك كوامن سخطها .

أما من ناحية السياسة العليا ، فترى لحكومة السوفيت بعثة سياسية تمثلها ، وهى بعثة تحرص على آداب الدبلوماسيين ولكنها ضخمة يبلغ عدد الموظفين فيها خمسمئة ، وعلى رأسها الجنرال كوزما دريفيانكو ، على حين ترى أن عدد الموظفين فى البعثة التى تمثل جامعة الأمم البريطانية لا يزيد على اثنين وثلاثين . وليس للروس عمل يؤدونه فى احتلال اليابان ، ويكاد عمل دريفيانكو ينحصر فى تسديد سهام النقد السوفيتى إلى خطط ماك آرثر فى الاجتماعات التى يعقدها

المجلس مرتين كل أسبوع ، وهى سهام يتولى توقيها وردها جورج آتشيسون مندوب ماك آرثر فى المجلس .

وأما الناحية الأخرى ، فإنك تجد أساليب السوفيت أوقع فى النفس وأجدى . فمحطة الإذاعة الروسية القصيرة الأمواج القائمة فى سيبيريا ، توجه كل يوم إلى اليابان نقداً شديداً لماك آرثر ووابلا من الشتائم للحكومة . وعدد الذين يملكون أجهزة استقبال تستطيع أن تلتقط الأمواج القصيرة أقل من خمسمئة فى اليابان ، ولكن الطرق ممهدة لنقل هذه الدعاية إلى أذهان اليابانيين ، فلا ينقضى يوم أو يومان حتى ترى أصداءها تتردد فى صحف اليسار اليابانية .

ودراسة دعاية السوفيت لاتدع مجالا للريب فى أغراضها ، فكل شيء لا يصدر عن الجناح الأيسر يوصم بأنه «رجعى» . وهذا الدستور الجديد ــ الذى يقرر تقريراً واضحاً سيادة الشعب ، وأن البرلمان المنتخب انتخاباً حراً هو السلطة السياسية العليا فى البلاد ــ تراه قد وصف بأنه ميثاق زائف محشو بالمعانى المستترة .

ويقال للشعب إن حكومته « الرجعية » المتواطئة مع الملاك قد عطلت مشروع إصلاح توزيع الأراضى ، والحقيقة أن التدابير اللازمة لاستئصال النظام الإقطاعى الخاص بالزراع المستأجرين ، قد قطعت شوطاً كبيراً ، وهى تدابير تمكن ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ من الزرّاع المستأجرين ، لأول مرة فى التاريخ ، من الحصول على الأرض بثمن قليل وشروط هينة ، وعلى جناح السرعة .

وكانت التهم التى تكال للحكومة بأنها تحمى « زايباتسو » أو « عصبة المال » ، وتتنكب طريق الإصلاح الاقتصادى ، تذاع فى الفترة التى شهدت تصفية « شركات الأسر » الضخمة ، وعرض مشروع قانون على البرلمان بفرض ضريبة على رؤوس الأموال تصادر بمقتضاها ٩ فى المئة من ثروات الأفراد ، ونظر مشروع آخر يقضى بإلغاء غرامات الحرب المستحقة للمصارف والصناعة الخاصة والتى تبلغ ألف مليون ريال .

وفى طوكيو مجلة لانعرف الموارد التى تمدها بالمال ، واسمها « الثقافة السوفيتية» ، وهى أصرح قولا من معظم المنشورات الشيوعية . وهى تؤكد لقرائها أنك « لن تجد بطالة فى روسيا » ، وأن الأسعار فى روسيا رخيصة والبضائع وفيرة ، ولكيلا يفوت الجياع العاطلين من اليابانيين معنى هذه الأقوال ، ترى المجلة قد وضحت مغزاها فى مقال افتتاحى جاء فيه : « إن تعمير اليابان لن يتم بالاقتصاد الحرّ أو النظام

الرأسمالى ، فيبنغى لليابان أن تتطلع إلى ثمرة التجربة السوفيتية » .

وتجد فى مدينة طوكيو ومدينة كيوتو العريقة فى الثقافة ، مدارس زاخرة يديرها الحزب الشيوعى ، ورجالها ممن تعلموا فى موسكو ويِنان وتخصصوا فى تدريب عمال الحزب ومنظميه . ومنهاج هذه المدارس حافل بدروس الدعاية والتنظيم السياسى والتغلغل الخفى .

ويتساءل كثير من اليابانيين : لِمَ لا يضع الأمريكيون حداً لهذه المساعى ؟ أما الجواب فهو أن النظام الديمقراطى لا يمنع المعارضة المتطرفة التى تناهض النظام القائم من حق الجهر برأيها ولا من النقد وتهييج الخواطر ولو شوهت الحقائق ، وعلى كل امرىء أن يميز الحق من الباطل . أما أن تخنق الصحافة ، وتغلق المدارس ، وتضطهد الشيوعيين ، فتلك طريقة الحكم الجامع اليابانى و « الديمقراطية » السوفيتية .

وماك آرثر عارف بما يتم ، بيد أنه لم يزل على اقتناعه بأن الديمقراطية الصحيحة ستجتاز العاصفة بسلام . وقد أمر معاونيه أن يخففوا جهدهم من الرد على الدعاية بمثلها ، وأن يجعلوا همهم إقامة الدليل على نفع الديمقراطية فى حياة الناس . وهو لا يخشى أحزاب اليسار التى ليست شيوعية ، ولم يحجم فى بعض الأحيان عن أن يحيد عن السنّة الأمريكية المتبعة ، كالبحث فى تحويل المناجم ملكاً للأمة إذا رأى أن ذلك ينفع اليابان ، ولكنه كشف لليابانيين عن خوفه من «أن يعثر شعب طال زمن خضوعه لفلسفة متطرفة فى المحافظة ، فيقع فريسة سهلة لأولئك الذين يحاولون أن يخضعوه لفلسفة اليسار المتطرف » .

فى الصيف الماضى أجرت صحف أساهى استفتاءً دلّ على أن أحزاب المحافظين قد فقدت كثيراً من منزلتها منذ تمّ الانتخاب العام ، ولكن ما خسرته نال أكثره الاشتراكيون الديمقراطيون، وأما الشيوعيون فلم ينالوا منه سوى شىء قليل . وقد أبى الاشتراكيون حتى الآن كل دعوة وجهها إليهم الشيوعيون لإنشاء «جبهة ديمقراطية» ، وهم فى نظر عدد من أهل الرأى الحزب المرجو للسير باليابان فى الطريق الوسط المفضى إلى برّ الأمان .

وهناك دلائل تدل على أن اليابانيين سيهتكون القناع عن أباطيل « الديمقراطية السوفيتية » ويتجنبون اليسار المتطرف . ولعل ذكريات المحن فى ظل طغيان سابق ، تنقذ اليابان من العبودية فى ظل طغيان آخر .

درس من فنان

ستيفان زفايج

مختصرة من مجلة "كاثوليك ورلد"

كنت وأنا فى الخامسة والعشرين من عمرى فى باريس ، أدرس وأعالج الكتابة ، وكثر ثناء الناس على ما أنشر من فصول الأدب ، وكنت أنا نفسى معجباً ببعضها . بيد أنى كنت أشعر فى قرارة نفسى أنه كان فى وسعى أن أكتب خيراً مما كتبت ، غير أنى لم أكن أستطيع أن أتبين مكان الضعف فيها .

ثم جاء رجل عظيم فألقى علىّ درساً عظيماً : كان من الأحداث التى تبدو للمرء قليلة الخطر ، ولكنها تنتهى إلى أن تكون تحولا حاسماً فى حياته كلها .

كنت ليلة فى دار فرهيرن الأديب البلجيكى الذائع الصيت ، فسمعت مصوراً طاعناً فى السن يرثى لفن صناعة التماثيل وما صار إليه من انحطاط . ولما كنت يومئذ شابًّا متحفزاً للنضال ، فقد عارضته الرأى معارضة عنيفة ، وقلت : أفليس فى الناس ، وفى هذه المدينة خاصة ، مثّال يضارع ميخائيل أنجلو ؟ وهذا رودان المثال الفرنسى ، أفلا تظن أن تماثيله « المفكر » و « بلزاك » سوف يبقيان على الدهر بقاء المرمر الذى صنعا منه .

فلما سكنت فورة حديثى ربّت فرهيرن على كتفى مداعباً وقال : « سوف أذهب غداً لأزور رودان ، فتعال معى ، فكل امرىء يحب رجلا كحبك ، فمن حقه أن يزوره ويلقاه » .

فاستخفنى الفرح ، ولكن ما كاد فرهيرن يقدمنى فى اليوم التالى إلى رودان حتى احتبس لسانى فلم أنطق . فلما انطلق الصديقان القديمان يتجاذبان أطراف الحديث رأيتنى بينهما كالمتطفل الثقيل عليهما .

ولكن أعظم الناس شأناً هم أرق الناس قلوباً ، فحين انفتلنا لننصرف ، التفت إلى رودان وقال : « أظنك تحب أن ترى تمثالا أو تمثالين من صنع يدىّ ، ولكن أخشى أن لا يكون عندى منها شىء . فتعال يوم الأحد لنتغدى معاً فى دارى بقرية مودون » .

وبلغت داره الريفية الحسنة البسيطة ، وقُدم إلينا طعام حسن بسيط . وسرعان ما اصطلحت نظرات عينيه الوادعتين ورقة

حاشيته على نفى الدهشة والحيرة على نفسى .

فلما دخلنا غرفة عمله ، وهى بناء ساذج له نوافذ رحيبة ، رأيت تماثيل تم صنعها ، ومئات من قطع صغيرة مصنوعة من الصلصال لم تتم — ذراع ، أو يد ، أو إصبع ، أو مفصل إصبع ، ورأيت تماثيل بدأ فى صنعها ثم هجرها ، ومناضد عليها أكوام من الرسوم . إنه مكان يوحى إليك بأن صاحبه قد أنفق العمر فى عمل دائب وتطلع لا يهدأ .

لبس رودان مئزراً من الكتان ، فإذا هو فى عينى رجل من العمال. ثم وقف أمام قاعدة لتمثال ، وقال لى وهو يميط مُلاءة ندّية عن بدن امرأة أبدع صوغه من الصلصال :

« هذا آخر ما صنعتُ ، وأظنه قد أشرف على التمام » .

وإذا هذا الشيخ الوثيق التركيب العريض المنكبين الذى اشتعل الشيب فى لحيته ، يرتدّ خطوة لينعم النظر إلى صنع يده ويقول:

« أجل ، أظنه قد تمّ تمامه » .

وما هى إلا نظرة فاحصة حتى غمغم يقول : « هنا ، على منحنى المنكب شىء من الجمود . هل تأذن ؟ »

ثم تناول شفرة مصنوعة من الخشب ومر بها مراً رفيقاً على الصلصال الناعم ، حتى صقل المنكب وتلألأت عليه نضرة اللحم الحىّ . وإذا عنفوان الحياة يدب فى يديه القويتين ولمعت عيناه وهو يقول : « وهنا . . . ثم هنا . . . » وعاد يغير شيئاً هنا وشيئاً هناك . ثم ارتد خطوة ، وبعد قليل أدار قاعدة التمثال وهو يحمحم بصوت أجش ، وبرقت مقلتاه فرحاً ، ثم انعقد ما بين حاجبيه كدراً ، وأخذ قطعاً صغيرة من الصلصال وجعل يعجنها بأصابعه ، ويضع بعضها على التمثال ويزيل بعضاً منها بشفرته .

وظل على ذلك نصف ساعة ، ثم ساعة . . ومضى لم يكلمنى قط كلمة ، فقد ذهل عن كل شىء إلا عن طيف الصورة الرائعة التى يريد أن يصوغها . كان فناناً قد استغرقه فنه .

وأخيراً تنفس الصعداء مرتاحاً ، وألقى شفرته جانباً ، ولف الملاءة الندّية حول التمثال بيد رفيقه كأنه عاشق يضع المعطف على كتفى حبيبته . ثم دار لينصرف ، وعاد كما كان ذلك الشيخ الضخم الوثيق التركيب .

وما كاد يبلغ الباب حتى وقعت عينه علىّ ، فحدّق فىّ واجماً . لم يتذكر وجودى إلا عندئذ ، فانتفضت نفسه أسفاً لما كان من جفائه ، وقال : « سامحنى يا ابن أخى ، لقد أُنسيتك كل النسيان . وأنت تعلم . . . » فأخذت يده بين يدى وشددت عليها شاكراً له . ولعله أدرك طرفاً مما كنت أشعر به ،

فقد رأيته يبتسم ، ووضع يده حول منكبي ونحن في طريقنا إلى خارج الغرفة .

ويومئذ تعلمت شيئاً أعظم من كل ما تعلمته في المدارس . فمنذ ذلك اليوم عرفت كيف ينبغي للمرء أن يصنع الشيء الذي يريد صنعه ، إذا سرّه أن يكون عمله متقناً حقيقاً بالتقدير .

لم تثر كوامن نفسي قط كما ثارت حين عرفت أن الإنسان قد يستغرقه عمله حتى ينسى الزمان والمكان والعالم الذي حوله . وفي تلك الساعة أدركتُ سرّ الفنون جميعاً ، وسرّ الأعمال المجيدة التي قام بها البشر — حصر الذهن ، وحشد المرء كل قواه لإنجاز العمل الذي بين يديه صغيراً كان أو كبيراً ، وقدرة المرء على أن يلمّ شعث إرادته ويوجهها إلى إتمام شيء واحد .

وعندئذ أدركت ما كان ينقصني في إجادة عملي — تلك الحماسة التي تمكن المرء من أن ينسى كل شيء سوى طلب الكمال . فينبغي للمرء إذن أن يكون قادراً على أن يفنى فيما يعمل . فذلك هو سرّ النجاح ، كما أعلم الآن ، ولا سرّ سواه .

اللباقةُ براعة تُكسبك الظفر
في الجدال دون أن تكسبك عدوًّا .

[هوارد نيوتن]

المتصابية

لبست سيدة أمريكية بدينة ثوباً أحمر فاقعاً وتختمت بالماس وذهبت إلى فنان اشتهر بابتكار الأزياء لملابس النساء وسألته : « مستر ورث ، أيُّ الألوان أفضل لي ؟ » فصعّد الرجل نظره فيها وصوّب ثم قال : « سيدتي العزيزة ، لما خلق الله الطائر الطنّان والفراشة جعل أثوابهما ناضرةً زاهية ، بيد أنه لما خلق الفيل جعل لونه أغبر كالثرى » . [كتاب « شخصية الملابس »]

قال أبو عبيدة : أجريت الخيل فطلع منها فرس سابق للخيل فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب من الفرح ، فقال له رجل بجانبه : يا فتى ، هذا الفرس فرسك ؟ فقال : لا ، ولكن اللجام لي . [عيون الأخبار]

بيفن : حياته وسياسته

ألن ميكى



أقوى الرجال نفوذاً
فى وزارة العمال البريطانية

ليس فى ميدان السياسة البريطانية رجال يضارع تشرشل فى تنوع المواهب وقوة التأثير فى الناس سوى إرنست بيفن ، ذلك الرجل العصامى الضخم الجثة القوى الشكيمة ، الذى كان رئيساً لاتحاد بعض نقابات العمال فأصبح وزيراً لخارجية بريطانيا ، والذى يردّ إليه الفضل ، إن صدقاً وإن كذباً ، فى توجيه سياسة وزارة أتلى ، لا فى الشئون الخارجية وحدها بل فى الشئون الداخلية أيضاً . وتتداول الألسنة نكتةً قد يكون فيها شىء من المبالغة ولكنها تدل على الرأى السائد بين الشعب ، فيقال: « إن أتلى يلقب برئيس الوزراء ، وموريسون يظن أنه رئيس الوزراء ، أما بيفن فهو رئيس الوزراء » .

وقد واجه حزب العمال ، حينما تولى الحكم ، ما يُسمى بمعركة بريطانيا الثانية إذ كانت تتهيأ لمعركة أخرى لابدله من الغلبة فيها حتى تخرج البلاد سالمة من محنتها. وحزب العمال عظيم الثقة بقدرته فى معالجة الشئون البريطانية الداخلية، ولديه فئة من رجال الحكم القادرين الذين برهنوا على كفايتهم فى وزارة تشرشل الائتلافية ، أما فى الشئون الخارجية فقليل من رجاله من تمرّس بتصريفها . وكان أتلى يريد لبيفن أن يتولى وزارة المالية ، وهو المنصب الذى كان بيفن نفسه يتطلع إليه ، إذ قال مرة لبعض أصدقائه : « لو أتيح لى أن أتولى وزارة المالية خمس سنوات ، لأحدثت من التغيير فى هذه البلاد ما لا يتسنى لأحد بعدى أن يردّه إلى هيئته الأولى » .

دخل أتلى قصر بكنجهام لينال موافقة ملك بريطانيا على تعيين المرشحين للوزارة ، فلما خرج أعلن أن بيفن هو وزير خارجية بريطانيا الجديد .

ألن ميكى : هو محرر ريدرز دايجست الطواف ، وقد عهد إليه أن يكتب عن شئون بريطانيا التى عاش فيها سنوات عديدة .

ويقول المطلعون إنه حينما عُرفت أسماء المرشحين للوزارة تآزر تشرشل والملك جورج السادس على إقناع أتلى بأن بريطانيا العظمى فى حاجة إلى مساوم شديد المراس ، حتى تتم على يديه تلك الصفقات التى ستسمى معاهدات السلم ، وأن أصلح أعضاء الحزب لهذا المنصب هو بيفن . وبالرغم من أن تشرشل يعدّ ظفر العمال فى الانتخابات إهانة له هو نفسه ، وكارثة نزلت بوطنه ، إلا أنه كان مؤمناً بأنه يستطيع أن يعتمد على زميله فى وزارة الحرب فى اتباع المناهج التى مهدها هو للسياسة الخارجية .

فالمناهج الجديدة التى يسلكها بيفن لا تختلف شيئاً عن مناهج تشرشل وإيدن ، حتى لقد بدأ التذمر يشيع بين أهل اليسار من أعضاء مجلس العموم بعد أن فرحوا بتعيين بيفن ورأوا ذلك بشيراً بتوجيه علاقات بريطانيا العظمى بالعالم وجهة جديدة مطابقة للمبادىء الاشتراكية . ولما وقف بيفن ليلقى أول خطبه فى مجلس العموم وجد نفسه يقابل بالتصفيق من مقاعد المحافظين ، وبالصمت والوجوم من زملائه العمال .

فصاح بهم مغضباً : « لقد قيل لى إنه إذا صفقت المعارضة لكلامى فهذا دليل على أننى وقعت فى خطأ . إن الناس كافة يتوقعون منى أن أغير سياستنا الخارجية، ولكن هؤلاء ينسون أن الحقائق لا تتغير » .

فمن الحقائق الأولى ، فى نظر تشرشل وبيفن على السواء ، صدّ كل خطر يهدّد المواصلات بين بريطانيا وممتلكاتها وأجزاء إمبراطوريتها . فبيفن ، كتشرشل ، مقتنع بأن الاتحاد السوفيتى يحاول « قطع شريان الإمبراطورية البريطانية » .

وقد دهش البريطانيون لما اختير بيفن لوزارة الخارجية ، فقد ظلت عامة الشعب إلى سنة ١٩٤٠ تتصوّره رجلاً مشاغباً لا يُرَى إلا مهدّداً بإضراب أو متزعماً لإضراب .

وكان الفقر الذى عاناه بيفن فى مطلع العمر هو الذى نهج له مسلكه فى الحياة العامة . كانت أمه قابلة القرية ، وكان أبوه ــ وقد مات فى سنة ١٨٨١ قبل ولادة بيفن بأشهر قلائل ــ من عمال الزراعة فى قرية ونسفورد بمقاطعة سومرست ، وماتت أمه وهو فى السادسة ، ولما بلغ الحادية عشرة أخرج من المدرسة وألحق بخدمة بعض الجيران من المزارعين ليتمرّن على الزراعة ، فكان يعمل من الفجر إلى الغَسق كل أيام الأسبوع لقاء أجر قدره نصف شلن فى الأسبوع .

وبعد سنتين تشاجر الرجلان ، بيفن

ومستأجره ، فحزم كل ماتملكه يداه فى منديل أحمر ويمم شطر بريستول حيث كان يقيم أحد أخويه ، وتنقل فى السنتين التاليتين فى أعمال مختلفة تتخللها فترات من البطالة ، فكان صبي مطعم ، ومساعد بائع فى متجر ، وسائق عربة لتوزيع زجاجات شراب الزنجبيل . أما فى يوم الأحد فكان يحضر الدروس التى يلقيها أنصار الاشتراكية على الشبان .

كانت بريستول فى ذلك العهد واقعة فى براثن أزمة شديدة ، فثلاثة أرباع عمال الموانىء متعطلون ، وهبط أجر العامل الماهر حتى صار قرشين فى الساعة ، فألف بيفن وبعض أصحابه لجنة سمّوها « لجنة حقّ العمل » وتولى هو منصب السكرتير بلا أجر.

وفى ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٠٨ ، قاد بيفن صفوف العمال العاطلين إلى كنيسة المدينة ووقف بهم عندها وأوصاهم بالهدوء ، فلما أخذ القسيس يلقى عظته كان وقوفهم صمتهم شاهداً ناطقاً على تحكم الفقر فى بريستول . فثارت نخوة المصلين ، وطالب رجال الكنيسة ببذل الجهد فى علاج هذه النازلة ، ووضع بيفن خطة عامة لتخفيف أزمة البطالة . وقرر شيوخ المدينة إنشاء بحيرة سماها العمال ، تعبيراً عن شكرهم ، « بحيرة بيفن » ، ولا تزال تعرف بذلك إلى اليوم .

وفى سنة ١٩٢٢ جمع مندوبو أربع عشرة هيئة كبيرة من هيئات اتحاد عمال النقل ، أن تندمج هذه الهيئات جميعاً وتصير اتحاداً واحداً جديداً ، واختارت بيفن سكرتيراً عاماً . وهذه الهيئة هى اليوم أكبر اتحاد للعمال ، إذ تضم ٤٥ اتحاداً كان كل منها مستقلا عن الآخر ، وبلغ عدد أعضائها ١٫١٠٠٫٠٠٠ . وكان من مهارة بيفن فى وضع خطة الاندماج أن مرت على هذه الهيئة ، وهى ثابتة لا تتغير ، خمس وعشرون سنة كلها كفاح ٌ وجهاد ٌ .

حين سئل تشرشل لماذا ضم بيفن إلى وزارته أجاب بأنه يرى أن بيفن هو أقدر رجل فى عالم الصناعة البريطانية . وكان هناك سببٌ أعظم من هذا قضى بضم بيفن إلى الوزارة الائتلافية بعد سقوط تشمبرلن ، ذلك بأنه هو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يجند طوائف العمال لمواجهة الأخطار الداهمة التى تستتبعها الحرب الشاملة .

فلما صار وزير العمل أصبحت له السيطرة المطلقة على ٢٥ مليوناً من الرجال والنساء ، وهى سيطرة لم توكل إلى شخص من قبل فى بريطانيا منذ أيام كروموبل ، فأهدر بيفن كثيراً من حقوق اتحادات العمال بعد أن جاهد كثيراً فى الظفر بها ، كحق العمل ٤٠ ساعة فى الأسبوع ، وحق الإضراب .

وفُرِضَ على كل عامل التزام عمل معين إلا إذا شاء بيفن أن يوجهه وجهـة أخرى ، وقيـل لأصحاب المصانع إن الأرباح ستظل محددة ، وإنهم لن يكونوا أحراراً فى استخدام العمال وفصلهم ، وإن الأجور ستبقى ثابتة . فأصبح من المعترف به ، يوم انتهت الحرب ، أن نصيب بيفن فى تحقيق النصر يكاد يضارع نصيب تشرشل .

ولم يزل بيفن ، منذ كان يراقب السفن داخلة خارجة فى بريستول ، يراعى فى أعماله مبادىء التعاون الدولى ، وكثيراً ما حضّ عمال الاتحاد على الاهتمام بمشاكل العمال فى الميدان الدولى . وقد طالب فى مكتب العمل الدولى بجنيف فرض مهـلة قدرها خمس سنوات لتنفيذ القوانين التى تكفل سلامة عمال الموانىء فى العالم أجمع .

أما فى شئون بريطانيا ، فهو الذى حمل حزب العمال على ترك سياسة الملاينة ، واتخاذ الحزم فى أمر النازية والفاشـية وتهديدهما المتفاقم ، وقد عدّ بيفن نفسـه فى حرب بينه وبين موسولينى وهتلر منذ اللحظة التى قضى فيها هذان الحاكمان بأمرهما على حقوق العمال فى بلديهما .

وقد عمد تشرشل قبل الحرب بسنتين ، وكان وقتئذ خصماً لتشمبرلن وأنصاره من المحافظين من أجل إهمالهم لتسليح بريطانيا ، إلى تنظيم سلسلة من اجتماعات تتم كل شهر ليست لها صفـة رسمية ، بل يجتمعون على غداء أو عشاء فى فندق سافوى بلنـدن . وكان يحضرها سير نورمان أنجيل ، وسير والتر سترين ، مدير مؤتمرات اتحاد نقابات العمال ، وكان بيفن يحضرها أيضـاً ويتكتم نبأها حتى لا يسىء رفقاؤه العمال فهم صداقته الجديدة لهذا السياسى المحافظ الذى صارعه بيفن أشـد صراع فى أيام الإضراب العام سـنة ١٩٢٦ . وفى هذه الاجتماعات راد التفاهم بين تشرشـل وبيفن ، ودلّ اهتمام تشرشل ببيفن على بعد نظره ، إذ كان مؤمناً بأن الحرب توشك أن تشب نارها ، وأحسّ فى قرارة نفسه أن القدر سيختاره ليحمل عبئها ولكنه يريد يوم يحمل هذا العبء أن يجد النصرة من عمال الاتحادات ومن رئيسهم .

ومع أن بيفن كان من أقدم أصدقاء الثورة الروسـية ، إلا أنه خضع بعد ذلك لتأثير عاملين اصطلحا على تغيير وجهة نظره : أولهما أنه كان من عمال الاتحادات ، فأحنقته تلك القيـود التى تحدّ من حرية الفرد كما فرضها نظام لينين وستالين . أما الثانى ، وهو أمسّهما بخاصة نفسه ، فهو كرهه الشديد للشيوعيين البريطانيين ، لأنهم يبذلون كل جهد للتسلل إلى اتحادات العمال وتقويض سلطانه عليها .

وقد قال بيفن مرة في زمن الحرب : « ليست وظيفتي أن أعمل لنصرة الاشتراكية بل لترويض النظام الرأسمالي » . وفي هذا القول نصيب من الصدق ، فإنه يؤثر ديمقراطية مستندة إلى نظام رأسمالي مستنير، على نظام اشتراكي صرف . ويتوقف مستقبل العمال ، في رأيه ، على « تعاون يتم بين العمال وبين طبقة مستنيرة من أصحاب المصانع، لكي يكفل للعمال فوراً مستوى كريماً في المعيشة لا يزال يرتفع على الأيام ، ولكي يأتي يوم يتم فيه القضاء ، بلا عجلة ولا عنف مؤلم ، على الحافز الذي يجعل جني الأرباح كل هم رجال الصناعة » .

وبيفن على ضخامته وبدانته حديد موقد الذهن . ومن العجب أن تجد رجلا مثله واسع المعرفة قد نال ما نال بتعليم نفسه بنفسه ، وهو مع ذلك يرتكب الأخطاء الفاحشة في الإنجليزية ثم يسخر بأخطائه . ولما نزل أرض روسيا سأله أحد الصحفيين : « أتحسن الكلام بالروسية ؟ » فنظر إليه بيفن متعجباً وقال : « ويحك يا فتى ، والله ما أحسن أتكلم الإنجليزية ! »

وبيفن يؤثر البساطة في معيشته ويحرص كل الحرص على الخلوة ، فلا يقابل إلا قليلا من الصحفيين . ولم يزد دخله ، إلى أن صار وزيراً ، على ألف جنيه في السنة يضاف إليها مبلغ مخصص لبعض نفقاته ولسيارة وسائقها ، أما مرتبه الآن في الوزارة فهو أربعة آلاف جنيه ، وله أيضاً بيت يسكنه إذا شاء مجاناً وسيارة فخمة ، ولكنه لا يزال يقطن هو وزوجته في شقتهما القديمة في حي كنسجتون بلندن .

وقال بيفن مرة : « إن غايتي من سياستي الخارجية ، أن يصير في وسعي أن أدخل محطة فيكتوريا فأشتري تذكرة فأسافر إلى حيث أشاء دون حاجة إلى جواز سفر » . ولكن هذه مبالغة في تبسيط سياسته الخارجية .

ويحمل بيفن تبعة جسيمة ، ألا وهي إيجاد التناسق بين قوى بريطانيا العظمى بعد الحرب وبين الحقائق العالمية الجديدة ، وعلى رأسها حقيقة لا سبيل إلى إنكارها وإن تألم لها بيفن ، وذلك أن بريطانيا التي كانت على رأس الدول قاطبة في قوتها الصناعية وقوتها البحرية ، قد أخذت منذ خمس وستين سنة (أي منذ ولد بيفن) تتدهور حتى هبطت إلى منزلة أدنى من منزلة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . وهو لا يغفل لحظة عن أن بلاده الصغيرة الرقعة المزدحمة بالسكان معرضة للهلاك إذا ما نشبت في المستقبل حرب ذرية . ولذلك أصبح همه الأول أن يضع نظاماً يكفل استتباب الأمن

والسلم ، وهو يرى أن هيئـة الأمم المتحدة لا تزال إلى اليوم هشة الكيان ، وإن كان هو نفسه أكثر السياسيين جهاداً فى أن ينفخ فيها روح الحياة .

وأشد خطر على السلم — فى رأى بيفن — هو تصميم روسيا على أن تتخذ ما أحرزته من نصر فى الحرب أداة لتوسيع رقعـة أرضها ونشر مذهبها الشيوعى . ويريد بيفن أن يتـولى بنفسه الإشراف على تصفيـة الإمبراطورية البريطانية عن رضى واختيار وبخطوات بطيئة، ولكنه يخشى إذا ماانسحبت بريطانيا من الشرق الأدنى والشرق الأقصى والهند ، أن تخلف وراءها فراغاً يسارع الروس أوالعناصر الخاضعة لنفوذهم إلى ملئه. وهو يرى أن روسيا متأهبة لحمل تلك «الأمانة» التى سماها الشاعر البريطانى كبلنج « عبء الرجل الأبيض » .

وقد رمى بيفن منذ أول الأمر إلى أن ينال تأييد الولايات المتحدة فى معارضة مطامع روسيا الاستعمارية دون أن ترتبط الدولتان بتحالف رسمى ، ويعتقد بيفن أن توفيقه فى نيل هذا التأييد بعد سنة واحدة من توليه هو أكبر ظفر حازه فى حياته السياسية. ولما خطب برنز فى نهاية مؤتمر الصلح بباريس، وصلته من وزارة الخارجية البريطانية رسالة سرية مهمة فلما فضها وجد فيها : « أهنئك ياصديقى ، وهذا شعورى أنا أيضاً — بيفن » .

وكثيراً مايقول بيفن إن الحرب القادمة ستنشن على الفقر والجهل وعلى الأسباب التى تدفع الشـعوب إلى الحروب . ومن آرائه التى جاهر بها مراراً أن معاهدات الصلح ، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، ينبغى أن تقـوم على كفالة الرخاء الاجتماعى لا على التـدابير العتيقة التى تمثلها سياسة القوة والضرورات الحربية . وقد حمله نفاذ بصره فى الحين بعد الحين على أن يدعو إلى تطبيق نظام جامعـة الأمم البريطانيـة فى الميدان الدولى ، فكان أول سياسى من ساسة الأمم الكبيرة قام يدعو إلى إنشاء جمعيـة عالمية وبرلمان عالمى تختار الشعوب ممثليها فيـه ، وتتنازل له كافة الدول عن قسط من سيادتها العزيزة عليها .

ومع أن بيفن لايزال يجاهر بالدعوة إلى اتباع هذه المبادىء ، إلا أنه يسلم فى حديثه مع خاصة أصحابه ، بأن ضغط روسيا على العالم هو أقوى دافع يميل به عن نهج مبادئه السامية، ويضطره إلى اتباع سـياسة القوة التى كان يتبعها أسلافه من رجال الحكم فى بريطانيا .

التشخيص فن جميل

هنري مورتون روبنسن

« إياكم والتسرع فى التشخيص » هذا تحذير يلقيه كل طبيب كبير على تلاميذه . ولما كان الطبيب الحديث يعلم أن الأمراض الخطرة تتنكر فى أقنعة ختالة قد تضلل أحكم الحكماء ، فهو يحرص أشد الحرص على أن يراجع تشخيصه على نتائج التحليل . بيد أن كل طبيب قد سره يوماً ما أن يهتدى إلى علامة خفية أو عرض هادٍ يعينه على تشخيص إحدى العلل لأول وهلة . ولا بد من سعة المعرفة فى نواحى الطب ، ومن الملاحظة الدقيقة النافذة ، ومن البصيرة الصافية اللماحة لكل طبيب يمارس الفن الجميل المعروف بالتشخيص — كما يتجلى لك من القصص التالية :

دخل رجل كهل عيادة الدكتور فرانك بلنجز فى يوم قائظ وهو يقول : « أدركنى يادكتور فقد كاد سعال التدخين يخرجنى عن طورى » . وكان الشق الأيسر من وجهه يتفصد عرقاً ، أما الأيمن فمن العجب أنه كان جافاً كصفحة الصخر ، ولاحظ الدكتور أيضاً أن عينه اليمنى كانت غائرة شيئاً قليلا .

وهذه الملاحظة الخاطفة جعلت الدكتور يقرر أن الرجل مصاب بسرطان فى الرئة اليمنى . كان استنتاجه هذا حلقات مترابطة من فن التشخيص ، فهو يعلم أن السرطان إذا كان فى قمة الرئة قد يمتد أحياناً إلى قريب من العقد اللمفاوية فى العنق . ثم إن ذلك يحدث ضغطاً (أو يورث شللاً) فى بعض الأعصاب المهيمنة على العين وعلى ما فى الوجه من غدد العرق . وكان السعال المبحوح الذى لا يختلف عن سعال التدخين ، عوناً للدكتور فى التشخيص الذى عززته الأشعة فيما بعد .

امرأة فى أوائل العقد الرابع من عمرها تنظر نظرة القانط فى العينين النافذتين اللتين ينظر بهما إليها أحد الأطباء الممتازين ، وكانت شفتاها وأظافرها ضاربة إلى الزرقة ، وتكتنف عينيها غضون من التجاعيد الدقيقة . وكانت

شكاتها صداعاً واصباً آذاها فى رزقها من الخياطة أذى بليغاً .

فسألها الدكتور سؤالاً سديداً: «أتكثرين من تعاطى مساحيق الصداع ؟ »

قالت : « أجل يادكتور ، ثلاث مرات أو أربعاً فى اليوم ، وهى كثيراً ما تريحنى » .

فقال : « ربما كانت لك فيها راحة ، ولكن انظرى » . وأومأ إلى أظافرها الزرق « لقد أورثتك شر تسمم بالأسيتانيليد »

فلما أقلعت عن تعاطى المساحيق ، أخذت تزول شيئاً فشيئاً تلك الزرقة التى جاءت من كثرة الأستيانيليد فى الدم . وكان اعتلال بصرها هو الذى أحدث التجاعيد حول عينيها ، وهو سر صداعها ، فلما اتخذت لعينيها نظارة موافقة لها ، صلح بصرها وذهب عنها الصداع .

ذهب شاب مهزول إلى الدكتور ميرون سيسيت يشكو له إعياء مطرداً أخذ يعوقه عن تأدية عمله الكتابى فى محل الألبان . كان ضغط دمه منخفضاً انخفاضاً مخوفاً ، وقد تغشت ظاهر يده زرقة خفيفة .

فسأله الطبيب : « متى شعرت بهذا الضعف والتعب ؟ »

قال : « منذ فارقت عملى فى محل البقالة » .

ففكر الدكتور قليلا ثم قال : « أ كنت فى ذلك المحل تأكل قدراً كبيراً من الطعام المملح العامر بالتوابل ؟ »

فقال : « لم أكن أشبع من الفلفل المخلل والرنجة المملحة وأشباهها . ولشد ما أفتقد تلك المخللات فى محل الألبان الذى قدره الله لى »

قال الدكتور : « أيها الفتى أنت مصاب بمرض يعرف باسم « مرض أديسون » ، وأول أعراضه هو الإعياء مع هبوط فى ضغط الدم . فإنك لما كنت فى محل البقالة كان الذى يحفظ ضغط دمك مرتفعاً هو ذلك القدر الكبير الذى تلتهمه من الطعام المملح المطيب بالتوابل ، وبذلك أيضاً أخفيت أهم الأعراض الدالة على مرضك . أما الآن حين بدلت مكان عملك ، فقد انحسر القناع عن مرضك ، وبدت حقيقة مرضك سافرة للعيان » .

ومرض أديسون ينشأ من اضطراب فى الغدة الكظرية ، وقد ظل المصابون به إلى عهد قريب مكتوباً عليهم أن يموتوا من جرائه موتاً بطيئاً ، بيد أن هذا الفتى قد استرد قوته بعد أن عولج بالكورتين المستخرج من غلاف الغدة الكظرية ، وهو يعيش اليوم فى أتم عافية .

بلغ الدكتور برتون تشانس أن إحدى

مريضاته ، وهى سيدة من عقائل البلد ، قد أخذت تسرف على نفسها فى الشراب ، حتى رآها الناس مراراً تترنح فى الطريق . فلما جاءت ودخلت غرفة الكشف جعلت تمايل بين الكراسى والموائد ، وقد كان الدكتور يعلم أنها امرأة لا تسرف فى طعام ولا شراب ، فارتاب فى سر هذا التمايل وظنه يرجع إلى ضعف فى البصر ، ولكن لم تكد تجلس حتى انحنت والتقطت نسيلة من خيط لا تكاد العين تتبينها .

كانت هذه النظرة النافذة المسدّدة إلى أمام ، دليلاً هدى الدكتور إلى تشخيص مرضها ، فقد ردّ سبب ترنحها إلى آفة تحول بينها وبين تحويل نظرها إلى أحد الجانبين ، وتجلى من الفحص أن هناك ورماً يضغط على أعصاب البصر عند طرفها الخارج من المخ ، فتولى أحد جراحى الأعصاب استئصال هذا الورم ، فاستردت السيدة تمام بصرها وحسن سمعتها .

دخلت امرأة ثرية عانس سريعة الغضب عيادة طبيب من أطباء أمراض الجلد ، وشكت إليه ما تلقى من إكزيما شديدة فى يدها اليسرى ، وقالت له : « لقد رأيت عشرات من الأطباء وكلهم قال لى : إن القمح واللحم والدجاج وكل ما أشتهيه يجعلنى مستهدفة للإكزيما . ولقد حرمت على نفسى أكثر الطعام حتى كدت أموت جوعاً » .

فقال لها الطبيب مترفقاً : « لا أظن أن مردّ علتك إلى الطعام ، ولو كان ذلك كذلك لأصابت الإكزيما يديك جميعاً ، وأغلب الظن أنك تمسين بيسراك شيئاً لا تمسينه بيمناك ، أتعرفين ماعسى أن يكون ؟ »

فقالت محتدة : « كلا لست أدرى » .

وبعد قليل قرأ الدكتور فى إحدى الصحف أن هذه المرأة قد ظفرت بجائزة لما عرضته من بعض أنواع الزهور الجميلة ، فزارها فى بيتها ورآها تتعهد زهورها وفى يمناها إناء الماء، أما يسراها فكانت تتولى بها إزالة الأوراق الميتة من زهورها التى نالت بها الجائزة .

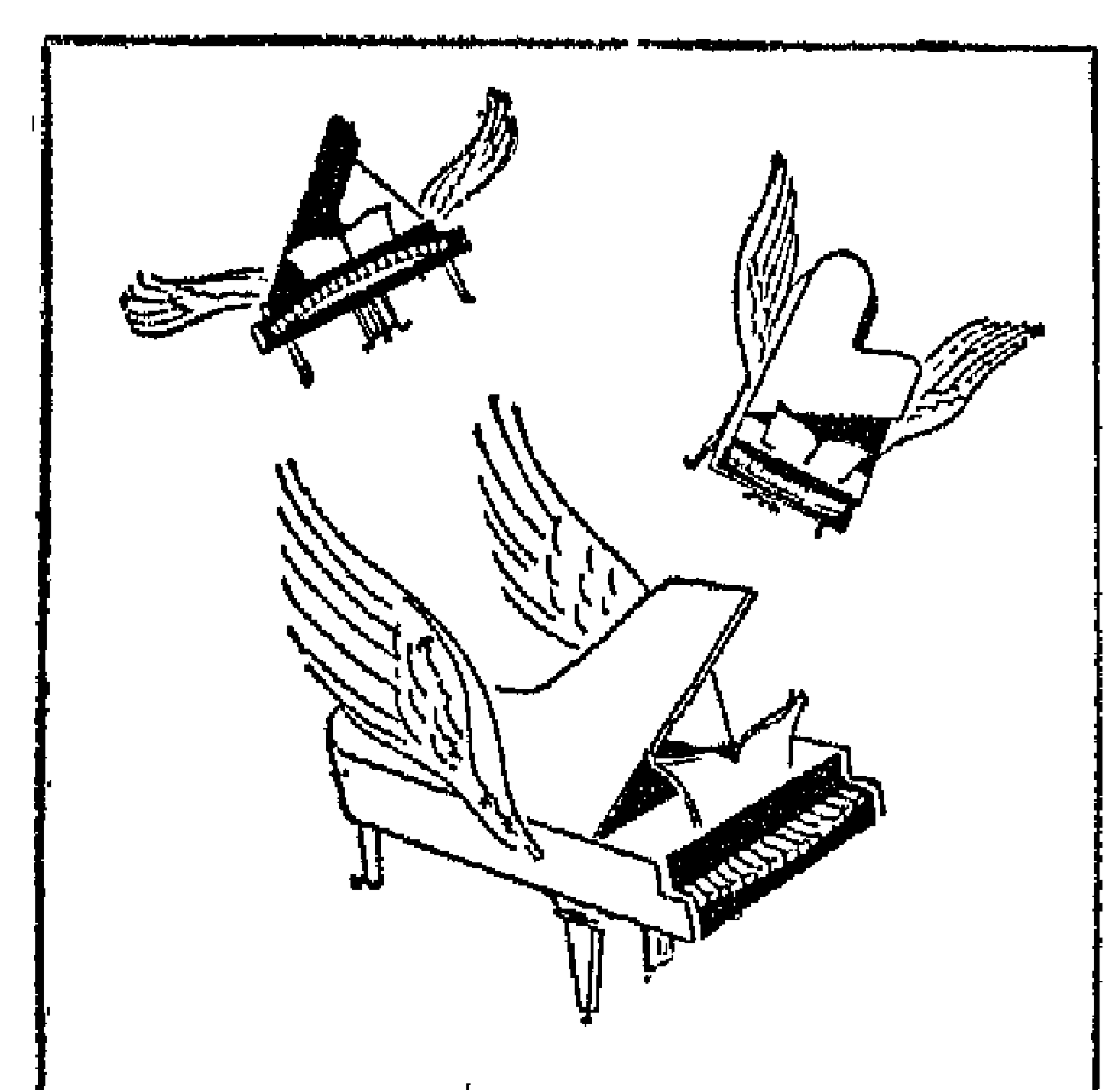
لم ينبس الدكتور بكلمة بل كتب لها على إحدى تذاكره ما نصه : « قفاز من القطن يلبس فى اليد اليسرى عند سقى الأزهار » .

ومضت أيام فتلقى الدكتور شيكا بقدر جزيل من المال ، ومعه ورقة فيها ما نصه : « إنك لست طبيباً ، بل أنت بوليس سرى » .

اللغز الخالد الذى تنطوى عليه نفوس الأطفال

فى دنيا الصغار

ج . سپ . ماك إيڤوى



لما كنت فى ريِّق شبابى وميعة صباى ، كان لى ولد يأبى أن يكلف نفســه مؤونة التمرن على عزف البيان ، فأخـذته بالشدة قائلا له : « إما أن تتمرن ، وإلا فلا مدرس بعد اليوم » ، فرأى أن ماقلته إنصاف ومعقــول ، وقنع به . فشب وكبر ولم يتعلم البيان ، فلم يزل من يومئذ على ذلك نادماً . وأنا أيضاً قد ندمت .

ولى اليوم بنت فى السابعة من عمرها تأبى هى أيضاً أن تتمرن على البيان ، ولكنى أصبحتُ اليوم أحكم من أن أخــيِّرها بين اثنتين : إما نعم وإما لا . ذلك بأنى قرأت عدداً لا يحصى من الكتب والمقالات عن نفسية الطفل ، وحُبِّب إلى رأى عالم خبير يرى أن الأطفال لا يتعلمون بالأمر ولكن بالقدوة . وملخص قوله : « أتح لصغارك أن يروا أمثلة رائعة ممن أدركوا غاية النجاح ، فسيدهشك الأثر الذى يبقى من ذلك فى نفوسهم الحساسة كألواح التصوير » .

وكان صديقى يهودى منوهن ، عازف الكمان المشهور ، قد عزم على أن يقيم حفلة فى هافانا حيث نقيم ، فقلت لزوجتى : « أيسرّك أن ندعوه لينزل فى ضيافتنا ومعه كمانه ، فقد يكون ذلك مقطع التحول فى حياة ابنتنا بات ، بل فى حياة بجى أيضاً ، فهى كأختها تأبى أن تتمرن » . ودعوت منوهن فقبل دعوتى مرتاحاً ، واستأذن فى أن يتمرن على عزفه قبل الحفلة بدلا من أن يتعشى معنــا . فرحبت بما أراد كأنى غير محتفل ، وإن كان قلبى يجيش بالفرح والغبطة . فلما جاء سرنا به إلى الحجرة التى تجاور غرفة الصغار ، وكنا قد حرصنا على استبقائهم فى الدار . أما منوهن فقد اختلى فى غرفته ومضى يتمرن طول وقت العشاء على عزف ألحان الموسيقى برامز . وجعلت أرقب الصغار وقوفاً عند بابه أو على الشرفة يصغون إليه بآذان مرهفة .

وامتلأ قلبى زهواً بما لقيت خطتى من

نجاح ، فصعدت إليهما لأبلغ الغاية فما أردت فسألتهما : « أأعجبكما ما تسمعان ؟ » فقالت ابنتي بات وهى فى السابعة : «من الرجل؟» فقلت لها إنهمنوهن أحد نوابغ عازفى الكمان فى العالم ، وسيعزف الليلة فى أكبر مسرح فى هافانا .

فسألت يجى وهى فى السادسة : « وما هذا الذى يصنعه فى غرفته ؟»

قلت متصنعاً قلة المبالاة : « إنه يتمرّن على عزف القطع التى سيعزفها الليلة » .

فقالت بات غير مصدقة : « أتريد أن تقول إنه يفعل ذلك لأنه لايعرفها ؟ »

فغاظنى قولها قليلا ، فقلت : « بلا ريب إنه يعرفها ، ولكن الفنان العظيم ينبغى أن لا يرضى بما دون الكمال ، ومن أجل ذلك ترينه مجداً فى التمرين » .

فقالت بات بعد تفكير : «فهمت» .

وبقيت أترقب فى اليوم التالى وأنا على ثقة من نجاح خطتى ، ولكنى لم أسمع أحداً يتمرن ، فتزعزعت ثقتى شيئاً قليلا، بيد أنى لم أنبس ببنت شفة ، بل صبرت حتى جاء اليوم الذي يليه ، فلم أسمع أحداً يتمرن ، فعللت نفسى بأنذلك سيكون رويداً رويداً، فعقول الصغار كألواح التصوير، ألم يقل ذلك صاحبنا العالم الخبير . غداً سأرى بات قد أخذت تتمرن .

وبعد أسبوع دخلت عليها فقلت لها كالغاضب : « لم أسمع صوت البيان فى هذه الدار منذ أيام ، فلِمَ ؟ »

فقالت : « عسى أن يكون السبب أنى لم أكن أتمرن » .

فقلت: « بلاريب. ولِمَ لم تتمرنى؟ لم؟لم؟ » ولعل صوتى كان يشى بنفاد الصبر ،فإذا هى تقول لى: « اسمع ياأبتاه .كنت أفكر فى أمر المستر منوهن،فقلت لنفسى: إذا كان لامفر له من أن يتمرن بعد هذه السنوات الطوال ، فما الفائدة ؛ فصممت على أن أدع التمرين» .

فماذا تشيرون على بأن أفعل الآن ؟

***

* كتب الحجّاج إلى المهلّب يستعجله فى حرب الأزارقة ، فكتب إليه المهلّب: « إن من البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره » .

* قال بزرجمهر : « إذا اشتبه عليك أمران فلم تدر فى أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه » .

الوراثة معقد رجاء العالم

بروس بليفن

مختصرة من مجلة "ذى نيو ريببلك"

عالم حافل بالعجائب التى كشفها العلماء فى دراسة الوراثة ، وعززت الرجاء فى وجود سلالة من البشر المتفوقين .

تقدم العلماء تقدماً عجيباً فى السنوات الأخيرة نحو حل لغز من أعظم الألغاز العلمية فتنةً — ألا وهو أصل الحياة ونشأتها والحق أن التقدم الحديث فى علوم الوراثة والتطور يبشر بسعادة البشر فى المستقبل .

ومما ييسر عليك أن تفهم هذه العظائم العلمية وتدرك مغازيها، أن نوجز لك أساليب الولادة والنمو — تلك الأفعال الأصيلة التى تتشابه فى جميع الأحياء .

إن جسم الإنسان مؤلف من خلايا دقيقة تحتوى كل منها فى نواتها على ٤٨ جسما صغيراً يعرف باسم الصِّبْغى" (كروموسوم). وفى كل صبغى" دقائق مجهرية يطلق عليها اسم « عوامل الوراثة » ، وفى هذه الدقائق يستكن لغز الحياة نفسها . والخلايا الوحيدة فى أجسام البشر التى لا تحتوى كل واحدة منها على ٤٨ صبغياً هى نطف الذكر و بويضات الأنثى ، ففى كل منها ٢٤ صبغياً لاغير . فإذا ما اتحدت نطفة الذكر ببويضة الأنثى لتوليد جسم حى جديد ، وجدتَ نصف الصبغيات فى خلايا الجنين قد جاءته من الأم ، وجاء النصف الآخر من الأب .

وكذلك نرى أن الصفات الوراثية التى تؤثر فى الذرية ترجع إلى الأبوين كليهما . خذ مثلا عوامل الوراثة الخاصة بلون العين، فما يأخذ الجنين من أبويه من هذه العوامل يعين ما يكون عليه لون عينيه في قابل أيامه. وقد كشف طرف من أساليب الوراثة من ٧٥ سنة أو أكثر قليلا ، يوم وجد الراهب النمسوى مندل ما أطلق عليه الصفات « الغالبة » والصفات « الكامنة » . وقد زاوج مندل فى تجربته المشهورة بين نبات البسلة الحمراء الخالصة و نبات البسلة البيضاء، وكان اللون الأحمر صفة «غالبة» والأبيض صفة«كامنة» ، فكان لون كل الزهر فى الجيل الأول الذى خلفه هذا الزواج هو اللون الأحمر، ولكن هذا الزهر الأحمر كان يحمل فى ثنايا كيانه عوامل الوراثة الخاصة باللون الأبيض،فذرية هذا الجيل لن يكون زهرها كله أحمر خالصاً .

كيف ينشأ الوليد من بيضة ملقّحة صغيرة لا تكاد ترى حتى يصير رجلا يبلغ وزنه ٢٠٠ رطل ؟ إنه ينمو بانشطار الخلايا ، وكذلك ينمو كل حى آخر . فكل صبغى فى كل خلية ينشطر شطرين ، فيذهب أحد الشطرين إلى طرف الخلية ، ويذهب الشطر الآخر إلى طرفها الآخر . ثم تضيق الخلية من عند وسطها رويداً رويداً حتى تصير كأنها كرتان متصلتان، وفى كل من الكرتين ٤٨ صبغياً . ثم تنفصل الكرتان إحداهما عن الأخرى ، فتصيران خليتين فى كل منهما من الصبغيات وعوامل الوراثة مثلما كان منها فى الخلية الأصيلة ، ويتكرر هذا الفعل ، فتصير الخليتان أربع خلايا ، والأربع تصير ثمانى ، وهكذا حتى تتولد ألوف الملايين من الخلايا .

وليس كل عمل عوامل الوراثة أن تحدد لون العينين والشعر وغيرها وحسب ، بل تجد كأنها تشترك معاً فى وضع خطة لنمو الجسم . وإنه لمما يذهل العقل أن يتخيل هذه العوامل جاهدة على مر الشهور والسنين فى تكوين كل عضو فى أداة الجسم المعقدة. وهى تستعين بالغدد الصم ، استعانة مباشرة أو غير مباشرة ، على إنماء الأعضاء فى مواعيدها طبقاً لجدول محكم حتى تبلغ غاية قدرتها ، إلى أن يبلغ الجسم مرحلة المراهقة . ويومئذ يبدأ الشعر ينمو على عارضى الذكر ، ويأتى انقطاع الطمث فى المرأة فى منتصف العمر . وقد يبلغ من أثر عوامل الوراثة أن تعين لك قبل أن تولد مدى حياتك — إذا استثنيت الحوادث العارضة — لأن التعمير يتحدر فى أسر دون غيرها ، وكل ما يكون من شأنه أن يتحدر فى أصلاب أسر ، فهو على الأكثر شىء تسيطر عليه عوامل الوراثة .

وقليلا ما يحدث فى عالم الطبيعة أن تتغير عوامل الوراثة فى جسم ما ، أو تدمَّر بتأثير الحرارة الشديدة أو البرد الشديد أو الشيخوخة ، وذلك يورث اختلافاً فى خواص النسل المتحدر من ذلك الجسم . ومنذ سنوات كشف أحدهم أن إطلاق الأشعة السينية يفضى أحياناً إلى تغيير عوامل الوراثة أو تدميرها . وكذلك تمَّ للعلم أن يستعمل استعمالا عظيما فعل التغير فى الأحياء .

وذباب الفاكهة (دروسوفيلا) هو من الحيوانات التى يؤثرها العلماء لتجربة هذه التجارب ، وهو ذباب يتكاثر فى معامل البحث ويخلف مئات من الذباب الصغير فى ١٢ يوماً ، فترى أهل البحث يجدونه ذا نفع عجيب فى دراسة الوراثة . وقد تمكن العلماء من أن يعينوا فى صبغيات هذا الذباب أماكن عوامل الوراثة التى ترجع إليها خواص بعينها ، كمثل لون العين وحجم

الأجنحة وغيرها . وقد تبيـنوا أما كن خمسمئة من هذه العوامل فى ذباب الفاكهة هذا .

وفى وسع العلماء اليوم أن يعرفوا مايحدث لذباب الفاكهة قبل وقوعه إذا هم عرضوه لقذائف الأشعة السينية . وربما قضت الأشعة على نصف الذباب ، ولكنك ترى بين الذباب الذى يبقى حياً ، ذباباً يخلف نسلا ، وتجد نسبة معينة من النسل قد أثر فيها التغيير الطارىء على عوامل الوراثة فصارت ذات أجنحة صغيرة ، أو عيون بيض أو غير ذلك من الخصائص الشاذة . وهذه الخصائص التى يولدها العلماء فى معامل البحث ، تورث توريثاً تاماً جيلاً بعد جيل ، مالم تتأثر بعد ذلك بتغيير فجائى يطرأ على أحـد عوامل الوراثة . ولنضرب مثلا بحيوان مألوف من الحيوانات التى تتخذ للتجارب. إن فى وسعك أن تقطع ذيول الفئران فى ألف جيل متعاقبة من الفئران، فإذا ولد الجيل الأول بعد الألف كانت له ذيول . ولكن دمر عوامل الوراثة التى تولد الذيل فى ذكر وأنثى من الفئران ، فإذا نسلهما يكون بلا ذيل إلى الأبد ، إذا أنت أصّلته بزواج الأقارب الأدنين، وتخيرت الأفراد التى بغير ذيل ثم زاوجت بينها . وكذلك ترى أن العلماء ربما بدأوا يشاهدون بأم العين كيف يتم عمل الوراثة .

وأعود فأقرر أنه من الخطأ أن تظن أن عاملا واحداً من عوامل الوراثة ينهض بوظيفة خاصة بغـير معين . والرأى عند العلماء اليوم هو أن كلّ عامل من عوامل الوراثة يؤثر فى كل عامل آخر ، وأن كل صبغىّ يحتوى جميع عوامل الوراثة ، وأن هناك ٤٨ صبغياً فى كل خلية من خلايا الجسم، ماعدا بويضة الأنثى ونطفة الذكر

وبعض عوامل الوراثة تكون «مترابطة» وتورث جملة واحدة . فترى فى بعض الأسر من الناس أن لوناً معيناً من ألوان الشعر يصحبه دائماً خلو الفم من ثنيّة أو أكثر من ثنية . فإذا مادرسنا وراثة أسرة ما ، صار فى وسعنا أن نقول إنه إذا ما ولد لأبوين بعينهما ولد له شعر من لون معين ، فإن فم الولد سيخلو على الأرجح من ثنية أو ثنيتين .

وهذه حقيقة خليقة بأن تصير ذات شأن عظيم فبعض الأمراض الوراثية المخوفة — لمثل مرض الرعدة العصبية الوراثيـة التى تسبب الجنون فى الخامسة والثلاثين أو الأربعين من العمر — لا تظهر حتى يبلغ المرء مرحلة القـدرة على إخلاف الذرية ، فيورّث أولاده هذه العلة ، على غير علم منه . فإذا كان فى الوسـع أن تكتشف عوامل الوراثة «المترابطة» التى تنتقل مع المرض ، صار فى قدرة العلماء أن يتبينوا هذه العلة

الخفية فى صدر الشباب ، فتقول الجماعة للمرء المصاب أن الأبوة محرمة عليه. وكذلك نرى أن المعارف التى تخرج تباعاً من معامل البحث تعيننا على أن نقضى فى بضعة أجيال على مثل هذه الأمراض التى لاشفاء منها . ثم إن ما كشفته معامل البحث فى أمور الوراثة قد أحدث انقلاباً خطيراً فى آرائنا عن بعض نواحى الحياة، وإليك طائفة قليلة منها :

الأول : يخلق بنا اليوم أن ننصرف عن المناقشة التى دارت فى شأن البيئة والوراثة ، وأيهما أعظم شأناً ، فالعلماء يعرفون الآن أن لهما كلهما قيمة عظيمة . وقد كشفوا أن الأحياء لاترث خصائص بعينها كمثل وراثتها ميلا إلى خلق هذه الخصائص ، على شريطة أن تكون البيئة ملائمة. فإذا ماأخذت نوعاً معيناً من الأرانب ذوات الشعر الأبيض ، وعرضتها زمناً كافياً لحرارة خفيفة، نبت لها شعر أسود . وفى وسعك أن تحول بعض الزهر من وردى إلى أزرق بإضافة أملاح الحديد إلى التربة . ونبات الذرة الطويل لايبلغ سوى ربع طوله المعهود إذا ما زرع متلاصقاً بعضه ببعض ، غير أن نسل هذه الأحياء التى تغيرت خصائصها بتغير البيئة ، يرتد أبيض الشعر ، وردى الزهر ، طويل الساق ــ إذا عاش فى بيئته المعهودة .

إلا أن وجوه التغيير التى حدثت فيها ، كانت تكون مستحيلة ما لم يكن فى هذه الحيوانات والنباتات عوامل وراثية تجعل هذا التغيير ممكناً . فليست كل الأرانب ممايتغير لون شعرها، وثمة سلالات من الذرة ضئيلة الحجم لاتكبر مهما باعدت بين منابتها، ومن الأزهار ما يحتفظ بلونه حين يغذى بأملاح الحديد .

ومجمل القول هو أن البيئة تستطيع أن تحدث فينا تغييراً ــ ولكن على أساس الميول الموروثة المستكنة فى أبداننا . ومثل البيئة كمثل المادة الكيميائية التى يستعملها المصور فى تحميض صورته : إنها لا تختلق شيئاً من لاشىء، ولكنها تستطيع أن تظهر وتبرز الشىء الذى على الفلم أو اللوحة السلبية. ومن مآسى الحياة أننا كثيراً ما نطرح اللوحة السلبية دون أن نطلع أبداً على الصورة الجميلة المستكنة فيها .

الثانى : إن جميع خصائصك وإن كانت تتحدر إليك من أبويك ، فإنك لا ترث الصفات والخصائص منهما وحسب ، فأنت وأبويك ترثون من كنز العوامل الوراثية العام الذى لم يزل حياً متصلا منذ قرون لايحصيها العدّ ، وهو أقرب الأشياء إلى أن يوصف بالخلود فى هذه الحياة الدنيا .

الثالث : لايكاد ينتقل شىء ما من جيل إلى جيل ، إلا بما تنقله عوامل الوراثة ،

وفى هذا قضاء على كثير من الأوهام . ومن السخف أن تظن مثلا أن الحامل إذا ما أفزعتها حية ، فإنها تلد طفلا فيه شبه من الحية ، أو أنها إذا دأبت على سماع الموسيقى وحضور حفلاتها ،فإن طفلها يولد موسيقياً .

الرابعة : ينبغى لنا أن ننبذ القول بأن هناك أسراً بجملتها عرضة لاستمرار الانحطاط والانحلال ، ورجال العلم اليوم يستريبون فى الآراء المستخرجة من دراسة بعض الأسر المنحطة التى عنى بها علماء الاجتماع واتخذوها أساساً لبعض آرائهم. وليس ثمة ريب فى أن بعض أبناء هذه الأسر كان فيهم « عوامل وراثيةمعتلة » ، ولكن علماء الاجتماع أخطأوا خطأً كبيراً يوم أهملوا العناية بعوامل البيئة. ترى أى خير يرجى فى طفل وإن كان سليما ، لو هو نشأ فى بيت معظم أهله أهل عربدة وسرقة ودعارة ؟ وعلماء الوراثة اليوم يعنون بإقامة الفيصل الفارق بين الشرور التى تنقلها عوامل الوراثة ، والشرور التى ترجع إلى فساد البيئة .

الخامس : أغلب الرأى أن إدمان الخمر لايورث ، ففى وسع المرء أن يرث جهازاً عصبياً مضطرباً لايستقر على حال من القلق فيهيئه للإفراط فى الشرب، ولإدمان العقاقير أو مايضارعهما من وجوه الضعف، بيد أن البيئة نفسها لها أثر عظيم .

وقد تبين العلماء أن بعض الأمراض التى كانت تعد أمراضاً وراثية ، ليست وراثية على الإطلاق ، أو هى وراثية بعض الشىء ، فالوراثة عامل فى الحمى الروماتزمية التى تصيب الأطفال، وفى بعض ضروب السرطان النادرة وفى عمى الألوان، وفى كثير من اضطرابات العين ، وفى الصلع وبعض أنواع ضعف العقل والجنون . وعسى أن تطمئن قلوبنا حين نعلم أن الأمراض العشرة أو نحوها ، والتى تعد أخطر الأمراض ، للبيئة فيها أثر أعظم من أثر الوراثة .

وهذه المكتشفات العلميـة الحديثة قد غيرت رأينا فى علم إصلاح النسل ، فنحن نعرف الآن كيف تتم التغيرات الفجائية عن طريق تدمير عوامل الوراثة أوحدوث تغيير فيها . ولما كان معظم التغيير فى عوامل الوراثة يتم بشىء ينفصل عنها ، فهى تفضى إلى ولادة حى محـــدود الكفايات فى بعض النواحى ، وإذن فهو على الغالب أقل قدرة وصلاحاً للبيئة التى يعيش فيها .

ومتى تم هذا الفعل فى الطبيعـة ، كان شيئاً لايؤبه له كثيراً،لأن الانتخاب الطبيعى — أى بقاء الأنسب، يعيد الأمر إلى نصابه ، فالتغيرات الفجائية التى لا تكفل مزيةً ما للجسم الحى ، تزول على الزمن ، وأما الصالحة فتعين الجسم الحى على البقاء ، وتنتقل

خصائصه النافعة إلى الأجيال التى تليه . بيد أنه من بواعث الأسف أن الحضارة الحديثة ، قد عكست هذا الفعل بما تتولاه من حماية غير الصالح كحماية الصالح وإطالة حياته ، وبإتاحتها الفرصة لكل من لا يصلح تقريباً أن ينجب ويخلف ذرية . فترى اليوم فريقاً من كبار علماء الوراثة الذين يعتقدون أن هذا يفضى فى آخر الأمر إلى انحطاط البشر ، يدعون إلى تعقيم الذين يثبت أنهم مصابون بالجنون وضعف العقل الوراثيين ، ويوصون بأن يمتنع الذين يتصفون بخصائص وراثية غير مستحبَّة ، عن إنجاب النسل .

وقد تمكن العلماء من أن يبلغوا ببعض الحيوانات والنباتات مرتبة الكمال عن طريق التناسل والانتخاب ، فلذلك ترى من الناس ممن لا يطيق صبراً ، يسألون : لمَ لا يجرى مثل ذلك على البشر ، وليس ثمة شك في أنه لو وسعنا أن نطبق مبادئ علم الوراثة على البشر ، لرفعنا مستوى أوساط الشعب إلى أعلى مستوى أدركه أمتن الناس بنية وأشدهم عافية . ولكن من ذا الذى يحمل على عاتقه تبعة الحكم ، فيفرق بين الخصائص الصالحة والخصائص الضارة بالمجتمع فى المستقبل ؟ ومن ذا الذى يستطيع أن يحكم اليوم ما تكون عليه الجماعة البشرية فى المستقبل ؟ أتستدعى عدداً وافراً من الناس مجردين من الذكاء اللماح ، مقبلين على الكدح خاضعين لكل نظام يفرض عليهم ؟ أم تستدعى شعوباً تعيش فى ظل سلام عامّ ، وتقوم الآلات على خدمتهم والوفاء بحاجاتهم ؟

ولعلّ العقبة التالية أصعب تذليلا . إن أكثر الناس يعيشون اليوم فى بيئات غير صالحة حتى يشقّ علينا أن نعرف ما يستكنّ فى نفوسهم من قدرة . وقد كشف لنا البحث العلمى أن فى الناس ألوفاً من العباقرة * قد غمرتهم الفاقة والجهل ، فلم تتم لهم فرصة لإقامة الدليل على قدرتهم . فالمهمة الأولى الواقعة علينا هى أن نحطم القيود التى تعوق نمو المواهب أتمّ نمو ، فإن لم نفعل فكل سعى نبذله للإصلاح يكون مثله كمثل الذى يحاول أن ينحت تمثالا رائعاً فى ظلام دامس .

وعلى ذلك ترى علماء الوراثة ، مستندين إلى العلم الثابت ، يرسمون للمستقبل صورة مجيدة ، فيقولون إن تحسين البيئة والوراثة فى وقت واحد ، يفضى بعد بضعة أجيال إلى القضاء على معظم مصائب البشر . ولا نعدو الحق إذا قلنا إن فى قدرتنا أن نولد سلالة من المتفوقين ، وأن يتم لنا ذلك فى خلال قرنين . ولن يجد البشر غاية أروع من هذه الغاية يرمون إليها بأبصارهم وآمالهم .

* « العبقرية سرّها وتنميتها » المختار مايو ١٩٤٦ ص ٢٤

اضحك يضحك لك العالم

مختارات من كتاب بنيت سيرف

ألقى صاحب الدار نظرة جامدة على الرجل الذى جاءه يطلب أن يستأجر شقة عنده وقال : « ينبغي لى أن أذكرك ، بأنى لا أستطيع أن أحتمل الأولاد أو الكلاب أو القطط أو الببغاوات ، ولا العزف على البيان ولا الراديو . أفهمت ؟ »

فقال الرجل متلطفاً مذعناً لأمر الله : « نعم ياسيدى فهمت ، ولكننى أظن أنه ينبغى لك أن تعلم أن لقلمى صريراً خافتاً ! »

تلقى جندى أمريكى من جيش الاحتلال فى ألمانيا برقية من صاحبته فى أمريكا تستحق أن تظفر بجائزة فى مباراة «أقصر الأقاصيص» وهذا نصها : « لم أطق صبراً فتزوجت أباك . لك حبي وسلامى — أمك » .

اعترض رجل من شذاذ الطرق أحد أعضاء نادٍ من أندية الوجهاء فى نيويورك ، حين همّ بأن يركب سيارته الفخمة ، وقال متوسلاً ضارعاً : « أعطنى قرشاً ياسيدى فإنى أكاد أموت جوعاً » ، فأعطاه الوجيه ماسأل ، ولكنه لم يملك نفسه أن يقول : « أخشى أن تعجز عن شراء طعام يذكر بقرش فى هذه الأيام » ، فقال الصعلوك : « لست أريده للطعام ، فقد مضت ثمانية أيام لم أذق طعاماً ، بل أريده لأزن نفسى » .

قال ولد فى العاشرة لأبيه : « كيف تنشب الحروب ؟ » فقال الرجل : « اسمع يابنى ، لنفرض أن أمريكا خاصمت إنجلترا — » ، فقاطعته زوجته قائلة : « ليس بين أمريكا وإنجلترا خصام » ، فقال الرجل ممتعضاً : « ومن قال إن بينهما خصاماً ؟ لقد كنت أفرض فرضاً » ، فقالت : « عجباً والله . إنك تبث فى ذهن هذا الصغير كل ضرب من التفكير الخطأ السخيف » فقال أبى : « لا عجب ، فإنه إذا لم يصغ إلا لك لم يظفر منك برأى البتة » ، فلما احتدم الجدال بين الأبوين وكاد يفضى إلى التقاذف ، قال الفتى : « شكراً يا أماه ، شكراً يا أبتاه . لست فى حاجة بعد اليوم إلى سؤال أحدكما عن الحرب كيف تنشب » .



[طائفة من الأوهام شائعة بين الناس ، برغم مناقضتها للحقيقة]

مهلاً ... فهذا باطل

برجن إيفانز

مختصرة من مجلة " نيويورك تايمز "

من أبناء البشر صغار ربَّتهم الحيوانات .

ما زال الناس يصدقون هذا القول منذ قديم الزمان ، ولا تزال الأقاصيص المبنية عليه تطلع علينا في الحين بعد الحين . ففي سنة ١٩٤٠ ذاعت الأنباء عن فتى يدعى لوكاس قيل إن قرداً ربّاه ، وظلت تتناقلها الألسنة حتى ثبت من سجلات الشرطة أنه كان سجيناً في جنوب إفريقية في الوقت الذى زعم أن القرد كان يحوطه ويربيه .

ثم طلعت علينا قصة آمالا وكمالا ، وهما فتاتان قيل إن ذئباً رباهما في مندابور ، وقيل إن لهما أنياباً كبيرة ، وإن عيونهما تشعّ نوراً مخوفاً ، وإنهما تصيحان في الساعة العاشرة والساعة الأولى بعد الظهر والساعة الثالثة تماماً لا تتقدمان ثانية ولا تتأخران ، وإنهما فيما عدا ذلك تفعلان ما يظنّ أن الذئاب تفعله ، ولكنهما في الحقيقة لا تفعله .

وكذلك ترى رواة هذه العجائب يفضحون أنفسهم بذكر تفاصيل يظنون أنها تؤيد أقوالهم . وقد طلعت علينا في السنة الماضية قصة الفتى الغزال في شرق الأردن ، يأكل الدريس الجاف ويعدو كأنه الريح في هبوبها . لقد كان حسب هذا الفتى الغزال أن يهضم السلولوس (وهى المادة الخشبية في النبات) لأن أحداً غيره من البشر لم يهضمه قط ، حتى يظفر بشهرة عريضة . ولكنه يعدو بسرعة ٥٠ ميلاً أيضاً !

ابيضّ شعره بين عشية وضحاها .

كثيراً ما نسمع هذا القول يقال عن رجل مرّت به محنة قاسية ، ولكن لون الشعر رهن بما تتغذّى به بصيلاته . فإذا كان الخوف أو الحزن مديداً ، كان لذلك أثره في صحة المرء ، وهذا خليق أن يؤثر على الزمن في لون شعره ، ولكن ذلك لا يتمّ بين عشية وضحاها .

إن للحيـوانات « غرائز » عجيبـة — قدرة غريبة ليس للإنسان مثلها وتكاد تكون من خوارق الطبيعـة .

تدل أدق البحوث العلمية الحديثـة على أن للحيوان من القدرة ما للإنسان ، ولا فرق بينهما إلا فرق كمٍّ لا فرق نوع . فقدرة الكلاب مثلا على تقدير خلق المرء ، ليس على الأرجح سـوى قدرتها أن ترى اضطراب أعصابه وأن تشمّ رائحة عرقه . وأما ذلك الحسّ الخفيّ الذى « يوجهها » والذى يقال فيه إنه يرشدها إلى مأواها فتقطع إليه مسافة طويلة فى أرض هى غريبة عنها ، فلم يقم عليه دليل علميّ حتى اليوم . ولعلك ترى فى الصحف الكبيرة كلّ يوم إعلانات عن كلاب ضاعت ، فعجزت عن العودة إلى بيت صاحبها من الحيّ الذى فى جواره .

مكان القلب فى الجهة اليسرى من الصدر .

هذا خطأ ربما كان مرجعه إلى أن خفقان القلب فى الجهة اليسرى أوضح ، وحقيقة الأمر أنه فى الوسط . ومن غرائب ما أفضى إليه هذا الوهم ، أن نصف الذين يحاولون الانتحار بإطلاق الرصاص على القلب أو طعنه بمدية، يخطئون غرضهم لأنهم لا يعرفون أين مكان القلب .

صاعقة البرق لا تنقض مرتين فى مكان واحد .

إن انقضاض الصاعقة مرتين فى مكان واحد أغلب فى ميزان الترجيح . وسبب ذلك أن البرق يطلب مواد موصلة للكهرباء، لا يتجاوز مجموع سطحها جزءاً يسيراً جداً من سطح الأرض . فإذا انقضّت الصاعقة مرة على شيء فذلك دليل على أنه موصل ، وإذن فاحتمال انقضاض الصاعقة عليه مرة أخرى أكبر من احتمال انقضاضها على ما حوله من قضاء الله . ولقد انقضت صاعقة ستين مرة على الصارية المنصوبة على قمة ناطحة السحاب — إمبير ستيت بلدنج .

النســاء أصغر أدمغـة من الرجال ، و « موهبتهن الميكانيكية » أضعف ، و « انهيـار نفوسهن » أيسر .

إن حجم أدمغة النساء إذا قيس إلى أبدانهن ، أكبر قليلا من أدمغة الرجال . وقد دلت التجربة التى تمت فى الحرب على أنه إذا أتيحت الفرصة للنساء ساوين الرجال فى قدرتهنّ على القيام بالأعمال الميكانيكية ، إذا استثنيت الأعمال التى تقتضى قوة بدنية عظيمة .

ويلوح أن النساء أقدر على احتمال الإجهاد من الرجال ، وفى وسعهنّ أن يعملن أعمالا دقيقة مجهدة رتيبة فلا تورثهنّ من التفزز

ما تورث الرجال . وأنت ترى فى جميع أقطار الأرض أن معدّل الذين ينتحرون من الرجال ثلاثة أضعاف اللواتى ينتحرن أو أكثر . وترى قرح المعدة واللعثمة ، وهما من الإصابات التى ترتد إلى أصل عصبىّ ، هى فى الرجال أربعة أضعافها فى النساء. وعدد الذين تودى بهم أمراض الأعصاب من الرجال أكثر من عدد النساء . وعدد الذين فى بيمارستاناتنا من الرجال أكثر من عدد النساء.

الأطفـــال الذين يتبـدّى ذكاؤهم فى الصغر ، يخبو ذكاؤهم فى الكبر .

وهذا وهم تميل إليه قلوب الآباء الذين يتأخر نضج أبنائهم . والحقيقة هى أن الأطفال الذين يبكر تكشُّف ذكائهم يصيرون رجالا أفضل من أوساط الرجال . وعلى أن الكتّاب يفخمون ذكر عبقرى كالسير والتر سكوت الذى كان فى صغره فتى بليد العقل ، فإن العباقرة من أمثال شلى وأينشتين وموزار ، هم أدل على الحقيقة لما تبدى فيهم فى صغرهم من دلائل مواهبهم العظيمة . وقد أسفر البحث فى حياة ألفين أو أكثر من العباقرة على أن الذين بكروا فى صغرهم إلى التألق ، كانوا أطول أعماراً من أوساط معاصريهم ، وكانوا أيضاً أتمّ عافية .

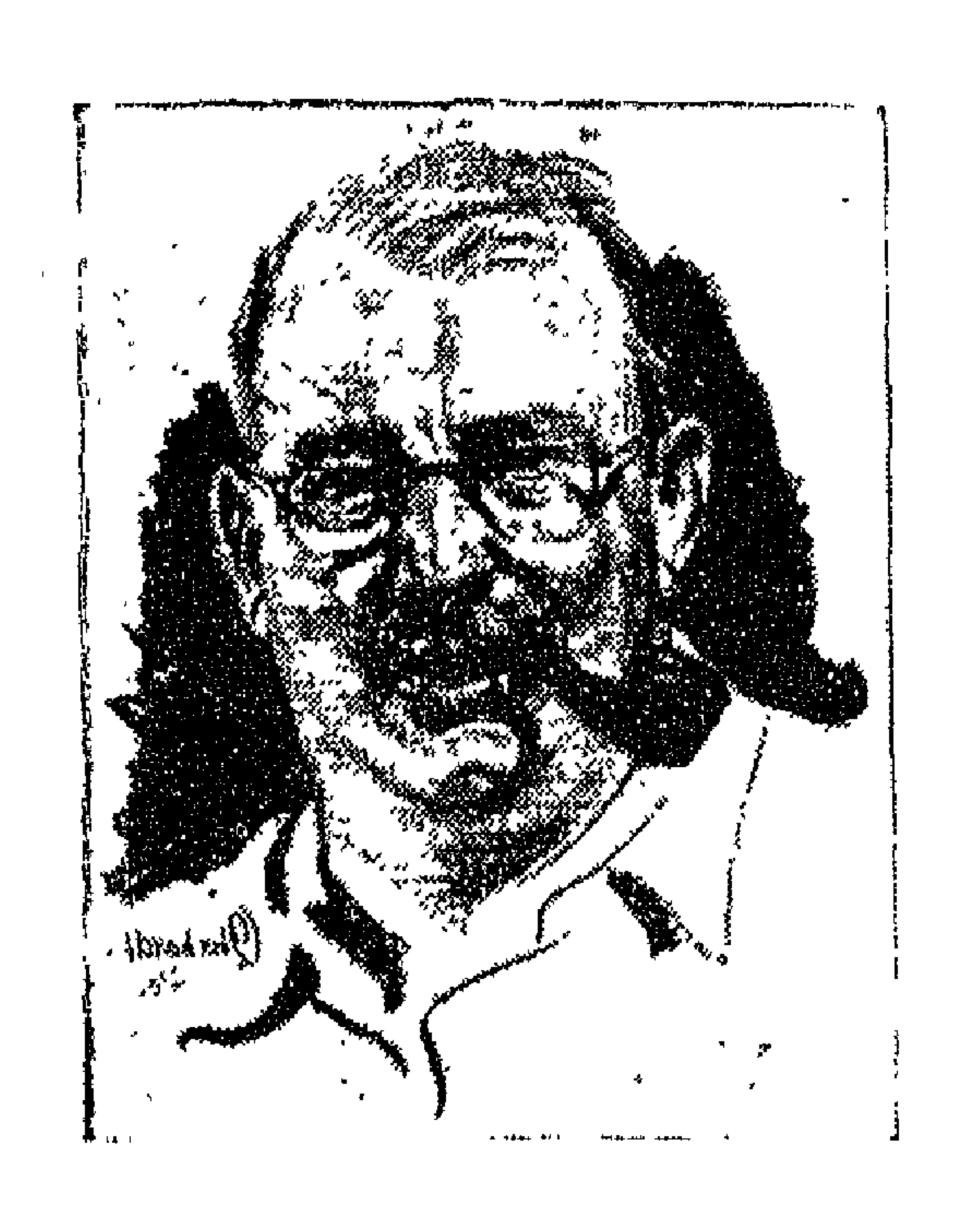
أكثر العظماء من أبناء الفقراء ؟ !

إن أوساط الناس يحبون أن يظنوا أن أكثر العظماء نبتوا من بين العامة ، فيعزز ذلك ثقتهم بأن ذلك كان فى وسعهم لو هم أرادوه ، فلنحص عدة العظماء لنرى أين نبتوا . وقد عنى البريطانيون بإحصاء الرجال الممتازين منهم إحصاء وافياً ، ففى المعجم الذى وضعوه عن تراجم رجالهم ٣٠ ألف ترجمة من تراجم العظماء . وقد اهتم الباحثان فردريك أدمز ودز وألين أيرلند بدراستها ، فانتهيا إلى أن الطبقات العاملة ، حاذقة وغير حاذقة ، لم تنبت سوى ١٢ فى المئة من هؤلاء الرجال . أما الطبقات العاليـة كأصحاب الأرض وأصحاب المهن ورجال الحكومة ، فقد كان نصيبها ٨٨ فى المئة . ووجدا أيضاً أن عدد العظماء الذين نبتوا فى طبقات المجتمع الدنيا آخذ فى النقصان نقصاً مطرداً منذ القرن الماضي ، حتى لنرى اليوم أنه قلما يظهر أحد من العظماء من الأسر الخاملة الذكر .

حياة بول ده كروف قصة رائعة ملهمة كأروع القصص التي كتبهـا بقلمه .

مُناضل عَن حقّ البشر في الحيَاة

البرت ك . ميزل



منذ خمسة وعشرين سنة أصدر مدير المعهد العالمي المشهور باسم معهد روكفلر للبحث الطبي ، أمراً بفصل عالم بكتريولوجي من أوفر رجاله إنتاجاً وأرجاهم مستقبلاً ، وكان ذلك العالم في الثانية والثلاثين من عمره ، فارع الطول رَحْب الصدر، لاتفارق شفتيه ابتسامة تشيع البشر فيمن حوله ، ويخيل إليك أنها تتلألأ في نواحي رأسه الهولندي الضخم . وقد فصله المدير وهو آسف متردد ، فقدكان يعقد على بول دي كروف أوسع الآمال .

لم يكد بول ده كروف يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، وهي كثل سن الرضاع في سير معظم العلماء ، حتى عين مساعد أستاذ في جامعة مشيجن ، فكان أصغر مساعد أستاذ فيها ، وتولى تدريس علم الجراثيم في مدرستها الطبية ، فلما كان في السادسة والعشرين ظفر برتبة الدكتوراه في ذلك العلم. وقد قام وهو في معهد روكفلر ببحث عظيم الشأن أثبت فيه أن الميكروبات تستحيل فجأة من ميكروبات مميتة إلى ميكروبات لا تميت — وهو كشف لا يزال ينزل من علم الجراثيم منزلة الحدّ الفاصل بين المعلوم والمجهول .

بيد أن هذا العبقري الشاب الزاخر الشباب ، قد ارتكب خطأ لاتغتفره له فئة لها أسلوب معين في التفكير ، فقد تجرّأ على أن ينتقد جماعة من أصحاب المكانة في صناعة الطب ، وفي مجلة عامة ، فلابد من طرده . وحاول رئيسه أن يلطف وقع الصدمة

عليه ، فعرض عليه أن يسعى له فى منصب من مناصب البحث العلمى فى معهد آخر ، إذا هو وعد أن يستقيم ، وأن يكف عن شن الحرب على أهل صناعته .

فشكر بول ده كروف لرئيسه ماقال وأبى ماعرض عليه ، ثم قال له بحزم وعزم إنه لن يستقيم — على مايريدونه منه على الأقل — حتى تواريه أطباق الثرى .

وكذلك خسر العالم شاباً من ألمع الشباب بين رجال البحث الطبى ، وغنم مناضلا من أعظم المناضلين عن الحقيقة ، وعن حق كل إنسان فى أن يتاح له طب صحيح ، بل خير رعاية طبية ممكنة .

وما فتىء بول ده كروف منذ ربع قرن يسعى إلى هذه الأهداف ، ويوقد نار الحرب التى يصفها بأنها « الحرب التى لم يشن البشر حرباً أنبل منها — الحرب على الموت » ، فيشنها حرباً حقاً وجهاداً متجدداً لتعريف الناس وأطبائهم بمناقب « الطب الصحيح » فى هذا العصر ، عصر العلم .

وده كروف رجل قوى موفور العافية ، مرح يحب معاشرة الناس ، ويفيض بدنه الذى يزن ١٠٠ كيلو جرام أو تزيد بنشاط وثاب قل أن يوجد له مثيل فى غير ساحة الرياضة . وهو يصحو مبكراً فى داره المشرفة على بحيرة مشيجن ، وقد يقضى ساعات متجولاً بين كثبان الرمل ، تصحبه زوجته وزميلته ومعهما كلبه الضخم ، أو تراه غارقاً مستمتعاً بمياه البحيرة الباردة . وهو يقف ساعات كثيرة كلَّ يوم على الحرب التى لا يفتأ يشنها ، فهو يبغض المرض والموت كأنهما له عدوّان لدودان ، بل هو أشد بغضاً لقصور الناس عن الاستعانة بكل الأسلحة التى بين أيديهم فى قتال هذين العدوين .

وقد استعان بول ده كروف ، بقلمه البليغ فأخرج قصة النضال ضد المرض من أبنية المعامل وظلام المكتبات ، حتى نفذت إلى عقول ملايين من الناس وقلوبهم . وقد راج كتابه العظيم الأول « صيّادو الميكروبات » رواجاً قليل النظير ، فبيع منه أكثر من مليون نسخة فى ١٨ لغة . ولا تزال مطالعة هذا الكتاب فى مئات من المدارس الثانوية والكليات ، فرضاً مفروضاً على طلبة العلوم . وإنك لتجد بين الأطباء ورجال البحث من الشباب ، كثيرين يرجعون الفضل فى توجيههم نحو الطب إلى نسخة بالية من هذا الكتاب الذى سرد لك قصصاً بسيطاً رائعاً عن الذين نقلوا الطب من السحر والخرافة حتى صار علماً ، من العلوم الحديثة .

وقد أصدر ده كروف ثمانية كتب أخرى بعد كتاب « صيادى الميكروبات » ، وكتب

نحو ١٥٠ مقالة نشرت فى الصحف . بيد أن الكتابة عما يشاهده لم تكن سوى بعض الحرب التى يشنها ، فقد تبين خلال بحثه عن العلماء الناشئين واستطلاع سيرهم ، أن قلة المال كانت تعرقل عملهم فى كثير من الأحيان ، وأن مكتشفات باهرة كانت مهملة كل الإهمال أو أنها لا تنــال حقها من التحقيق إلا بعد لأى وإبطاء ، فكان يكف عن الكتابة مرة بعد مرة ، ويرفع لواء النضــال ، ويجوب البلاد يؤلب الأصدقاء ويجنـد الناس لتأييد المشروعات الطبية العلمية . وقد أنفق قسطاً غير يسير من دخله الوافر فى المخاطبات التلفونية البعيدة المدى ، وفى أجور الانتقال بالطائرات ، وفى نفقات الفنادق والبرقيات ، وفى سعيه إلى أن يستحث الناس إلى العمل عسى أن يسفر عمل يتم اليوم عن إنقاذ أرواح غاليــة ، بدلا من أن يرجأ جدواه إلى الغد البعيد .

وهـــذا الجانب المجهول ، من سيرة ده كروف قصة فيها من الروعة والإلهام ماتجده في أية قصة خطتها يداه .

وخير مثل هو قصة الدكتور « سپايز » أكبر ثقاة التغذية فى العالم باعتراف أقرانه . زاره ده كروف أيام ذاع صيت عمـله فى الانتفاع بالحمض النيكوتينيك فى قهر البلاجرا ، وقد عجب ذلك العالم ساعة رأى أن ضيفه قد جاءه يحمل مجموعة كبيرة من الصحائف قد سجل فيها تحليلا دقيقــاً لجميع الرسائل الطبية فى موضوع مرض البلاجرا الناشىء من نقص الغذاء . وقد أقام ده كروف أياماً يستقصى فيها من العالم البحاثة كل صغـيرة وكل كبيرة ، حتى محص كل دقيقة فى رسالته .

فلما تبين ده كروف العوائق التى تعوق سبايز فى عمله لشدة حاجته إلى المال ، تركه والسخط حَشْو جوانحه ، وماهى إلا أسابيع حتى قاد الدكتور سبايز إلى مكتب باسـيل أوكونور ، رئيس المؤسسة القومية لشلل الأطفال الوبائى ، وكان ده كروف سكرتيراً للجنتها العامة الاستشارية ، وقد أسند إليه هذا المنصب بعد أن ظفر بإقنـاع فرنكلن روزفلت فى سنة ١٩٣٤ بأن المال الذى يجمع لهذه المؤسسة ينبغى أن لا يقصر إنفاقه على المصابين بشلل الأطفال ، بل ينبغى أن يشمل أيضاً البحث العلمى فى هــذا المرض . وها هو ذا الآن يرعد ويـبرق ، فأقنعت حجته رجال المؤسسة بإنشاء لجنة تؤيد البحوث القائمة عن الصلة بين أمراض نقص الغذاء ، والأمراض المعدية ، ومنها شلل الأطفال ، فأرصدت اللجنة لبحث سـبايز مالاً قدره ٣٨ ألف ريال فى العام الأول .

وفى نهاية العام اشـتدت المعارضة بين

رجال المؤسسة ، وأعلن النقاد أن سبايز قد أخفق فى إثبات وجود صلة بين نقص الغذاء وشلل الأطفال . فاشتدت خيبة أمل ده كروف واستقال من اللجنة الاستشارية وجاراه الدكتور ر . ر . وليمز أول رجل صنع بالتركيب الكيميائى فيتامين ب ، وأيضاً الدكتور س . ج . كنج مركب فيتامين ج.

وواصل ده كروف الكفاح ، فلم تكد تنقضى بضعة أشهر حتى كان الرئيس المتطوع — بغير مرتب — للجنة تعرف باسم لجنة سبايز للبحث الطبى السريرى . وقد جعل مهمة لجنته أن تؤيد أبحاث سبايز البعيد الهدف ، وقد أيدتها أحسن تأييد . وقد زادت ميزانية اللجنة ضعفين حتى يومنا هذا .

إن ثقة ده كروف فى سبايز ، تلك الثقة التى لم تتزعزع ، أثمرت ثمرها فى أقل من خمس سنوات . ففى سنة ١٩٤٦ هلل العالم الطبى للعالم سبايز لما أسفر عنه بحثه من إقامة الدليل على أن الحمض الفوليك المركب يمهد السبيل للسيطرة على طائفة متدانية من أمراض فقر الدم .

وقد اشتهر ده كروف فى مدينة دترويت ، عاصمة صناعة السيارات ، بأنه الرجل الذى أمسك أذن المدينة وظل يعركها ويفتلها حتى صرخت المدينة كلها من الألم ثم قضى سنوات فى عمل ناصب حتى تصير دترويت طليعة المدن الأمريكية فى كفاح السل .

وقد بدأ كل ذلك سنة ١٩٣٤ يوم بين الدكتور هنرى فوجان مدير صحة دترويت لبول ده كروف أن المدينة تنفق كل عام ١,٤٠٠,٠٠٠ ريال على من فى مستشفياتها من المصابين بالسل ، وأنه يعتقد أنه لو أنفق كل عام ٢٠٠,٠٠٠ ريال لكشف المرض فى بواكيره بدلا من الانتظار حتى يتغلغل ، لوفرت على مر الزمن ملايين من الريالات تنفق فى المستشفيات ، وأعواماً لا تحصى فى الشقاء والعذاب .

فلما تثبت ده كروف من هذه الحقائق كتب مقالا فى عدد مايو ١٩٣٥ من مجلة « كنترى جنتلمان » . ومضت أشهر وكل شىء على ما كان عليه ، فاستعرت نار الغيظ فى صدر ده كروف مناضل الموت ، فلجأ إلى الدكتور إ . ج . أوبريان جراح الصدر الأول فى مستشفى هرمان كيفر ، وإلى غيره من رجال الصحة .

ويذكر أوبريان تلك الأيام فيقول : «حبسنا ده كروف فى جناحه الخاص بالفندق ثلاثة أيام كاملة ، وكان يضرب المائدة بجمع يده ، ويصف مرض السل بأنه مرض لا داعى لوجوده ، ويلحف فى طلبه منا أن نصنع شيئاً ، ولكن قبل أن يغادرنا وضعنا

مشروع حملة لنجمع من المدينة ذلك المبلغ ، مبلغ ٢٠٠,٠٠٠ ريال . وقد عاد ده كروف إلى دترويت مراراً ، وفى كل مرة كانت الجماعة التى تجتمع فى جناحه بالفندق تزداد ازدياداً مطرداً .

« ثم شرعنا نعمل ، وقد كتب بول مقالات كثيرة ، فنشرت على الصفحة الأولى بعنوانات ضخام فى صحيفة « دترويت نيوز » ، وكتب أيضاً قطعاً للإذاعة ضمنها ماتر تعد له الفرائص حتى صار الناس لا يكادون يفتحون الراديو حتى يسمعوا عبارة « سعال الموت » .

« فلما مثلنا أمام عمدة المدينة ومجلسه ، كان الشعب قد صار شديد التأييد للمشروع ، فلم يجد المجلس بداً من الموافقة على المال اللازم له . وانضم أكثر من ٥٠٠ طبيب لقسم الصحة ، فكشفنا فى السنة الأولى ٩٠٠ حالة من حالات السل الخفيف وعالجنا أصحابها . ونحن اليوم نفحص جميع المدرسين بالأشعة ، وأيضاً جميع الذين يتداولون الأطعمة وعددهم ٦٠ ألفاً ، وتتولى شركة كرايسلر فحص جميع موظفيها مرة فى السنة على الأقل .

« وقد اشترك كثير من الناس فى هذه الحملة ، بيد أن نجاحها كان مستحيلا — هنا وفى سائر المدن التى تلتها — لو لم يفعل ده كروف مايستثير نخوتها ويشعرها بالخزى ، ويوقظ ضميرها حتى تكافح السل كفاحاً صادقاً غير قانعة بعدّه مرضاً بغيضاً » .

والقوة الدافعة التى تحرك هذا الرجل الذى قضى سنين يطوف فى أرجاء البلاد ، هو إيمانه العميق بأن الشعب لا يبذل كل ما ينبغى له أن يبذله فى كفاح المرض والجوع والموت . وقد صرفه هذا الجهاد فى الحين بعد الحين عن كتابة المقالات الطبية ، إلى استقصاء المباحث الجديدة التى تجدى على الطب .

وقد وصف تشارلز كيترنج ، مدير البحث العلمى فى شركة جنرال موتورز ، ما يصنعه ده كروف وصفاً موجزاً فقال : « إن بول يذرع دنيا العلم منقباً عن كنوزها ، فإذا وجد أحدها ، سواء أكان فكرة صالحة أو رجلا نافعاً أو كليهما ، رأيته لا يني عن الشد والدفع والتدبير ، حتى تجتمع عناصر النجاح : الرجل ، والفكرة ، والمال ، والمكان الذى يصلح للعمل . أجل إنه لم يوفق فى جميع مشروعاته ، ولكن من العجب أن تجد طائفة كبيرة من مكتشفات بول الصغيرة قد انتهى بها الأمر فصارت مشروعات قومية عظيمة » .

وأحد هذه المشروعات . مشروع العلاج المركز لمرض الزهرى بالعقاقير والإحماء ، وقد تولاه وحسنه الدكتور والتر سمسون

وزملاؤه ، وهـو مشروع كان ده كروف أول من دعا إليـه ، وكان كيترنج أول من ارتضاه ودبر له المال . ومنها اشتراكه مع مكافحى البلاجرا مثل الدكتور ده كلاين سنين عديدة ، ومنها أيضاً ماأبقاه إلى يومنا هذامستشاراً لمصلحةالصحة فى ولاية مشيجن ولقسم الصحة فى مدينة شيكاغو. وقد شُغل شهوراً متوالية فى السنة الماضية مساهماً فى إنشاء المؤسسة القوميـة للبحث فى الرَّثْية (التهاب المفاصل) .

بيد أن ده كروف كثيراً مايلجأ إلى آلته الكاتبة يصكها بإصبعين ثائرتين ، فيكتب مقالا يدفع مشروعاً من مشروعاته العامة قُدُماً ، وكذلك أتاح للأطبـاء والمشتغلين بالبحث تأييد ملايين من الناس الذين كانت أرواحهم فى راحة القادير ، فإذا إلحاحهم هو أكبر باعث إلى سرعة الأخذ بالمكتشفات الجديدة فى كفاح الموت .

ومما يدل على طريقة ده كروف فى حشد كل سلاح متاح لتنفيذ مشروع ما ، اهتمامه بمركز رعاية الأمهات فى شيكاغو . وإليك القصة كما ترويهـا الدكتورة بياتريس تكر رئيسة المعهد اليوم :

« فى يوم من أيام ١٩٣٤ طلب منى الدكتور ده لى ، رئيس مستشفى الولادة فى شيكاغو ، أن أساعد بول ده كروف فى إعداد مقالات عن مركز رعاية الأمهات ، وهو العيادة الخارجية الكبيرة التى أسسها الدكتور ده لى لتوليد الأمهات الفقيرات فى منازلهن . فقبلت دون أن يدور فى خلدى أن دنيانا الهادئة المطمئنة سوف يزلزلها زلزال. وقد جاء ده كروف إلى المركز ليتبين كيف نجحنا فى خفض معدل وفيات الأمهات إلى أدنى معدل فى الولايات المتحدة فى المؤسسات التى تماثل مركزنا . وقد قضى ثلاثة أشهر كاملة معنـا ، يزور معنا بيوت الحوامل ، ويحادث الأطباء والممرضات والمرضى .

« وقد كان همى ، شأن جميع الأطباء الولدين ، أن يكون عملى بالغاً غاية الإتقان الفنى فى صناعتى ، فتعلمت من بول فى تلك الأشهر الثلاثة كثيراً مما لم أفكر فيه من قبل ، فقـد كان واسع أفق النظر ، وكان دائب البحث عن الأسباب الأصيلة لوفيات الأمهات والمواليد ، وقد كشف عن ذلك فى عنوان المقالات التى كتبها لمجلة « ليديز هوم جورنال » فجعله : « لِمَ تموت الأمهات ؟ »

« فلما نشرت المقالة الأولى قوبلت بعاصفة فى دوائر شيكاغو الطبيـة ، فجُنّ جنونى ، وذهبت إلى الدكتـور ده لى وقلت له : « لِمَ فعلت بنا هذه الفعلة ؟ »

« فكاتم الأستاذ الجليل ضحكه وقال :

«إنك تعيشين عيش الاطمئنان، وأنت الآن على أبواب النمو الكامل» ، ولمعت عيناه السوداوان وقال : «لقد لبثت أعمل منذ ٢٠ سنة : تموت أمٌّ من كل ١٥٠ أماً يضعن أطفالهن أحياء ، وثلاثة أرباع اللواتى يمتن يمكن إنقاذهن ، ومهمة ده كروف مهمة خطيرة : أن يكوِّن رأياً عاماً مستنيراً يطالب بالرعاية الطبية الصالحة »

وقد امتدت عاصفة النقد التى أثارتها مقالات ده كروف فى شيكاغو إلى سواها ، وهبّ الأطباء من جميع أنحاء البلاد يهاجمونه فى المجلات الطبية، ويبينون الأسباب والمعاذير لمعدل الوفيات بين الأمهات ، ويلقون الريبة على إحصاءاته ، ويتهمونه بأنه «يجرِّح رجال الطب فى أمريكا» .

ولكن الزمان وضغط الرأى العام قد أثبتا قيمة الأقوال اللاذعة التى نشرها ده كروف . ومنذ سنة ١٩٣٤ – يوم بدأ يثير النساء إلى المطالبة برعاية طبية أصلح – عمدت هيئات الأطباء ومصالح الصحة إلى إرصاد ملايين من الريالات وبذل جهود لا تحدّ ، من أجل إصلاح الأخطاء التى ندد بها، وقد أسفر ذلك عن هبوط كبير فى معدل وفيات الأمهات خلال العقد الأخير من السنين . ففى سنة ١٩٣٤ كان المعدل ٥٫٩ فى الألف فإذا هو فى ١٩٤٤ قد صار ٢٫٣ فى الألف فى البلاد عامة ، أما فى شيكاغو فقد هبط فى المدة نفسها من ٤٫٣ فى الألف إلى ١٫٦ فى الألف !

وده كروف هو آخر من يدعى أن الفضل إليه يعود فى هذا التغيير العجيب الذى ينقذ ألوفاً من الأمهات والمواليد كل سنة ، فإن قسطاً كبيراً منه يرجع إلى العقاقير الجديدة ، وإلى تقدم المستشفيات وازدياد العيادات والأطباء الذين ينتفعون بالأساليب الجديدة . ولكن ده كروف هو الذى كشف الحقيقة للرأى العام ، وهزّ المحافظين هزاً فنفضوا عنهم سرابيل الرضى والاطمئنان .

وقد كتب ده كروف قرابة اثنتى عشر مقالة عن مشكلة الوفيات بين الأمهات ، ولكن الدكتورة تكر روت لى قصة لم يكتبها، قالت : «تولى بول مركزنا وهو أشبه بالميت المقضىّ عليه ، فقضى أشهراً يقرع الطبول ويستجدى الأكف ويحرك عناية الناس بالموضوع حتى اجتمع لنا المال الذى يجنبنا الأزمات» .

والدكتورة تكر تتكلم بلسان جماعة كبيرة من المشتغلين بشئون الطب حين تقول : «أنا أعتقد ، كما كان الدكتور ده لى يعتقد ، أن ما صنعه ده كروف لتكوين رأى عام يطالب بالرعاية الطبية الصالحة، وقد جعله صاحب اليد البيضاء على رفع مستوى العناية الطبية فى أمريكا» .

هـذه طبائع البشر

« لماذا لاتستريح يابنى ؟ » قالها ذات مساء أحبُّ الرعاة إلىّ فى مزرعة بولاية أريزونا .

فقلت : « ولكننى مستريح يا عماه » .

فقال : « لا ، إنك تغالط نفسك ، فتفعل كما يفعل جميع أهل المدن ، فأراك تهرع لتمتطى جواداً لتذهب فى نزهة ، ثم تمضى به خبباً طوال الطريق . وقد رأيتك لساعتى تهرع حتى تقعد فى ذلك المقعد ، ولن تلبث دقائق حتى تثب كأن نحلة قد لسعتك ، وهذا يذكرنى برجل رأيته مرة فى نيويورك » .

فقلت : « وكيف كان ذلك ؟ »

فقال : « رأيته يخرج من أحد قطرات النفق كأن الشيطان يطارده ، ثم يعدو على الرصيف ويصعد السلالم وثباً ، فخيل إلىّ أن هناك أمراً خطيراً ، فعدوت وراءه ، فرأيته يعبر الشارع عدواً مخالفاً إشارة المرور ، ويدخل الحديقة العامة ويهوى على المقعد ويضع ساقاً فوق ساق كأن الزمن قد سبقه ، ثم أتعلم ماذا صنع ؟ بدأ يقرأ الصحف الهزلية ! [فرانك ماكنرنى]

كنت جالساً فى ردهة فندق ، فجلس إلى جنبى رجل تقدمت به السن وقال : « أحسُّ كأننى اليوم فى الخامسة والسبعين » .

فقلت كمن يرثى لحاله : « آسف » .

فقال الشيخ مشرق الوجه : « لا ، لاتأسف لأننى فى الخامسة والثمانين » .

[ميكل لوبى]

كنت أسوق سيارتى فى منطقة قرب رأس هاتيراس كلها رمل خادع ، فغرزت عجلات سيارتى فيه على بضع أقدام من حافة البحر ، وكان المدُّ آخذاً فى الارتفاع ، وليس أمامى على مرمى البصر سوى الرمل والماء والسماء — وبقايا بضع سيارات محطمة . فخرجت وجعلت أدفع السيارة بكل قوتى ، وإذا رجل مغضن الوجه قد تراءى لى من وراء كثيب ، فصحت به : « ألك أن تمدَّ إلى يد المساعدة ؟ » . فدنا ثم جلس على حاجز الاصطدام فى مقدم السيارة جلسة مريحة وأشعل سيجارة وقال : « أظنُّ أن حاجتك إلى الفكر أعظم من حاجتك إلى اليد ، إن دفع السيارة لن يجديك شيئاً ، فهنا ينبغى أن تكون واسع الحيلة » .

فقلت وأنا ألهث : « واسع الحيلة ؟ »

فقال : « نعم ، ينبغى لك أن تتحلّى بشيمة الصبر » وتركنى أجاهد وحدى حتى لامست الأمواج عجلات سيارتى ، ثم وقف وقال : « ادخل سيارتك الآن وجرّب » .

فجربت — فانطلقت السيارة كأنها على أرض مرصوفة .

فقال: «إن الماء يلبد حبات الرمل فيسهل سير السيارة عليه ، فهنا لا غنى لك عن سعة الحيلة ، والصبر أهمها » . [نات جونز]

أعلن جدّى على مائدة العشاء أنه قد ضيّع خمسين ريالا من شيك كان قد صرفه فى الصباح ، فصاحت به جدتى معنفة مؤنبة . فلما خمدت ثورتها وصارت دمدمة مطردة عن سوء عاداته وأخلاقه ، خرجتُ مع جدى إلى الشرفة ، والتفت إلى فرأى شحوب وجهى فقال : «لا تدعى الهم يأكلك يا كيتى ، فمن أسهل السهل علىّ أن أجد المال المضيع بعد أربعة أيام أو خمسة ، وليس ما قلته كذباً صريحاً . وخلال ذلك سترين جدتك قد بلغت منها الحماسة كل مبلغ ، فتنظف البيت تنظيفاً هو فى حاجة إليه ، ولا أكاد أجد المال المضيع حتى تكون فرصة العرض العظيم فى المخزن الكبير قد مرّت، فقد عقدت نيتها على أن تشترى معطفاً لا تحتاج إليه. ينبغى للرجل يا بنيتى أن يستعين بعقله ، فاللسان سلاح لا يجدى مع المرأة . [مسز جورج شور]

كان لنا جار وكانت له زريبة يربّى فيها دجاجاً كثيراً ، وكان الدجاج يعبر أرضه إلى أرضنا ، فيزعجنا حين نعمل فى الحديقة ، فنبهناه إلى ذلك فلم يحفل بنا شيئاً . وبعد أن ضقت ذرعاً بطرد دجاجه مرة بعد مرة خلال ثلاث سنوات ، حزمت أمرى على أن أستسلم إلى ماليس منه بدّ .

فأخذت فى جيب مئزرى حفنة من الحبوب ، وصرت أنثرها على الأرض وأنا أعمل فى الحديقة ، فصار الدجاج يلاحقنى ، وينقد هذه الحبوب ، ثم وضعت قفصاً فى أحد أركانها ، فما لبث الدجاج حتى تبين وجوده ، وبعد يومين جوزيت ببيضة فى القفص . وقد شاع الإقبال بين الدجاج على هذا القفص، حتى لقد رأيت بعضها ينتظر دوره لبيبض ، فإذا حان موعد دجاجة أن تبيض سمعتها تصوّت لتعلن عن رغبتها، فلم يكن فى وسع جارنا إلا ّ أن يعرف كل ماحدث .

وإذا صاحبنا يحقق أمنية ظللت ثلاث سنوات أتمناها عليه ، فأقام حاجزاً يمنع الدجاج من أن يعبر أرضه إلى أرضى ، ولكننى شعرت بأنى خسرت خسارتين : صداقة الدجاج ، وبيضها — فقد أصبت نحو خمسين بيضة منها . [هارى س . بيتش]

عيون عجيبة من اللدائن

ولسيم لافار

مختصرة من صحيفة "بلتيمور صنداى صن"

كان لأزمة العيون الزجاجية فى زمن الحرب ، ولخيال طبيب من أطباء الأسنان ، كل الفضل فى صنع عين صناعية عجيبة — هى أجل نعمة أتيحت لألوف من العور .

لم يكن لمن يفقد إحدى عينيه ، إلى عهد قريب، سوى إحدى اثنتين كلتاهما شر : فإما أن يضع على عينه غمامة سوداء ، وإما أن يختار من صندوق العيون الزجاجية أشبه عين بعينه السليمة . بيد أن خير العيون الزجاجية مشاكلة للعيون الطبيعية ، لم تكن تخدع أحداً ، لأنها ثابتة لا تكاد تتحرك .

ولكن البحرية الأمريكية قد توصلت اليوم إلى صناعة عين من اللدائن (العجائن الكيميائية) لا عهد للناس بمثلها من قبل ، وهى تصنع على القياس ، وتتحرك حركة طبيعية ، ولا يكاد الرائى يفرق بينهما وبين العين الطبيعية .

يرجع أصل هذا الاكتشاف الجديد إلى الأزمة التى جرتها الحرب ، فقد كانت العيون الزجاجية تصنع فى ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا منذ أجيال ، وكان على الجيش والأسطول أن يرسلوا العور من رجالها إلى أطباء العيون المدنيين أو إلى مستوردى العيون الزجاجية . وما وافت سنة ١٩٤٤ حتى قل رصيد هذه العيون ، واضطر الجيش إلى الاعتماد على عمل عدد قليل من رسامى العيون الصناعية ، والتفكير فى عمل عيون من اللدائن تغنى عن عيون الزجاج .

ولكن الدكتور فيلبس مورفى ، طبيب الأسنان ، وأحد ضباط أسطول الولايات المتحدة ، سلك سبيلا آخر ، وقال لنفسه : « ليس فى البشر إنسانان تتشابه عيونهما ، فيجب إذن أن تصنع العيون على الطلب » . وأخذ الدكتور مورفى يحصى عيوب العيون الزجاجية المألوفة ، تلك العيوب التى رآها سواه شراً لا بد منه . فهى صدفة من الزجاج مفرغة مقعرة من مؤخرها ، وكثيراً ما تنفجر هذه الأصداف الرقيقة من جراء اختلاف الحرارة المفاجىء ، ويؤدى انفجارها إلى عواقب أليمة ، يضاف إلى ذلك أنها لا تكاد تتحرك .

أبى مورفى أن يسلم بأن جمود العين الصناعية أمر لا مفر منه . وكثيراً ما رأى رجالاً أصيبت عيونهم يجربون استعمال هذه

العين ، ثم لا يلبثون أن ينبذوها ساخطين ، ليلبسوا غمامة سوداء .

وتعاون مورفى هو ومتخصص آخر من رجال البحرية هو الملازم ليون شاسبرج الذى كان رئيساً لقسم التصوير الطبى فى المدرسة البحرية الطبية ، وأخذا يقضيان لياليهما بعد الفراغ من عملهما فى عمل عيون من اللدائن، حتى استطاعا بعد شهور أن يصنعا بأيديهما من أحد أنواع اللدائن* عيناً على قياس العين الطبيعية ، وترسم مقلتها باليد بحيث تشبه كل الشبه العين السليمة من عينى من يستعملها . وأهم من هذا أنها تتحرك فى يسر مع أختها الصحيحة .

ولهذه العين الجديدة مزايا أخر . فقد كانت العيون الزجاجية لا يكاد ينقضى عليها عام حتى تحدث فيها خدوش بفعل سوائل العين . ومثل هـذه العيون الثابتة تظل تحتك ببقية العين المستأصلة التى تتحرك من ورائها ، فإذا طال لبسها فكثيراً ما كانت تؤدى إلى التهاب خطير .

ثم جاء فريق من أطباء الأسنان وأطباء العيون بالبحرية فهذّبوا أسـلوب مورفى فى صناعة هذه العيون ، فصاروا يصنعون قالباً لمحجر العين الضريرة وعضلاتها بنفس الطريقة التى تصنع بها قوالب الأسنان ، ثم يصنعون على هذا القالب قالباً مفرغاً ، ثم يصبون فيه اللدائن السائلة ، فإذا هى عين كالعين المستأصلة . ولكى يضفوا على العين صفات العين الحية تحت الضوء المتغير ، تراهم يعالجونها بمادة متألقة تجعل الضوء ينعكس منها كما ينعكس من العيون الطبيعية .

ثم يأتى عمل الفنان الطبى الذى يرسم على ورق رقيق جيد صورة الحدقة وإنسانها حتى تماثل العين السليمة فى شكلها ولونها كل المماثلة ، ثم يقص هـذا الرسم ويدخله فى تجويف يسير معدٍّ له فى العين المصنوعة ، ثم يغطى الورقة بغشاء من اللدائن السائلة ، فتثبت الورقة فى مكانها ، ثم يرسم على سطح العين المصنوعة بلون أحمر لا يزول ، شبكة من أوعيـة الدم تحيط بالحدقة ، وتطلى اللدائن بظل رقيق من الزرقة والصفرة بحيث يشبه كل الشبه بياض العين السليمة ، ثم تطلى العين كلها بغشاء صاف من اللدائن السائلة ، ثم تصقل بأدوات الصقل المستعملة فى صناعة الأسنان . فإذا ما وضعت فى محجر العين المستأصلة كانت كأنها قطعة منه، تتحرك علوا وسفلا ، ومن جانب إلى جانب بحركة العضلات التى تلاصق مؤخرها كل الملاصقة، وتوافق حركتها حركة العين السليمة .

ولكى يبلغ التقليد غايته ، يعطى المصاب عيناً ثانية واسعة الإنسان يلبسها فى الليل .

(*) Acrylic Plastic

وقد قام الدليل منذ عهد قريب على نفع التجارب التى تمت على يد رجال الأسطول. فقد كان كل مصاب فى عينه يسأل حين يلبس العين الزجاجيــة القديمة : « أيهما كنت تفضل : أن تفقد إحــدى عينيك أو إحــدى يديك ؟ » . فينظر إلى نفسه فى المرآة ثم يقول : « كنت أفضل أن أفقد إحدى يدىّ » . ثم ألقى السؤال نفسه بعد أسبوع على هؤلاء المصابين الذين صنعت لكل منهم عين من النوع الجديد ، فكان جواب أكثرهم : « فقدان العين أفضل ! » .

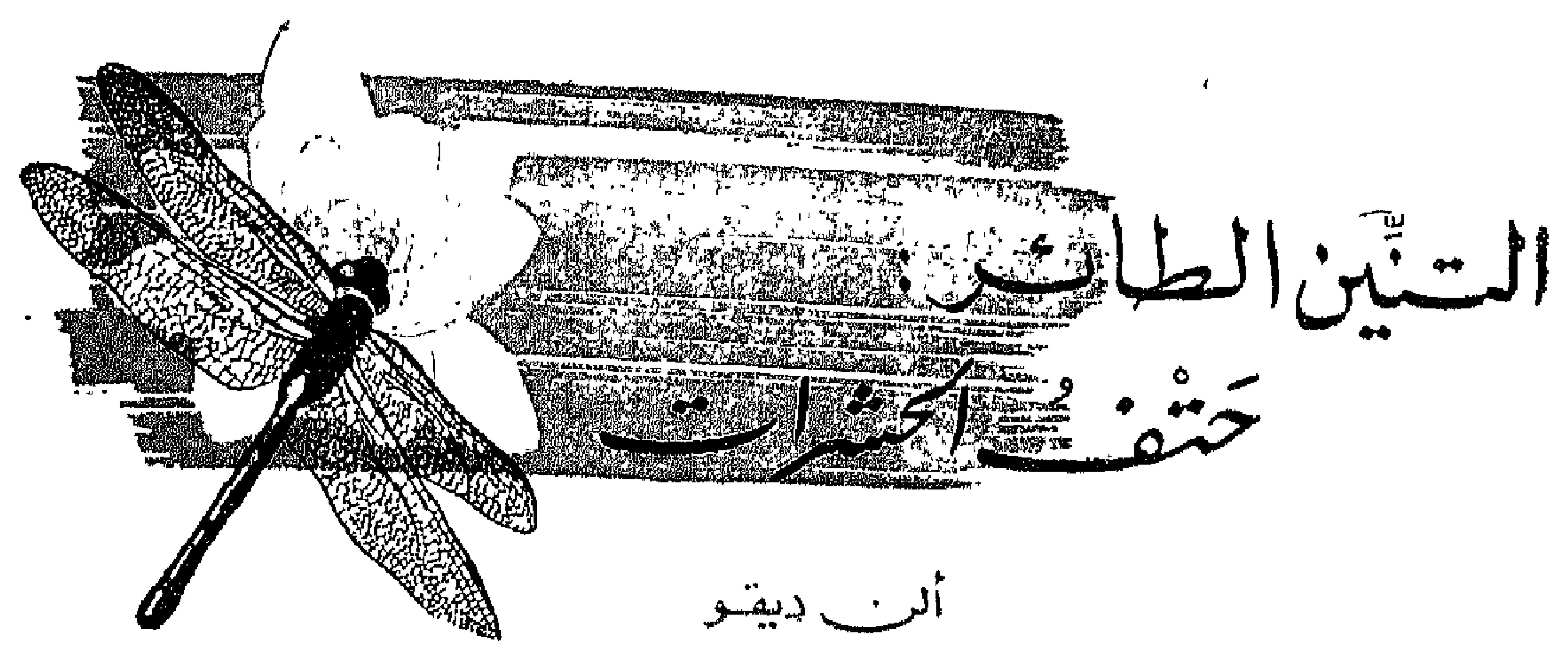
والعين الجديدة ليست رخيصة ، ولكن ألوفاً سوف يرحبون بها لأنها لا تنكسر ، ولأنها لا تتآكل ولا تحول ألوانها ، وأكبر من ذلك أنها تشبه العين الحية وتتحرك كحركتها.

ومما يسرّ أولئك الذين سهروا الليالى فى تجربة صنع هــذه العين بمركز البحرية الطبى ، أن يرددوا قصــة رجل زار طبيباً يشكو له ألماً فى عينيه ، ولعله تعمد متخابثاً أن لا يقول لطبيبه أىّ عينيه يشكو ، وبعد أن فحص الطبيب العين الزائفة فحصاً طويلا مرهقاً ، نطق بهذا التشخيص : « يؤسفنى أن أقول لك يا صــديقى إنك مصاب بآفة متغلغلة فى باطن العين ! »

البديهة الحاضرة

ذهب مصور إلى السيدة الوجيهة مدام شومان هينك وطلب منها أن تتفضل فتتيح له فرصة لرسم صورتها ؛ فترددت معتــذرة بشتى الأعذار ، فقال لها : « أضمن لك يا ســيدتى أن أصنع صورة تنصفك » فابتسمت وقالت : « ليس الإنصاف هو ما نطلبه من ريشتك يا سيدى بل الرحمة » . [أليفر برودى]

كان كلفن كولدج رئيس الولايات المتحدة الأسبق مشهوراً بالصمت وإيثار الكلام القليل ، فدنت منــه فتاة فى أحد الأيام وحاولت أن تشــغله فى حديث فقالت إن أباها قد راهنها على أنها لن تظفر من الرئيس بجملة تزيد على ثلاث كلمات ، وقد كانت تتوقع أن تســتدرجه إلى الإفاضة ، فإذا الرئيس يقول : « ربح أبوك » . [وليم هارت]



التنين الطائر حتف الحشرات

ألن ديفو

مختصرة من مجلة "ذي أميريكان ميركيوري"

إنه يوجد في البقاع القصية المنيعة من جزر الهند الشرقية وحش يمكن أن يسمى تِنِّيناً مع شيء قليل من المبالغة، وربما كان ذلك صحيحاً. ولكن فيم عناء السفر إلى هذه الأرض القصية حتى ترى التنين، وحسبك أن تذهب إلى أقرب بركة أو جدول حتى تراه عياناً.

ولن تجد في الأساطير المغرقة في الخيال تِنِّيناً أشد ظمأ إلى الدم، ولا أبلغ شذوذاً في بعض طباعه من اليعسوب الذي يسمى «التنين الطائر».

وهذه الحشرة الضخمة البشعة المنظر، السريعة النحيلة، ذات الأجنحة الشفافة والبدن المستطيل كأنه خنجر، لا تخطئها عينك في الريف وهي تمرق أو تنقض عند البرك ومجاري الماء. ويبلغ من سرعتها الخارقة وتصميمها العجيب في مروقها وانقضاضها أن تدخل الرعب على قلب الناظر الذي لا عهد له بها.

> لعلك لن تجد في الأدغال القصية تنيناً أظمأ إلى الدم وأعجب طباعاً من هذا التنين الطائر.

واليعسوب الطائر بشع مخوف المنظر، وهو أشدّ بشاعة إذا رأيته واقفاً على فصن عند مجاري الماء، فرأيت إبرته المفرطة الطول (وهذه الإبرة هي معدته)، ورأيت أجنحته العجيبة المعرّقة المنشورة ممتدة على كلا جانبيه، ورأيت ذلك الفم الضخم، وذلك الرأس بما فيه من عيون ضخمة وهو يدور متطلعاً على عنق كأنه قناة دقيقة. ومع ذلك فهذا الحيوان البشع الذي يهول رائيه، لا يلحق بالإنسان أذى البتة، بل هو له صديق، لأنه يفتك بالبعوض فتكاً ذريعاً.

واليعاسيب على خلاف أكثر الحشرات، لا تجد في مراحل نموّها مرحلة متوسطة بين مرحلة اليرقة ومرحلة البلوغ التام،

بل هى حين تخرج من بيضها تخرج ساعية منهيئة لما خلقت له .

واليعسوب حين يخرج من بيضته يسمى « الشُرْفة » ، ويعيش عندئذ تحت الماء : فيدبُّ حَذِراً فى الوحل الثخين المتجمع فى قرار البرك ، ويتسلق متثاقلا على جذوع النباتات النامية فى الماء ، فإذا اشتد برد الشتاء لجأ إلى مكان هادىء فى الطين ليستكنّ فيه مدة البرد القارس . وهو منذ كان يرقة قد اجتمعت له كل خصائص التنين المخيفة ، فحنكه الأسفل مركب على مفصل ، وهو حنك ضخم ضخامة مفرطة ، وفى طرفه أسنان قاطعة حادة . وفى وسع اليعسوب الصغير أن يلوى حنكه الضخم إلى الوراء حتى يغطى وجهه كله كأنه قناع ، فينطلق مقنعاً بهذا القناع الذى يُرَى فيه كأنه صورة مصغرة لكلب من كلاب البولدج — ويدبُّ سارياً فى قرار الجدول أو البركة .

وهو عندئذ ظامىء إلى الدم كأظمأ تنين إلى الدم ، فتراه يقف وقفة ثم يدب متسللا فيلقى حنكه الضخم المخوف ويطوى طرفه الذى فيه أسنانه على يرقة خنفساء ، ثم يرد حنكه إلى جوفه ويبتلع ما افترس . ثم يضع قناعه على وجهه كما كان ويمضى فى طريقه ، ثم ينشر الحنك كرّة أخرى ويطويه فإذا فيه ذبابة . ويفعل ذلك مرة ثالثة فإذا فيه حلزون صغير . وما هى إلا دقائق حتى يطوى هذا الحنك البشع على يرقة من يرقات البعوض . وكذلك تقضى شُرْفة اليعسوب أيامها قبل أن تبلغ رشدها ، آكلة ملتهمة كأشد المخلوقات الضارية التى تعيش فى ظلام الوحل المتراكم فى البرك فتكاً وضراوةً . وهى كالتنين الظامىء إلى الدم لا ترعى حُرْمة ولا ذِماماً ، فلا تحجم إذا أتيح لها أن تلتهم من بنات جنسها مالا يضارعها خفة ومهارةً .

فإذا جاء الربيع (وأحيانا فى غيره من الفصول أيضاً) زحفت شُرْفة اليعسوب متسلقة على بعض أعشاب الماء لآخر مرة . ثم ترتفع شيئاً قليلا فوق صفحة الماء ، فينسلخ عنها إهاب السرفة ، فتخرج ذاهبة تجفف أجنحتها القوية المعرقة ، وبدنها اللامع المستطيل كالإبرة الدالّ على بلوغ الرشد .

واليعسوب أسرع طيراناً من السنونو . وله قدرة عجيبة على الوقوف فجأة عن الطيران وعلى النهوض فجأة من مجثمه ، وعلى الميل والانحراف فجأة وهو فى طيرانه . وهو يتخذ لنفسه ميداناً يطوف فى نواحيه لطلب الصيد ، متنقلا من شجرة إلى غصن ، ومن صخرة دافئة إلى ركام من عشب . وهو دقيق فى نظامه . وله مواعيد معينة لا يحيد عنها فى تطوافه طلباً للفتك والافتراس .

وقوائم اليعسوب كلها عند صدره ، وهى غير صالحة للمشى بل هى عنده بمنزلة السلة . فهو يجمع ما يصطاده فى طيرانه ويلقى به فى هـذه السلة المعقودة ، ويستبقيه حيث هو حتى يأتى ميعـاد التهامه بين فـكيه الـكبيرين .

وابن عرس على شـدة ظمأه إلى الدم لا يكاد يضارع اليعسوب فى شدة ضرواته . وليس عندنا إحصاء شامل للقدر الذى يفترسه اليعسوب ، بيد أن عالماً اسمه « بوتنملر » صاد يعسوباً فأطعمه فى ساعتين ٤٢ ذبابة فلم يشبع . وقد رأى غيره من العلماء أنك إذا ثنيت بدن اليعسوب حتى يصير طرفه فى فمه ، لم يلبث أن يقضم من بدنه ويظل يقضم منه إلى حيث تبلغ أسنانه .

ولعلك لن تجد فى الأدغال القصية تنيناً أظمأ إلى الدم وأعجب طباعاً من هذا التنين الطائر — اليعسوب .

فى شارعنا يبدأ السلام

مس آن جريس سوير امرأة عجوز تقيم فى شارع إلجن بمدينة شيكاغو وقد ظلت مدة سنين تشاهد الصغار يلعبون فى الشارع ، فيقلدون رجال الشرطة والمجرمين ، ثم الفدائيين . وقد رأت جيـلا منهم قد شبَّ وجد وذهب إلى القتال ، فالألعاب التى كانوا يمارسونها صارت فى حياتهم حقيقة واقعة .

ثم رأت ذات يوم فتى يمرق فى حديقتها ويسدد إلى مطارديه ما كان يعده مدفعاً مضاداً للطائرات ، فنادته . فلما اجتمع الفتيان حولها حدثتهم عن الحرب والمدافع وإهراق دماء الناس بلا رحمة . ثم حدثتهم بلسان متحمس عن السلام والمغامرات العظيمة التى يتيحها لهم . وظلت تحدثهم حتى أقنعتهم بأن يطرحوا بنادقهم ويتخذوا مكانها ما يشاؤون من أدوات الرياضة التى أعدَّتها لهم .

وفى اليوم التالى كُتبت رقعة ووقعتها هى وجميـع الفتيان ، وكان نصها : « فى شارعنا يبدأ السلام ، والخير لعالمنـا أن يكون بغير مدافع ، وأن يكون محفوفاً بالرقة والإنصاف . الإمضاء : نادى الصبيان للسلام فى شارع إلجن » . ثم ختمت الحفلة بنار ألقى فيها الفتيان كل الذخيرة التى لم تستعمل .

والتفتت مس سوير إلى هـذه العصبة من الفتيان الذين كانوا فدائيين ، فشعرت بالزهو وقالت كأنها تحدث نفسها : « فى شارعنا يبدأ السلام » .

الابتكار فى الأعمال

خرجت على عجل من الفندق الذى نزلت فيه بعد أن وفيت أجر الإقامة ، قدهشت ساعة رأيت حاجز الزجاج فى مقدم سيارتى نظيفاً صافياً بعد أن تركته فى الليلة السابقة ملطخاً بالوحل، ووجدت بطاقة كتب عليها : « نُظف هذا الحاجز — تبرعاً من محطة « بنزين الخليج » الواقعة عند منحنى الطريق » .

فنسيت أننى على عجل ، وذهبت بسيارتى إلى تلك المحطة لأتزود منها بما أحتاج إليه ، فبين لى مديرها أن محطته ليست على الطريق العام ، ولذلك ينبغى له أن يستدرج الزبائن إليها ، فيذهب هو ومساعده فى الصباح الباكر كلّ يوم ، وينظفان السيارات المرابطة أمام الفنادق القريبة . فزاد مايبيعانه فى الشهر الأول من ٣٠٠٠ جالون إلى ٥٠٠٠ جالون من البنزين ، أما أصحاب السيارات الذين كانوا لايحتاجون إلى شراء شىء من محطته ، فكانوا يمرون به ليوفّوه حقه من الشكر ، ويعدوه بأن يتزودوا منه بما يحتاجون إليه فى الرحلة التالية .

[هربرت إ . ودرف]

عهد إلى جورج وسويل أحد مديرى شركة للاعلان أن يجرى بحثاً فى ولايات أمريكا الشمالية الشرقية، فوجد أنه لايستطيع أن يتمه فى الموعد المضروب ، وأن الزمن الباقى له بضع ساعات وحسب ، فلم يثن ذلك من عزيمته ، فطلب جماعة من حمام الزاجل ليستعين بها .

وعهد إلى سعاة شركة البرق « وسترن يونيون » بتسليم مئة من هذا الحمام إلى مئة من كبار رجال الأعمال فى منطقة حول مدينة بوسطن نصف قطرها ٩٠ ميلاً . وكان قد علق بأرجل الحمام كشف الأسئلة التى يريد توجيهها إلى هؤلاء الرجال . فلما رأى رجال الأعمال مارأوا من براعة وسويل أكبوا من فورهم على الإجابة على الأسئلة ، ثم وضعوها فى العلب الصغيرة المعلقة بأرجل الحمام وأطلقوا الحمام فعاد إلى صاحبه ، وأتم وسويل بحثه فى أقصر زمن .

[مجلة « تايد »]

ألف الناس أن يروا ذرة أحد الفلاحين تظفر بالجائزة الكبرى فى معرض الولاية سنة بعد سنة ، فلما سئل لِمَ يشاطر جيرانه من الفلاحين خير بذوره قال : « المسألة فى نظرى مسألة اتقاء للأذى، فالريح تحمل حبوب اللقاح، وتنقلها من حقل إلى حقل، فإذا كانت

ذرة جيراني رديئة فإن تلقيح بعض ذرتي بلقاح ذرتهم يضعف ذرتي سنة بعد سنة ، فلذلك أحرص على أن يزرعوا أفضل حبوب الذرة »» .

[مجلة « هذا الشهر »]

أنشأ جوزيف بيسكوتي وزوجته عملا موفقاً من خاطر خطر لهما . فهما يعدّان الخضر الغضة للبيع ، فيغسلانها ويزنانها ثم يضعانها في أكياس من الورق الشفاف (السلوفان) ، ويرسلانها صباح كل يوم إلى الدكاكين . وقد نما عملهما حتى صارا يستعينان بأربعين إلى ثمانين عاملا في زمن وفرة الخضر ، ويرسلان كل أسبوع إلى السوق ملء سيارات كثيرة من هذه الخضر المعدّة إما للطبخ فوراً ، وإما لأكلها غضة بغير ضرورة إلى غسل أو إعداد .

وقد بدأ هـذا العمل سنة ١٩٤٣ ، فكان الزوجان يعدّان السبانخ ويضعانه في علب من الورق المقوى يغطيانها برقائق من الورق الشفاف . وفي السنة التالية زاد عدد الخضر التي يعدّانها على هـذه الطريقة ، وفضّلا أن يستعيضا بعلب الورق المقوى أكياساً من الورق الشفاف الذي لا يبتل ولا ينفذ فيه الماء .

وقد وجدا أن أكثر الطلب على السبانخ والخضر التي تُراد « للسلطة » . وخضر « السلطة » هي الكرفس والجزر والكرنب الأبيض والأحمر وغيرها ، فتغسل وتقطع قطعاً حتى تكون معدّة لتناولها . وفي فصل البنجر والجزر يعنيان بغسلهما ولفهما ، أما في فصل البسلة فإنهما يفصّصان حبوبها ويغسلانها ثم يضعانها في الأكياس . ومما يصنعانه أيضا خليط من قطع الخضر المعدّة لتصنع حساء .

وهذه الأكياس تباع في دكاكين التجزئة وتعرض فيها ٤٨ ساعة ، وكل مالم يبع منها بعـد ذلك يطرح ، لأن الغرض هو أن يكون ما يباع غضا ناضراً .

[كتاب : عملك الخاص]

إحسان بإحسان

كنت أطوف في حي الفقراء في نيويورك فاعترضني رجل ظننته شحاذاً ثملا ، فهممت بأن أهز رأسي وأتجاوزه ، فأدركت أنه ليس ثملا ولكنه أعمى ، فدهشت أن أراه هناك ينافس غيره في حي الفقراء فقلت : « أليس أجدى عليك أن تكون في شارع من أحياء الوجهاء ! » .

ولن أنسى جوابه ، قال : « نعم ، إن دخلي هناك ربما زاد على دخلي هنا ، ولكنني أوثر أن أبقى هنا . فحين يرى الفقراء رجلا أسوأ منهم حالا ، يحسون بشيء من الفرج ، وإذن فأنا أعرف أني لا آخذ مال الناس وحسب ، بل أرد عليهم شيئاً في مقابله » .

[وليم شامبلس]

آثرت الحرية

مختصرة من كتاب
فكتور كرافشنكو

فى اليوم التاسع عشر من أغسطس ١٩٤٣ قدم فكتور كرافشنكو إلى وشنطن عضواً فى لجنة المشتريات السوفيتية ، وبعد ثمانية شهور تخلى عن عمله ، وقطع صلته بالحزب الشيوعى ، ونزل عن جنسيته السوفيتية . والحوادث التى حملته على هذا العمل الحاسم هى موضوع كتاب « آثرت الحرية » الذى كان ومازال من أوسع الكتب رواجاً منذ صدر .

وقد نشر المختار (أغسطس ١٩٤٦ صفحة ١٠٦) ملخصاً أول للكتاب ، يتناول حياة القلق والشك التى يعانيها الموظف السوفيتى فى الخارج . وفى هذا المختصر الثانى يرسم كرافشنكو صورة للحياة بين طبقة الموظفين العليا ، كما تبدو من مرقب قريب من قصر الكرملين] .

أُثرتُ الحرّية

دعيت ذات يوم إلى مكتب الرفيق أندريه أوتكين نائب رئيس السوفناركوم — مجلس وزراء الشعب — فى الجمهورية الروسية الاشتراكية فى اتحاد السوفيت ، فقال : « إننا محتاجون إلى مهندس من أعضاء الحزب ليرأس قسم هندسة التسليح للحرب ، وأظن أنك تصلح لهذا العمل » .

وكنت يومئذ كبير مهندسى البرومتريست ، وهو اتحاد صناعى يشرف على تسعة مصانع تشتغل بالإنتاج الحربى ، وهى وظيفة تبعاتها أقل بكثير مما دعيت إليه . فقلت : لست واثقاً من قدرتى على أن أتولى عملا مهماً كهذا .

فقال : « وأنا أرى أنك ستقوم بالعمل على وجه مرض جداً ، فإنك ذو خبرة ، وقد كنا نراقب عملك فى الاتحاد » .

« إذا كان هذا رأيك ، فإنه ينبغى طبعاً أن أقبل » .

وهكذا حدث فى آخر مايو ١٩٤٢ ، فبعد بحث شامل قامت به هيئة البوليس السرى ، (النكفيدا) . وبعد تأييد اللجنة المركزية للحزب ، اتخذت مكتبى بجوار مكتب أوتكين ، وقد بقيت فى هذه الوظيفة نحو عام ، كنت فى خلاله مندمجاً فى دائرة الحكام الداخلية ، ومخولا أن أحمل رمز السلطة السحرى ، البطاقة الحمراء الخاصة ذات الحروف المذهبة . فكنت بذلك من أعضاء الحكومة .

وللروسيين كلمة يعبرون بها عن ذلك هى فلاست أى « السلطان » ، ومعناها السلطة العليا ، ولكنها تعنى ماهو أكبر من ذلك : ستالين ، والمكتب السياسى للحزب ، والبوليس السرى ، وحاشية ستالين بألقاب أو بغير ألقاب . على أن هذه الكلمة تملأ نفس المواطن العادى رهبة ونفوراً ، لأنها تصور له المسافة المترامية التى تفصل هذه الطبقة القوية المختارة عن جماهير الناس .

وقد كنت فى مجلس وزراء الشعب أتبوأ مكاناً قريباً من ذروة السلطة ، حيث يسير أعلى الحكام فى فلك آخر من الحياة الإنسانية ، ويشعرون أنهم معفون من التقيد بالأخلاق والمشاعر العادية التى ينبذونها لأنها « نزعات برجوازية » و « مبادىء حرة متعفنة » .

وكان على رأس مجلسنا كونستانتين بامفيلوف ، وهو رجل بلغ قربه من الحاشية المقربة أنه لما مات دفن فى جدار الكرملين بالميدان الأحمر . وكانت خمس مصالح قوية تتبع مساعده الأول أندريه أوتكين ، وأنا أتولى إحداها ، فليس بينى وبين القمة سوى

خطوتين . وكانت مصلحتى مقسمة إلى عدة أقسام فنية ، يديرها الذين يساعدوننى .

وقد كنت أدرك طبعاً أن فترة ارتقائى الوجيزة خطرة ، فقد رفعنى هوى بعضهم ، وفى الوسع أن ترمى بى إصبع ناعمة من أصابع من هم فوقى ، وهؤلاء يستطيع رؤساؤهم أن يلقوا بهم إلى الأعماق بغير إنذار . وكثيراً ما كنت أرى بامفياوف أو أوتكين يرتجف فى حضرة رئيس من رؤساء البوليس السرى أو بعض المقربين من حاشية الرئيس الأعلى ، وكنت أسمعهما يُشتمان بألفاظ قذرة كأنهما بعض الخدم الذين ارتكبوا إثماً ، ولاغرو فإن التوازن فى ظل الدكتاتورية يتمّ تمامه فى ميزان دقيق تضطرب كفتاه بالسلطة المطلقة والخوف الذى لاحد له .

وكان القليلون منا الذين يمثلون الفلاست ، أو السلطان فى مجلس الوكلاء — وهم نحو ثلاثين رجلا — معزولين عمن هم دونهم من الموظفين والمستخدمين بوسائل شتى . فقد كان لنا طابقنا الخاص وهو ساكن سكون المعبد ، ويحرسه رجال من البوليس السرى من طبقة الضباط ، ولمكاتبنا الرحيبة أبواب مزدوجة لتحول دون استراق السمع . وكانت تقدم لنا ألوان من الطعام الجيد للإفطار والعشاء فى مكاتبنا مجاناً ، ولنا حجرة طعام خاصة للوجبات الأخرى بأثمان تافهة ، ومن أنفس امتيازاتنا حق دخول مستشفى الكرملين والانتفاع بصيدليته يوم كان الجمهور لا يجد سبيلا إلى الأطباء والأدوية .

وقد أكون فى حياتى الخاصة شيئاً لا قيمة له ، ولكنى فى مكتبى كنت محمياً كأنى كنز وطنى عظيم . فما من غريب يستطيع أن يزورنى بغير إذن صريح منى ، فأكتب جوازاً للزائر وأختمه بخاتمى الخاص ، وقبل أن يسلم إليه الجواز يطلب منى رقباء البوابة تأييداً للإذن بالتلفون ، ولكى يستوثق الرقباء من أن مخاطبهم ليس رجلا محتالا ، كان ينبغى أن أطمئنهم بكلمة سر لا يعرفها إلا أنا والبوليس السرى . ومتى تلقى الزائر الجواز ، فإن شخصيته تفحص أربع مرات على أربع مراحل قبل أن يصل إلى غرفة الاستقبال عندى .

ولم يكن لأحد دونى فى المنصب أن يصدر جوازاً مهما بلغ من عظمة الشأن ، فإذا احتاج أحد مساعدى إلى بعض الغرباء فإن عليه أن يبسط لى الأمر ، فإذا رأيت أن الزيارة ضرورية اتخذت التدابير اللازمة .

وكانت هيئتنا أيضاً ، مثل الكرملين واللجنة المركزية للحزب ، يحميها فوق ذلك نظام معروف باسم « رقعة الشطرنج » .

ففي أوقات غير منتظمة كان الحرس من رجال البوليس السرى يغيّرون بإشارة من نقطة الرقابة المركزية ، كما تنقل قطع الشطرنج ، فينقلون فجأة بغـــير تنبيه ، ويجرى تنقيلهم على نحو معقـد ، فما من حارس يستطيع أن يعرف أين يكون فى وقت معين ، وهكذا يستحيل أن يتواطأ أربعـة أو خمسة من الحراس على إدخال زائر غير مرخص له .

على أن الرمز الحقيقى لمنصبى العالى الجديد لم يكن هذه اليقظة فى الحراسـة ولا حق فى إصدار الإذن ، وإنما كان شيئاً عادياً فى الظاهر ولكن له دلالة أو قيمة خاصة فى حياة ذوى المناصب الرفيعـة ، وهو خزانة أعرف أنا وحدى أرقام قفلها — لم أكن وحدى فى الحقيقة فى ذلك ، فقد كان رجال البوليس السرى يشاطروننى هذا السر، غير أن الرؤساء لا يكلون مثل هذه الخزانات إلا لذوى المنـاصب الكبيرة . ولم يكن ثم إلا خزانة واحدة ، هى خزانة ستالين ، يجهل البوليس السرى أرقام قفلها .

حتى أوتكين وبامفيلوف حين يزوران مكتبى ، ينظـران إلى الخزانة متطلعين ، ويتساءلان فى سرهما عما عسانى قد دونته فى الملفات عن أوامرهما وتعليماتهما الشفوية ، وذلك لأنه لما كانت الخزانة هى أرض الصيد المحببة إلى البوليس السرى،فإن أنجع وسيلة للوشاية بالرؤساء دون أن يخاطر المرء بكتابة تقرير صريح إلى البوليس ، هى أن يدون المرء الحقائق «لنفسه» ويخبئها فى خزانتـه الخاصة .

ولن أنسى أول يوم لى فى منصبى الجديد، فقد وصلت فى الساعة العاشرة صباحاً ، وكان السكرتيرون والمســاعدون فى أماكنهم ، وكانت الأوراق التى تتطلب أن أنظر فيها مرتبة بعناية على مكتبى الذى تطل عليه صورة كبيرة لستالين . وما كدت أجلس إلى مكتبى حتى دق التلفون ، وكان المتكلم ضابطاً من البوليس السرى يسأل هل آذن له فى المثول أمامى ، وكانت هذه أول مرة يطلب فيها إذنى بالزيارة ممثل لهـذه الهيئة المخيفـة ، وكانت تعليماته وشروحه للإجراءات مظهراً لهذا التلطف الذى لم يسبق له مثيل .

وفى الساعة الحادية عشرة أقبلت خادمة بالفطور : بيضتين وشىء من اللحم وزبد ، وقدح من الشاى ، وكعكات وخبز أبيض ، وكان هذا كله فيما عدا البيض والشاى من فضل قانون الإعارة والتأجير الأمريكى .

وكانت الخادمة فى العقد الرابع من عمرها ، وثيابهـا حسنة ، ولكن شيئاً فى وجهها المتهضّم صدّنى عن الطعام ، فتركت بيضة ، وبعض اللحم وكسرات من الخبز

وقطعة من السكر ، كأنما كان هـــذا فوق ما أستطيع التهامه. ولما قرعت الجرس دخلت سكرتيرتى وحملت الصحاف ، ثم جاءت بعد ذلك بأوراق لتــوقيعها ، فوقفت بجانب المكتب لحظة وهى غير مستقرة .

وقالت: «يخجلنى أن أقول ذلك ، ولكنى اجترأت على أكل ماتخلف من فطورك . فأرجــو أن تصفح عنى . إن من الصعب أن يمسك الإنسان رمقه » .

فقلت : « يسرنى أنك فعلت ذلك ، ولكنى أقول بصراحة أنى كنت أفكر فى أن الخادمة ... »

فقاطعتنى قائلة: «ولكنى أنا وليزا متفاهمتان، فيوماً آخذ أنا المتخلف ، ويوماً آخر تأخذه هى . الجوع فظيع،وهو أقوى من الحياء» .

ومنذ ذلك اليــوم طول الشهور التى قضيتها فى هذا المنصب، كنت لا آكل إلا نصف فطورى ، وأترك الباقى لليزا وسكرتيرتى ، وعلمت أن ليزا كانت تحمل نصيبها إلى البيت لتطعم طفليها الصغيرين .

ولما كان منصبى قريباً من القمة ، فقد سمعت كثيراً مما يصح أن يوصف بأنه أخبار عليا . وفى حينما تكون الصحافة تحت الرقابة التامة تكون مثل هذه الأخبار الشفوية ، ــ ولاسيما إذا كانت لها صبغة غير مشروعة ــ ذات قيمة كبيرة .

فالخلاف بين زعيمين فى القمة ، وصعود نجم موظف وأفول نجم آخر ، وملاحظة لاذعة يبديها « الرئيس » نفسه ــــ هذه كانت مواد الأسرار التى نتبادلها بلهفة .

وقد تيسر لى أن أعرف أن كاجانو فتش وأندرييف ــــ وكلاهما من أعضاء المكتب السياسى، متعاديان وكل منهما يدسُّ لصاحبه ليفوز بالحظوة عند ستالين ، وأن ميكويان ومولوتوف يتنافسان على المحل الأول عنده ــ أى ستالين ، وأن مخليس رئيس الدائرة السياسية للجيش الأحمر أقصى فى هدوء عن منصبه لأنه وهو يهودى قد صار هدفاً صالحاً للدعاية النازية بين الجهلة من الجنود ، وأن فاسيلى ــــ أحب أبناء ستالين إليه ــــ لا يزال يقع فى متاعب يجرها عليه الشراب والبنات والطيش فى قيادة السيارات .

على أن ستالين نفسه كان أشد موضوعات اللغط إنعاشاً للنفوس ، فقد كانت كل كلمة من كلماته تجترُّ وتحلل، وكانت محابُّه ومباغضه ، وصحته وعاداته وعيوبه ، تثير من الاهتمام بين رجال حاشيته فوق مايثيره سير الحرب أو مصير الثورة العالمية .

وقد علمت أن ستالين مولع بالشطرنج والبليارد ، وأنه ماهر حاذق فيهما ، وعلمت كذلك أنه يؤثر القــوقازيين أى أهل جورجيا وأرمينيا على الروسيين ، وأن هؤلاء

القوقازيين، وإن كانوا جزءاً ضئيلا من جملة أهل الاتحاد السوفيتي، منتشرون في جميع نواحي النظام القائم .

وكنا جميعاً نعلم أن ستالين يحب الأمثال، فبعد أن عقد ميثاقه مع هتلر قيل إنه قطع الحديث في المجلس السياسي بمثل من أمثاله التي يحبها : « لست أضمن طعم هذا الصنف ، ولكنه سيكون حاراً ! » ، وكان أحياناً إذا أطال بعضهم في الكلام ، يقترح بلطف : « اقلب الأوزة وإلا جاوزت بها حد الإنضاج » ،أو يرى المتكلم يكثر من التمهيد قبل الدخول في الموضوع فيقول : « إناث تخور كالبقرة جاءها المخاض ، ولكن أين العجل ؟ »

ويعتقد أصفياء ستالين اعتقاداً راسخاً أنه يؤمن بالخرافات ، وأنه غير أحياناً خططه لأن « العلامات » لا تؤذن بالتوفيق . ولعله الوحيد بين الدكتاتورين والساسة الناجحين الذي يعد « ذئباً مستفرداً » ، وأنه حريص على العزلة ، يحجب نفسه فترات طويلة للتفكير وحده . وعسى أن يكون الوحيد بين زعماء الكرملين الذي يندر أن يغتابه أحد ، على حين تلهج الألسنة بغير انقطاع عن الزعماء الآخرين والراقصات والممثلات وحفلات الشراب وما إليها .

ويتفق الذين عرفوه منذ زمن طويل معرفة وثيقة على أنه منتقم ، ولم يعهد فيه قط أنه نسي أو اغتفر مساءة ، وقد أحاط نفسه برجال من نفس هذا المعدن — رجال أقوياء الشكيمة ، ليس فيهم رقة أو تسامح . على أن سوء ظن ستالين بالذين يحفون به كالمرض ، لا يسمح له بأن يستثني حتى الذين يرضى عنهم في أي وقت معين . ولا يكاد يكون هناك شك في أنه يعدّ كل واحد منهم متآمراً عليه أو متربصاً .

وكان علينا في طبقة الموظفين التي انتمى إليها ، من التبعات فوق مالنا من السلطة . فقد كنا في وظائف أعلى من أن تسمح لنا بالراحة ، كصغار الموظفين والمستخدمين العاديين ، ولكن وظائفنا في هذا اليوم لم تكن من السمو بحيث تجيز لنا أن نلقي العبء واللوم على كواهل غيرنا .

على أن أثقل ماعانيناه كان قلة النوم ، وكان الأسبوع الذي استطعت فيه أن أنام خمس ساعات في اليوم ، فلتة . وكان معظم رجال المكتب والمتخصصين يعملون عادة من الساعة التاسعة إلى الساعة الخامسة ، أما يوم عملي فكان يستمر من العاشرة أو الحادية عشرة إلى الثالثة أو الرابعة من صباح اليوم التالي ، وكثيراً ما كان يجاوز ذلك . وكان يندر أن أختلس بضع ساعات من

المساء أقضيها فى البيت مع زوجتى . وكنت فى بعض الأحيان أجازف فأنام ساعة أو ساعتين نوماً مضطرباً على أريكة فى مكتبى ، والباب موصد وجهاز التلفون بجانب أذنى حتى لا يتبين أحد أنى نائم .

وكان نظام العمل فى الطبقة العليا من الموظفين فى موسكو غريباً ، لأنه يجرى على النسق الخاص الذى اقتضته عادات رجل واحد . وكان ستالين يبدأ يومه عادة حوالى الساعة الحادية عشرة صباحاً ، ويظل يعمل حتى الرابعة أو الخامسة مساء ، ثم ينام إلى العاشرة أو الحادية عشرة مساء ، ويستأنف العمل إلى الثالثة أو الرابعة صباحاً أو إلى ما بعدها . وكانت جلسة العمل ليلاً هى أهم الاثنتين .

فالعمل فى العاصمة منظم تبعاً لساعة ستالين الشاذة . فكان الموظفون الأعلون ينشطون للعمل حين يصل « الرئيس » إلى مكتبه (كما كنا جميعاً نسميه فى أحاديثنا) ولا يفترون إلا حين يعود إلى بيته . وكانت بقية البلاد ، لدوام اتصالها التلفونى بعقر الرياسة وشعورها الدقيق بحالاته، تجرى أيضاً على هذا المنوال . ولهذا كان الواقع أن المد والجزر فى حيز الحكومة فى روسيا كلها خاضعين لهذا التأثير .

ففى مصلحتنا مثلا ، كان بامفيلوف وأوتكين يحرصان على أن يكونا فى مكتبيهما قبل أن يصل ستالين إلى مكتبه ، ويبقيان إلى أن يغادره . أما أنا فكنت حريصاً على أن أبدأ عملى قبل أن يجيء رؤسائى المباشرون ، كما كان مساعدىّ يحضرون قبلى . ولم أنصرف قط بغير إذن صريح ، وقبل أن يفرغ رؤسائى من عملهم ليلاً ، ولهذا كنت أقضى فى العمل ١٧ أو ١٨ ساعة. وكان أوتكين وبامفيلوف لايشكون فى أنى حاضر إلى جانب التلفون حين يحتاجان إلى مخاطبتى ، كما كان ستالين أو مولوتوف لا يشك فى أن بامفيلوف يباشر عمله فى مكتبه حين يخطر له أن يطلبه تلفونياً .

وكانت مصلحتنا ، باعتبار أنها أداة التنفيذ والإشراف للجنة الدفاع المهيمنة، مسئولة عن جانب ضخم من الإنتاج الحربى كله . وكان بعض هذه المهمة الهائلة موكولا إلى القسم الذى أتولاه ، فكانت مئات من الأوامر والقرارات والشكاوى والتهديدات تصل إلى مكتبى بإمضاء ستالين وألصق أعوانه به ، وكنت على اتصال مستمر بكل مصلحة ، وبالمصانع والمكاتب الصناعية الخاصة ، والمصالح الأقليمية فى طول البلاد وعرضها ، فكانت حياتى سعياً محموماً لتهيئة المواد والوقود والعمال ، ولزيادة الإنتاج فى فترات معينة من الوقت .

وقد تبينت من أول الأمر تقريباً مبلغ النقص المحزن فى المـواد اللازمة للحرب ، وذلك فى مؤتمر عقـده ألكسى كاسيجين أحد أعوان ستالين الأقوياء ، وكان موعد انعقـاد المؤتمر الساعة الأولى بعد منتصف الليل بالكرملين ،فلما دخلنا حجرة كاسيجين ساد الصمت والسكون ،واختفت الابتسامات، ولبس كل واحد قناعه الرسمى .

وهـذه الحجرة البيضاوية فسيحة عالية السقف . ويجلس كاسيجين ، الذى يرتدى ثياباً مصنوعة خارج روسـيا ، إلى رأس المائدة الطويلة ، ووجهه صارم وعليه دلائل التعب والسهر ، ونحييه فيرد بهزة من رأسه ويأمرنا أن نجلس ويقول : « فليقدم رئيس الجفيوك تقريره » .

« والجفيـــوك » اسم مختصر لمصلحة المارشال فوروبيوف وهى تتولى التجهيزات العسكرية ، ولم يفتنا أن المارشال لم يخاطب باسمه ولقبه : كاسيجين إذن غير راضٍ .

ويتكلم المارشال فوروبيوف خمس عشرة دقيقة مستنداً إلى حزمة من المذكرات ، ويسرد أرقاماً وأرقاماً أخرى أكثر ، والصورة كلها حالكة قاطعة بنقص المواد : لا زوارق بحارية ، ولاجسور معدة من قبل لعبور الأنهار ، ولا ألغـام لتعويق زحف العدو ، ولا مصانع متنقـلة للإصلاح ، بل لافؤوس ولا مجارف للمشـــاة ، (وينظر كاسيجين إلى الإضمامة التى أمامه ويبدى الملل والضجر) ، ويمضى المارشال فى بيانه ولكن شعوره لايلبث أن يتفجر من تحت قناعه العسكرى الصلب ، فيصيح :

« إن الناس يموتون بالآلاف فى جبهة القتال فى هذه اللحظة ! فلماذا لا نستطيع أن نزودهم على الأقل بألزم مايلزم لهم؟ لقد أمر الرفيق ستالين بنفسه ثمـانى مرات بالمصابيح ولكنها لاتزال تنقص الجبهة . إنى أناشدكم أيها الرفقاء الذين تقفون على رأس الصناعة باسم الجنـدى البسيط الذى يقاتل فى الميدان » .

فيسأله كاسيجين: « أى نوع من المصابيح تشير إليه ؟» فيرفع كولونيل مصباحاً ساذجاً له إطار من المعدن وجوانب من الزجاج ، هو النوع المطلوب بدلا من بطاريات الإشارة. فيسأل كاسيجين بغضب : « ولِمَ لا نستطيع أن نصنع حتى هذه التوافه ؟ »

ويتفق أنى على علم بهذه المسألة ، فأقول أن إنتاج المصابيح قد أبطأ لأنه ليس عندنا رقائق معدنية، ولا آلات لتكييفها، ولا زجاج من النوع أو الحجم المطلوب .

فيدق كاسيجين المائدة بقبضة يده ويقول: « يجب أن ينتهى هذا الجمود الإجرامى ! ويجب أن نصنع المصابيح ! ويجب أن يكون

الإنتاج الحربى كما أمر الرفيق ستالين ! سوسنين — هات تقريرك ! »

ويتكلم وزير مواد البناء — وهو رجل طويل كئيب الوجه — بلهجة مملة واشية باليأس ، فإن مهمته عسيرة . ذلك بأن الآلات فى كراسنو يارسك فى حالة سيئة ومحطة توليد الكهرباء معطلة ، ولا يوجد العمال الصالحون .

ويستمر المؤتمر ساعة بعد ساعة ، وكل تقرير يقدمه وزير يزيد اليأس ، و « عنق الزجاجة » فى المواد والآلات ووسائل النقل تبدو كأنها تعددت فصارت كأنها غابة مضلة من « أعناق الزجاجات » لاسبيل إلى اختراقها، ويكف كاسيجين عن السؤال ، ويصرخ بالأوامر ، ويعين الأرقام والتواريخ دون أن يستشير أحداً . ونحن نعلم ، وكاسيجين يعلم ، أن وجوه النقص حقيقية ، وأنه ما من أحد منا يستطيع أن يأتى بالمعجزات .

وفى أثناء المؤتمر يدق التلفون ، فتتغير هيئة كاسيجين كلها فجأة ، وينقلب رقيقاً خانعاً، ومن البديهى أنه يعرف ممن التلفون. « نعم ، يايوسف فيساريونوفتش . . . طبعاً سنعمل هذا ! » . ستالين ! وتسرى فى أبداننا الرهبة ، ونجلس جميعاً صامتين جامدين كالتماثيل ، حتى يعيد كاسيجين السماعة بعناية ، ويحتاج إلى خمس دقائق ليستعيد مظهر الغضب ويستأنف لهجة الأمر والشتم .

وتبلغ الساعة منتصف الخامسة صباحاً قبل أن يطلق سراحنا ، وقد صيح بنا وشُتمنا شتماً قبيحاً ، ولعل العبارات البذيئة الشائعة فى كل مكان بين الطبقات العليا فى النظام السوفيتى هى أبرز مايذكر بأصله الذى يرجع إلى الطبقات العاملة . وقد خرج كل واحد مثقلا بأوامر بطلب موادّ أرقامها تدير الرأس . ونحن جميعاً نعلم أن هذا مستحيل، وأن الأرقام قد رفعت عمداً لتعتصر آخر قطرة من مجهود الصناعة .

وقد شهدت عشرات من هذه المؤتمرات فى الكرملين ، عقدها غير واحد من مندوبى ستالين ، وكانت الإجراءات ومظاهر الغضب والمطالب ، والتهديدات لاتختلف .

وقد عرفت بفضل جهودى اليائسة لتنظيم الإنتاج الذى تصنعه أبسط الأدوات ، قيمة مايتدفق من الأسلحة والمواد والآلات من أمريكا بمقتضى قانون الإعارة والتأجير فى إدراك النصر ، وذلك لأننا كنا نواجه نقصاً فى كل ناحية .

وسأذكر دائماً تلك الليلة التى أقبل علىّ

فيها جنرال فى الجيش الأحمر وجلس فى مكتبي يتوسل إلىّ ، والدموع تنهمر من عينيه ، أن أزوده بآلات يقطع بها الأسلاك الشائكة ، وقد قال إن آلافاً من جنودنا يتمطعون ويذبحون بغير موجب من جراء حاجتهم إلى هذه الآلات البسيطة، وقد طلبت فى حضرته الوزراء فى موسكو ومديرى المصانع خارجها ، ولكن مافائدة الهياج والتهديد والصياح ، مادامت المصانع ليس فيها الصلب اللازم أو الأدوات أو الآلات ؟

وكان البحث عن أحذية الخيل مدعاة لعقد مؤتمرات لا آخر لها ، ومخاطبات تلفونية مستمرة ، ومتاعب وآلام شتى . وقد احتجنا مرة أن نستولى على آلاف من بوصلات المدارس ووزعناها بشح على الجبهات المختلفة ، وكان الأمر الذى أصدره ستالين بتوقيعه يطلب ٥٠٫٠٠٠ بوصلة لميادين الحرب ولكن الصلب المغطس لم يكن إليه سبيل .

وكانت الأوامر التى أتلقاها من فوق كثيراً ما تكون هستيرية اللهجة ، وكان الأمر الصادر بتوقيع ستالين أو أحد أمنائه ، بطلب قطعة جوهرية من قطع الدبابات أو جهاز للطائرات لاغنى عنه ، لايجىء إلا ومعه إنذار بعقاب لارحمة فيه .

« إن الإشراف على تنفيذ هـذا الأمر مفروض على وزير الشعب فى شئون الهيمنة الرفيق بوبوف ، وكل من يرتكب مخالفة هذا الأمر كائناً من كان ، يعد مسئولا (وهـذا معناه العزل والمحاكمة أمام محكمة عسكرية) ويجب أن يبلغ أمره إلىّ » .

وهذا هو أسلوب ستالين المعهود ، وكل موظف يقلده فى علاقته بمن هم دونه ، وهى لغة الخوف والتخويف بغير تزويق أو تمويه ، والمقصود بها هو تذكيرنا صراحة بمعسكرات الاعتقال وفرق الإعدام . ومع أن الخطاب قد يكون موجهاً إلى زعماء أقوياء تقشعر أبدان الروسيين لذكر أسمائهم ، إلا أن ستالين ومعاونيه الأدنين لم يكن يفوتهم قط أن يهددوا بالاعتقال والعقاب .

ولم يسبق قط أن كددت هذا الكدّ ، أو عملت وأنا أشعر شعوراً مستغرقاً كهذا بالإخفاق . وسرعان ماصار لونى متغيراً وعيناى ملتهبتين ، ومسُّ الحمى يأخذنى ، وذلك مايحدثه التعب الدائم .

وكان كل من حولى من الرجال والنساء يكدون مثل كدى ، ولا شك أنه كان بينهم من يمقتون الاستبداد السوفيتى كما أمقته ، غـير أن آراءنا السياسية لم تضعف من إخلاصنا لقضية النصر . فقد كانت بلادنا فى خطر — فكل ماعدا ذلك لاقيمة له ، ولم يكن أحد منا يحتاج إلى حافز آخر إلى العمل ، فالتهديد إسراف لاموجب له فيما يتعلق بنا .

وكان مجلسنا كله من بامفيلوف إلى أصغر كاتب موكل بحفظ الملفات ، يجرفه عباب طام من الوطنية المنبعثة من أعمق أعماق التاريخ الروسى والأرض الروسية . أما وكلاء الدعاية الصغار التابعون لأداة ستالين فى الداخل والخارج ، الذين يحاولون أن يعللوا هذه الفورة بأنها ظاهرة شيوعية، فإنهم يظلمون روسيا ظلماً قبيحاً ، لأنهم يحاولون أن يفسروا قوة متأصلة لا يحدها زمان تفسيراً قائماً على الآراء الحزبية التافهة . فما كانت المعجزة إلا معجزة روسية لا سوفيتية، ولا دخل فيها لكارل ماركس ولا ستالين .

وكانت الشهور التى قضيتها فى هذا المجلس هى التى دارت فيها أقسى معارك الحرب وأشدها مرارة ، وأعنى بها الموقعة المستيئسة فى سبيل ستالنجراد ، وكان الجمهور الروسى أقل معرفة بمجرى هذه المعركة المتطاولة من بقية العالم . ولكننا نحن بفضل مراكزنا فى الحكومة لم يكن يسعنا إلا أن نعرف كيف جرت الدماء أنهاراً ، وماذا اتخذ من التدابير القاسية لدرء عواقبها .

وكان التجنيد يجرى منذ زمان طويل على نحو لا نظير له فى أية دولة أخرى ، وكانت أعمار رجالنا المقاتلين تتراوح بين السادسة عشرة والسادسة والخمسين، وانقطع التظاهر بالفحص الطبى ، والإعفاء من الخدمة من أجل من لا عائل لهم غير المجند ، بأمر سرى صدر عن ستالين نفسه ، وكان آلاف من قدماء المحاربين يُرَدُّون إلى جبهة القتال قبل أن تندمل جراحهم ، وكان الصبيان والبنات ممن لا يتجاوزون سن التعليم وأمهات الأطفال الصغار ، بل نساء المزارع التى خلت من رجالها ، هؤلاء جميعاً كانوا يحشدون للعمل فى المصانع .

وفى هذه الأزمة المستحكمة فى موارد القادرين من رجال ونساء ، كان تسخير الملايين من السجناء السياسيين عاملاً ذا شأن عظيم — بل أهم عامل — في إنقاذ الاقتصاد الحربى السوفيتى ، وهذه حقيقة يجب أن نُواجه مهما يكن ما تنطوى عليه مما لا يخف على النفس . وأنا أعلم مما رأيته فى نطاق واسع أن معظم الصناعات الحربية استخدمت فرقاً من الأرقاء ، وأن المعوَّل الأول أو الأوحد فى معظم المصانع كان على هذه السخرة ، فالذين يلغطون فى الخارج عن النصر الروسى وأنه دليل على « نجاح النظام السوفيتى » قد يكونون أقرب إلى الصواب إذا مجدوا نجاح نظام السخرة الذى جرت عليه الدولة فى نطاق واسع .

وبزيادة اعتماد الصناعة على الجيوش الجرارة من السجناء المسترقين ، تضخمت

صفوفهم إلى حد لم يسبق له مثيل بسبب الاعتقالات التى اقتضتها الحرب ، وقد كان التقدير المسلم به فى الدوائر الرسمية لهذا الجيش من العمال عشرين مليوناً . وقد استرق النازيون أبناء البلاد المغزوّة واستخدموهم فى صناعاتهم الحربية . أما الكرملين فاسترق أمته . ومن السهل أن يتصور المرء الأحوال الفظيعة التى كان يعيش فيها السجناء يوم كان الجوع قاسياً فى البلاد ، وكان البوليس السرى يعدهم ممن لاداعى للحرص عليهم ، فهو لا يسأل عما يصيبهم أو عن الوفيات بينهم .

وقد طال فى مجلسنا بحث مسألة إخلاء معسكرات الاعتقال ، على حين كان الألمانيون يتقدمون ، فقد كان نقل هذه الجماعات المسترقة أهم من نقل المواطنين الأحرار ، لأن لاستخدامهم فى العمل قيمة اقتصادية تستحق الحرص عليها . وأهم من ذلك أن هؤلاء السجناء لم يكن من المنتظر أن يحبوا النظام السوفيتى ، فهم قد يصبحون عوناً للألمان . وفضلا عن ذلك فإن هؤلاء السجناء إذا وقعوا فى الأسر فإن العالم الخارجى قد يقف منهم على بعض الأسرار الفظيعة عن مدى نظام الاستعباد السوفيتى وعن تطبيقه .

وقد وقف بعضنا فى المجلس على حوادث قتل فيها السجناء بالجملة لما تبين أن من العسير نقلهم وقد حدث هذا فى منسك ، وسمولنسك وكييف ، وخاركوف ، ودنيبروبتروفسك ، وزباروجى .

وكنت فى إلحاحى على المصالح أن تسرع فى الإنتاج ، أجد دائماً معوقاً فى نقص الأيدى العاملة ، وكثيراً ما طالب بامفيلوف رئيس البوليس السرى بالأيدى العاملة لتزويد هذا المصنع الرئيسى أو ذاك ، وكان أحياناً يرفع الأمر إلى مولوتوف مباشرة أو إلى بيريا رئيس البوليس السرى الأعلى .

ولا أزال أذكر بوضوح حديثاً أمرت به مع أحد كبار رجال « الجولاج » (الإدارة المركزية لمعسكرات السخرة) ، وكان مطلوباً منه أن يقدم بضع مئات من السجناء لعمل مستعجل ، وكان الضغط الواقع علينا فظيعاً من أجل هذه المهمة ، فدعوت موظف الجولاج من أجل ذلك لحسم الأمر .

فقاطعنى قائلا : « أيها الرفيق كرافشنكو ، كن رجلا عاقلاً ، فإن مصلحتك ليست الوحيدة التى تصيح مطالبة بالعمال . فهذه لجنة الدفاع تطالب بهم ، والرفيق ميكويان يسوّد عيشنا ، وفوروشيلوف يطلب عمالا لتمهيد الطرق ، ومن الطبيعي أن يظن كل واحد أن مهمته أعظم المهمات وأولاها بالتقديم . فماذا نصنع ؟ الواقع أننا لم ننجز إلى الآن خططنا الخاصة بالاعتقالات .

ولا يزال الطلب أكبر من العرض » .

ولم يكن بطبيعة الحال يعني أن الاعتقالات تدبر فعلا لمواجهة مطالب العمل ، وإنما كان يشكو فقط ، بالأسلوب السوفيتي ، من أن الملايين في جيوش السخرة لا تكفي لإجابة الطلبات جميعاً ، غير أن ما في عبارته من القسوة لا يزال يجري الرعشة في بدني .

ولا تزال رحلة قمت بها من أجل عملي منقوشة نقشاً أليماً على لوح ذكراتي . وليس في مقدور أحد إلا أن يكون شاعراً من طبقة دانتي ، أن يرسم بالألفاظ صورة لذلك المصنع السري المخبوء تحت الأرض ، وهو تابع لوزارة التموين ، وأكثر من يعملون فيه من المسخرين .

وهو واقع في منطقة غابات كثيفة في إقليم موسكو ، ولا بد من إذن خاص لركوب القطار الذي يحملنا إليه . وقد فحص ضباط البوليس السري أوراقنا عدة مرات ، وكان القطار يسير ببطء ، وكنا نرى من النوافذ مرة بعد مرة طوائف كبيرة من السجناء — فما من أحد يعجز عن أن يتبين حال هؤلاء البؤساء — وهم يقطعون الأشجار ويكومونها ويجرونها إلى الخطوط الحديدية ، وأخيراً وقفنا عند نهاية الخط الجديد .

وكان هناك مصنع للذخائر يقوم في رقعة من الفضاء ، وفيما وراءه في الغابة توجد المداخل الضيقة الخفية إلى الحجرات في جوف الأرض ، وقد موهت بعناية ودقة ، حيث أقيمت المصانع الكبيرة التي يعمل فيها آلاف من السجناء والعمال الأحرار ، فيحشون القنابل اليدوية ، والقنابل ، والألغام وغيرها من صنوف الذخائر بالمفرقعات . والمنطقة كلها التي تضم هذا العالم السفلي محوطة بالأسلاك الشائكة ، ويقوم على حراستها رجال مسلحون من البوليس السري ، ومعهم كلاب ضارية مدربة على المهمة الموكولة إليها .

وكنت قد جئت ومعي رفيق لتسوية خلاف بين هذا المصنع السري ومصنع آخر يزوده ببعض المواد اللازمة له ، وبعد أن عقدنا اجتماعاً في الليل مع الموظفين أعطيت غرفة في فندق المصنع . وفي صباح اليوم التالي بكرت في القيام ، وكان المطر يهطل والبرد قارساً ، وبعد الساعة السادسة بقليل رأيت فرقة من نحو ٤٠٠ رجل وامرأة يمشون عشرة عشرة تحت حراسة قوية إلى المصانع السرية .

وقد ألفت على الأيام مناظر هؤلاء العبيد البؤساء ، في الأورال وفي سيبريا ، ولكن الفظاعة هنا بلغت فيما بدا لي مبلغاً شيطانياً ، فإن هذه الوجوه المتهضمة المصفرة التي ليس فيها قطرة من الدم ، لم تكن إلا أقنعة

للموت، ولم يكن أصحابها إلا جثثاً على أقدامها.

وكان بينهم رجال ونساء قد يكونون فى الخمسين أو أكثر، ولكن كان فيهم شبان فى العشرين وحوالها، وكانوا يسيرون صامتين منكسرين كأنهم دمى، ولا يتلفتون يمنة أو يسرة، وكان كثيرون منهم يلبسون نعالا من المطاط مربوطة بالخيوط إلى أقدامهم، وكان آخرون يلفون أقدامهم بالخرق، وبعضهم فى ثياب ريفية، وعلى بعض النساء معاطف من الجلد ممزقة، ورأيت هنا وهنا مابقى من الملابس الأجنبية الجيدة.

وبينما كان هذا الموكب المحزن يسير بجانب البناء الذى أطل منه عليه، سقطت امرأة فجأة على الأرض، فجرها اثنان من الحراس، ولم يولها أحد من السجناء أقل التفات، فقد نضب فى نفوسهم معين العطف والشعور الإنسانى.

وكانت فرق أخرى كهذه تسير إلى الجحيم المدفون فى جوف الأرض مقبلة من جهات أخرى آتية من معسكرات البوليس السرى المخبوءة فى هذه الغابات، على أميال عديدة على الأرجح. وفى المساء رأيت طابوراً أطول يدلف فى المطر والوحل للعمل ليلاً.

ولم يسمح لى بالنزول تحت الأرض، على أنى لم تكن لى رغبة فى هذا، ولكنى وقفت من الموظفين الذين كنت على اتصال بهم فى اليومين اللذين أقمتهما على ما يكفى لتصور مبلغ البؤس واحتقار الحياة الإنسانية. فإن هذه المصانع المخبوءة سيئة التهوية، وقد أنشئت دون اكتراث لصحة العمال، فيكفى أن يقضى المرء بضعة أسابيع فيها ليتسمم، وكانت نسبة الوفيات عالية، وكان الآدميون يؤتى بهم ويقذفون باستمرار كما يؤتى بالخامات.

وكان مدير هذه المصانع شيوعياً شتيم الوجه يحمل على صدره صفاً من النياشين، فلما سألته عن عماله نظر إلى مستغرباً كأنما سألته عن صحة جماعة من البغال مقضى عليها بالإعدام.

وقال: «من سوء الحظ أنه ليس بين هؤلاء المخلوقات كثيرون من العمال الحاذقين، فهم يسببون لى متاعب كثيرة. وقد سألتنى عن هؤلاء السجناء أهم سياسيون أم مجرمون، وهذا أمر لا يعنينى لأنه من شأن البوليس السرى الذى يزودنى بالأيدى العاملة. وكل ما أعرفه أنهم أعداء للأمة».

وكان هذا الكابوس ماثلا دائماً أمام عينى وأنا أفاوض القوم فى أمر العمال إجابة لطلب الوزارات المختلفة، أما ما مُوِّه به هذا من الأضاليل عن كرامة العمل والخدمة المسددة للاشتراكية الجامعة، وكون «زعماء طبقة العمال» هم الذين يقومون بهذا، فقد جعل الصورة أبشع. فمن البديهى

أن « ديمقراطيتي المتعفنة » كانت أعمق من أن ينفع فيها دواء .

ولما كنت رئيساً لقسم في المجلس ، فقد استطعت أن أدخل عدة مخازن ، ومصانع للأحذية والثياب مخصصة لأهل السلطان . وفي هذه الحال قابلت صفوة رجال الحزب ، ورجال الحكومة والبوليس والكرملين ، ونساءهم أحياناً ، وسائقيهم وخدمهم .

ولم يكن واحد في الألف من الروسيين يخطر على باله أن مثل هذه المخازن الغاصة موجودة ، وكان من بين مشترياتنا أشياء امحت ذكراها من أذهان الجمهور . وكانت جرايتي الشهرية تشمل لحم الخنزير ، والمواد المحفوظة ، والزبدة ، والسكر ، والدقيق ، ولحم الخنزير المملح — وكل ذلك مجلوب من الولايات المتحدة — ومن روسيا السمك والطيور ، والخضر والفودكا ، والنبيذ والسجاير . وإذا كنا برغم حصولنا على هذه الألطاف ، نقضي أياماً كثيرة تجوع فيها زوجتي ، فما ظنك بحال الرجل العادي ؟

وقد اختفى تقريباً كل ما لا غنى عنه كالخبز والصابون والكبريت ومصابيح الكهرباء وأدوات المائدة والمطبخ ، وحتى في قلب موسكو كان التيار الكهربائي لا يجري في الدور الكبيرة إلا ساعتين أو ثلاث ساعات في الليل ، أما الذين يتعذر عليهم الحصول على الجاز ، وهم الجمهور الأكبر ، فكانوا يقضون الليل في الظلام .

وفي هذا الشتاء من عام ١٩٤٢–١٩٤٣ أحرق الناس أثاثهم ، وكتبهم ، وأوراق الموسيقى العزيزة ، وكل شيء يمكن أن يفيدهم الدفء بضع دقائق . وكانوا ينزعون خشب الأرض والأعواد من السقوف ، ليدفأ أطفالهم فلا يموتوا برداً . وقد أقمنا أنا وزجتي إيرينا موقداً حسناً من الحديد في بيتنا ، وحصلت بفضل الحكومة على بعض حطب الوقود ، وكنا أحياناً نهب جيراننا شيئاً منه وإن كان هذا محظوراً .

وقضت عليّ واجباتي أن أزور عدداً كبيراً من المصانع قصر فيها الإنتاج عن المطلوب ، فوجدت أن نقص الطعام كان في كل حال من الأسباب الرئيسية . وأوفدني بامفيلوف مرة إلى بلدة سولنشوجورسك على مسافة غير بعيدة من موسكو لتفتيش مصنعين . وكان طحن القمح قد تعطل من جراء الحاجة إلى المناخل التي تحتاج إلى أسلاك دقيقة جداً لا يمكن صنعها في هذين المصنعين ، وكان المديران مستعدين للمعاونة ، وقال لي أحدهما : « إن رجالنا مستعدون للعمل ، ولكنه لن تكون لهم قدرة على الاستمرار فيه مالم يحصلوا على الأقل على الجراية العادية في المدن الأخرى » .

فسألته وأنا متعجب « ولماذا لا يأخذون نفس الجراية ؟ »

« لأننا فى منطقة زراعية، فينبغى أن نحصل على مؤننا من الريف. ولكن هذا فرض بحت فالواقع أن الفلاحين أنفسهم يتضوّرون ، ولعلك رأيتهم فى الطريق » .

وقد رأيتهم فعلا ، فقد جئت بالسيارة واجتزت هذه المنطقة الريفية التى دار فيها القتال وخربت ، ورأيت الفلاحين غائرى العيون متضورين .

ولما عدت إلى مكتبى وضعت مشروعا مفصلا للانتفاع بهذين المصنعين ، ولما كاد الليل ينتصف استقبلنى بامفيلوف وقرأ المشروع بحضور أوتكين ، وكان يهز رأسه الأصلع اللامع ويقول: « حسن.. حسن .. بديع ! » ثم غام وجهه فجأة :

« ماهذا ؟ خمسمئة جرام من الخبز فى اليـوم للعامل وأسرته ؟ »

فقلت بلهفة : « نعم، وهذا ضرورى، فإن هؤلاء الناس جياع ولا شك » .

فقال بامفيلوف بلهجة الأمر : « احذف هذا من المشروع » . فلما ألححت ألقى إلىّ نظرة غضب صريح :

« اسمع ياكرافشنكو ! هل أنت بلشفى أو من دعاة الخدمة الاجتماعية ؟ إن الروح الإنسانية رائد غير صالح عند وضع قرارات الدولة . فتعلم من الرفيق ستالين ــ أحبب الشعب ولكن ضح بحاجاته عند الضرورة! »

فلم يدهشنى أن لاينتج المصنعان نصف الأسلاك المطلوبة، وإن كانا مزودين بالخامات الكافية .

وكانت مسألة أسلاك التلفون للميدان من المتاعب التى تورث الصداع الدائم ، لأن قلة التلفونات كانت تكلفنا أرواحا كثيرة فى الجبهة ، وأخيراً درست هذه المسألة ليلاً فى اجتماع طويل بالكرملين برياسة سابوروف أحد مندوبى ستالين . ولما لم يكن هناك صفائح معدنية ، تقرر بعد جدال طويل أن تصنع البكرات من الخشب على الرغم من الاعتراضات الشديدة من العسكريين . وصدرت التعليمات الدقيقة بتوقيع ستالين نفسه .

وبعد نحو شهر اجتمع بمكتبى جميع الوزراء المختصين ليقدموا تقاريرهم عن النتائج . وكانت النتيجة أن المصانع كلها مقصرة فى إنتاج هذا البديل الذى تقرر فى الكرملين أن يصنع من الخشب .

ولهذا زرت مصنع خشب مقام على مشارف موسكو لأرى بنفسى لماذا لا تسلم البكرات المطلوبة ، فقال المدير إنه ليس عنده الكفاية من العمال الحاذقين ، ولم أر إلا عدداً قليلا يعمل فى هذه الناحية . ودخلت جانباً

آخر من المصنع كان الإنتاج فيه على قدم وساق فسألت: « وما هذا الذي يجري هنا؟ »

وقد تلهب غضبي مما رأيت ، فقد كان نحو ١٥٠ مشتغلين بصنع الأثاث : الأرائك ، والمكاتب ، وحوامل المرايا للزينة والكراسي الكبيرة ، وكلها من خير أنواع الخشب المجنة.

« تقول إنه ليس عندك عمال حاذقون ؟ ولكني أراك تبدد مجهودهم فيما هو من مواد الترف . وهذه جريمة ، وأنا أنذرك بأني سأقيم الدنيا وأقعدها » .

فلم يبد على المدير أنه انزعج ، وهز كتفيه وأراني دفاتر تدل على أن هذه الأثاثات صدر الأمر بصنعها من رؤساء الحزب ومن كبار رجال الحكومة والجيش الأحمر . فعدت مسرعاً وأنا ما زلت محنقاً ، وانطلقت إلى مكتب أوتكين ، وشرعت أبسط له الأمر ، فكاد لا يصدق ما يسمع ، وأعرب عن سخطه .

ولكني لما أخبرته بمن ينتج لهم المصنع هذه المواد المدنية ، تغير وجهه على الفور ، وقال متمتماً : « أهو ذاك ؟ نعم ... إن هذه لمعضلة ! أحسب راحة زعمائنا تقدّم على غيرها في الحرب » .

وفكر طويلا في الأمر والمصنع يواصل إنتاج الأثاث ، والجيش الأحمر يناشدنا أن تزوده ببكرات التلفون وأطراف البنادق وما مائل ذلك .

ولكن إذا كنا قد عانينا مصاعب فيما يتعلق بتلفونات الميدان ، وأجزاء الدبابات والأسلحة والطائرات فقد عوضنا ذلك على الأقل في ناحية واحدة . ذلك أني كنت في إحدى الليالي عاكفاً على كوم من التقارير ، فدعاني أوتكين إلى مكتبه وهناك وجدته منهمكا فيما بدا لي في أول الأمر أنه لعبة عجيبة ، فقد كان على مكتبه وعلى الكراسي من حوله قطع من الورق القوي مكسوة بقماش مذهب ومفضض .

وقال بلهجة المسرور ، على سبيل الشرح : « أشرطة للأكتاف . أليست جميلة ؟ » أشرطة للأكتاف سيعاد استعمالها بعد أن كانت تعدّ من قبل رمزاً بغيضاً للعسكرية القيصرية ! وكان هذا القرار الذي لم يذع قد وضعه المكتب السياسي ، وكان إنتاج هذه الأشرطة قد سار في طريقه ، وسيحمل أوتكين هذه النماذج إلى ستالين الذي سيقدمها بنفسه . وسألت أوتكين ألا يعد الكثيرون هذه الخطوة ارتداداً إلى الأساليب القيصرية الروسية ، فضحك :

« ما أسخفها فكرة ! إن القلوب تحت هذه الأكتاف المذهبة ستظل قلوباً سوفيتية صادقة » . وسكت ثم قال ببطء على سبيل التأكيد : « وفضلا عن هذا ، فإنه إذا عد بعض الناس هذا رجوعاً إلى الأساليب

القيصرية ، فإن هذا قد تكون له فائدة من الوجهة السياسية ، لأنه سيكسبنا أصدقاء فى بعض الدوائر المهمة » .

إن الأجانب الذين يحاولون أن يفهموا سياسات ستالين أو « العقل السوفييتى » بأن يدرسوا صحف السوفيت وأعمال الكرملين المعلنة ، لايخرجون عادة إلا بملء سيارة نقل من الهراء ، فما من واحد فى الألف من هؤلاء قد فطن إلى الرأى البلشفى فى أن تكون هناك « حقيقتان » — واحدة للجمهور وللعالم أجمع ، والأخرى للصفوة من رجال الحزب وللقابضين على زمامه . ففى الوقت الذى تنشر فيه دعاية خاصة ، أو يجرى عمل من الأعمال علانية ، قد تصدر التعليمات إلى رجال الحزب بأن يهملوا هذا بل حتى بأن يعتقدوا ماينافضه .

وفى أثناء الحرب رؤى أنه من الضرورى « التراجع عن مذهب لينين » فى الظاهر لا فى الجوهر ، فقد كان الأمر يستدعى تهدئة « العناصر الرجعية » فى الداخل وفى شرقى أوربة ، بالتظاهر بإعادة تقرير الدين ، ويتطلب استغلال القيم المعنوية للوطنية العتيقة إلى أقصى مدى ، ويستوجب أخيراً تألف الحلفاء الرأسماليين بحل الشيوعية الدولية .

وقد تقبل العالم الخارجى ومعظم شعبنا كل هذا باغتباط ، من حيث هو دليل على أن زعماء السوفيت قد غيروا مابقلوبهم . بل لقد كان هناك « خبراء » أعلنوا أن الاتحاد السوفيتى يتخلى عن الدكتاتورية ويقترب من الرأسمالية ، وزعموا أنهم تبينوا أن أساليب الحياة الديمقراطية ، وأساليب الحياة السوفيتية الجامعة تتدانى لتتلاقى فى موضع ما ، فى الوسط .

ولو أن واحداً من هؤلاء الخبراء شهد جلسة من جلسات الحزب الأسبوعية السرية لكبار الموظفين ، لتلقى صدمة ! فقد كان « التراجع عن مذهب لينين » فيما يتعلق بنا ليس أكثر من مناورة عابرة ، ولم يكن التفاهم مع رجال الدين إلا تساهلا لامفر منه على مافيه من غضاضة . ولما كان نظامنا فى هذه اللحظة من لحظات العمل مضطرا إلى التساهل ، فقد نوشدنا أن نقوّى ولاءنا للشيوعية وإيماننا بانتصارها آخر الأمر .

وما من شيوعى قد لُقّن مبادئها تلقينا جيداً كان يشعر أن الحزب « يكذب » حين يذيع الأخذ بسياسة ويضمر غيرها ، فإن ضميره لايعد ذلك إلا شبيها بما يفعله القائد فى الميدان حين يخدع العدو . وإلى أن تصبح الأرض كلها وقد تحولت إلى اتحاد سوفيتى واحد ، يكون على هيئة أركان الحرب العامة للثورة — أى زعمائنا فى الكرملين — أن تقوم بالمناورات ، فتهاجم

مرة ، وتتربص مرة ، وتتراجع أخرى ، وتستغل فى كل حال ما بين الأمم الرأسمالية من الخلاف والتناقض . أما رجال الأخلاق من البورجوازية الذين يلغطون بالسياسة ذات الوجهين وبالغدر ، فهم فى نظر الرجل البلشفى « الواقعى » لا أكثر من سخفاء تخلفوا من زمن مات .

ولم يكن فى أعمال الحزب أثر « للتغييرات العميقة » التى ظن أنها أدخلت على النظام السوفيتى . وإذا استثنينا مناقشة مسائل الحرب ، فإن اجتماعات الحزب كانت فى جوهرها كاجتماعاته قبل الحرب .

ففى العاشرة مساء كنا نقبل على اجتماعنا الأسبوعى . وضيفنا الليلة هو يودين رئيس وكالات النشر الذى أصبح الآن يمثل قسم الدعاية فى اللجنة المركزية للحزب . وهو يحدثنا عن شئون العالم ، ولكن ما يقوله ليس مجرد آراء بالمعنى الذى يفهمه أهل الغرب ، بل هو يمثل عقائد ومواقف مقررة من قبل لا نجرؤ على الانحراف عنها بل لا يخطر لشيوعى مخلص أن ينحرف عنها . وسيتكلم يودين بلسان ستالين .

وينهض الرفيق يودين للكلام ، فنرهف السمع ، ونحاول أن نلتقى ما يقول بكل جارحة من جوارحنا ، ويقول يودين إن مداً هائلا من الإيمان بنظامنا السوفيتى يرتفع بين الجماهير فى إنجلترا وأمريكا ، ثم يقتبس من أقوال ج . ب . برستلى ، وهارولد لاسكى وغيرهما ، وليس فى مقدور تشرشل وروزفلت وأضرابهما ، ولا فى مقدور الاشتراكيين وأتباع العمال أن يصدوا هذا المد . أما الصراع القائم بين تشرشل والعمال المعارضين ، فليس أكثر فى رأى يودين من ملاكمة تمثيلية ، ويصرح بأن « الفريقين يحبون روسيا قدر حبنا نحن لهتلر » .

فتستحث هــذه الوخزة الأيدى على التصفيق ، وكل وخزة للعمال وغيرهم من « الديمقراطيين » المزيفين تقع موقعاً حسناً فى اجتماعات الحزب .

ويواصل يودين كلامه فيقول : « أيها الرفاق . إن شركتنا العسكرية مع الأمم الرأسمالية لا ينبغى أن تورثنا أوهاماً ، فعلينا أن نستمسك بالأصول ، فإن عالمى الرأسمالية والشيوعية لا يستطيعان أن يعيشا إلى الأبد جنباً إلى جنب . أيهما يغلب الآخر ، لا تزال هذه كما كانت — المسألة الكبرى .

« وما دام العالم الرأسمالى محدقاً بنا فنحن فى خطر أيها الرفاق . فلا تنسوا هذا أبداً ، ولا تقعوا فى غلطة التفكير على قاعدة الإعارة والتأجير . وإنها لصفقة ندفع فيها ثمناً غالياً من تضحياتنا بالدماء السوفيتية والأرض

السوفيتية . ولا تبالغوا فى أمر « الصداقة » الجديدة غير الطبيعية . وتذكروا دائماً أننا نحن أعضاء الحزب جنود لينين وستالين ، وأننا نعرف كيف نقدر حقيقة الرأسمالية ».

وينتهى يودين فننهض جميعاً وننشد نشيد « الشيوعية الدولية » وبعد أن تنتعش نفوسنا بهذه الآراء والمبادىء ، نرجع إلى مكاتبنا المختلفة . أما رجالات الدولة أمثال يودين وبامفيلوف ، فيذهبون إلى القصف التماساً لشىء من الترفيه ، فيلتهمون لطائف الإعارة والتأجير الأمريكية . وبينما تراهم يواصلون البحث فى موضوع الاجتماع ، يستمتعون سلفاً بانهيار العالم الرأسمالى .

لما ألغيت الدولية الشيوعية فى الظاهر فى مايو ١٩٤٣ ، كنت قد تركت عملى فى المجلس ، ولكن البيانات التى ألقيت فى الاجتماعات الخاصة للشيوعيين الكبار كانت متفقة مع ما قاله لنا يودين وأمثاله . وقد أفهمونا أن هذه الهيئة العالمية إنما حلت شكلا لا حقيقة ، وأنه صار الواجب الآن ، وقد اضطرت الشيوعية الدولية أن تعمل سراً ، تعزيز رجالها وكيانها ، « إن قوات ثورتنا فى العالم كله ، أيها الرفاق تستعد للصراع — وللنصر ».

ويوم أعلن هذا الحل المزعوم للشيوعية الدولية ، فدخل بذلك السرور على قلوب الحلفاء الرأسماليين الساذجين ، اتفق لى أن زرت مخزن « الكتاب الدولى » ، وهى هيئة تنشر دعاية باللغات الأجنبية ، فرأيت أكداساً من الكتب الحديثة الطبع والموضوعة طبق مبادىء الحزب ، معدة للتوزيع فى البلاد التى كان الجيش الأحمر يوشك أن يدخلها . فالشيوعية الدولية قد ذهبت شكلا ، أما الواقع فهو أن اللجنة المركزية للحزب كانت تجدّ وتستعد حتى يتم غزو أوربة بالجنود والآراء فى وقت واحد . وكان رجال الشيوعية الدولية التى « ألغيت » يعاد تنظيمهم بسرعة محمومة ، استعداداً للمهمات العظيمة التى تنتظرهم فى ألمانيا والنمسا وفرنسا وبولندة والمجر وإيطاليا وكل البلدان الأخرى .





جير لمواد البناء ؛ معادن للآلات ومعدات المنازل ! كيميائيات للأدوية والمركبات المصنوعة ! هذه كلها معناها تجارة أفضل . . وبيوت أفضل . . . وصحة أفضل . . . وعيش أفضل لكل فرد !

إن مؤسسة « أليس شالمرز » تنتج اليوم أكبر مجموعة من معدات المناجم فى العالم لتهيء للصناعات المنجمية إنتاج مواد أجود صنفاً ، وأوفر مقداراً ، وأقل كلفة . إننا نصنع آلات تحطيم الصخور والمطاحن لأى نوع من خامات المعادن . . . كما نصنع مجموعات واسعة من المناخل ، والمضخات والمحركات وسيور V . . . والآلات الرافعة والنقالات لإنجاز أعمال المناجم على وجه السرعة !

آلات — للمناجم ، والأغذية ، والمنسوجات ، والقوة الكهربائية ! . . إن مؤسسة « إليس شالمرز » تخدم كل صناعة أساسية — بإنتاجها أكبر مجموعة من معدات الصناعات الرئيسية فى العالم — لتهيء للشعوب إنتاجاً أوفر وحياة أرغد ! ..

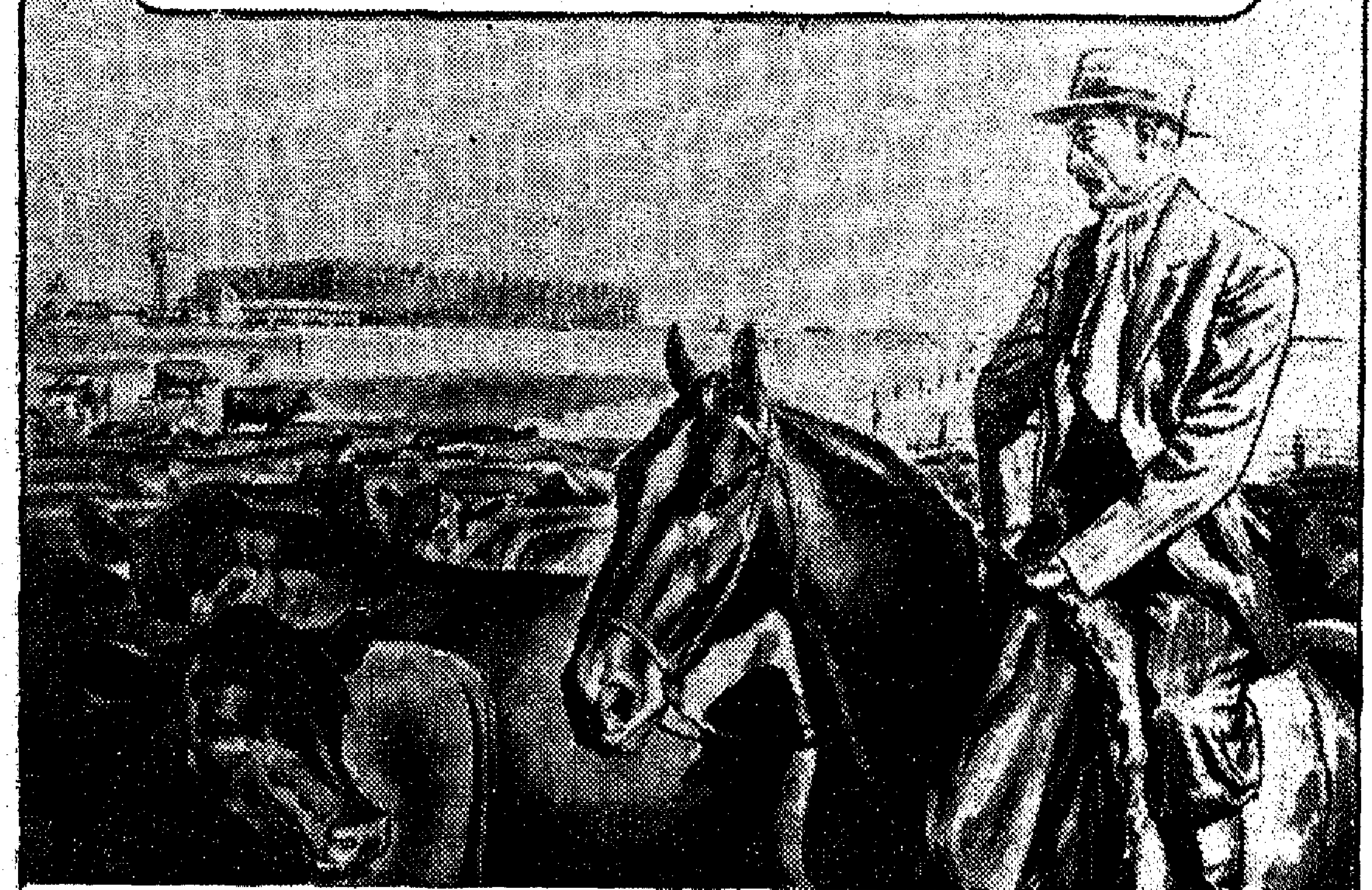


MILWAUKEE 1 WISCONSIN U.S.A

الوكلاء فى الشرقين الأدنى والأوسط

القطر المصرى والسودان : الشركة الأمريكية الشرقية للتجارة والملاحة ش . م . م ، ٤١ شارع صفية زغلول بالإسكندرية ، ٢١ شارع سليمان باشا بالقاهرة — العراق وشرق الأردن : الشركة الأمريكية العراقية للملاحة لمتد ٩/٢٨٢ شارع المستنصر ببغداد — ١٢٤/١٠ شارع الملك فيصل بالبصرة — المملكة العربية السعودية : أمريكان إيسترن كوربوريشن ، جدة — إيران وأفغانستان : أمريكان إيسترن لمتد ، عمارة مبصر ناصية شارعى شهرضا وروزفلت ، طهران . وهناك مراسلون لشركة « أليس تشالمرز » فى مختلف البلاد القريبة والبعيدة .

.. حتى يفوق الكمال الذى ستدركه غداً
الكمال الذى أدركته اليوم



تمييز وتفضيل

هاتان الكلمتان تتخذان معنى خاصاً حين تطبقهما على العمل الذى يتولاه مندوب « سويفت » فى شراء اللحم . فعين هذا الخبير تأخذ ببصرها مئات من الحيوانات ، ثم « تميز وتتخير » منها — فى وقت أقل من الوقت الذى يستغرقك لتلفظ بكلمة « سويفت » — أحسن الحيوانات المتصفة بجميع الخصائص التى ترفعها إلى مستوى الجودة التى يتطلبها « سويفت » .

وهذا المندوب يخطو الخطوة الأولى ، فى سلسلة من الأعمال تضمن جودة « سويفت » الذائعة الصيت ، التى يستمتع بها ملايين من البشر ، وذلك عن طريق التمييز والتفضيل الدقيقين ، حتى يصير الكمال الذى يدرك فى غدٍ ، أتمّ من الكمال الذى أدركناه اليوم .

COMPAÑIA **Swift** INTERNACIONAL

Av. Corrientes 389 - Buenos Aires - Rep. Argentina

شركة "سويفت" الدولية

مصانع فى الأرجنتين واستراليا والبرازيل ، ونيوزيلندا وأروجواى توزع
منتجات ممتازة منذ أكثر من ٣٥ عاماً

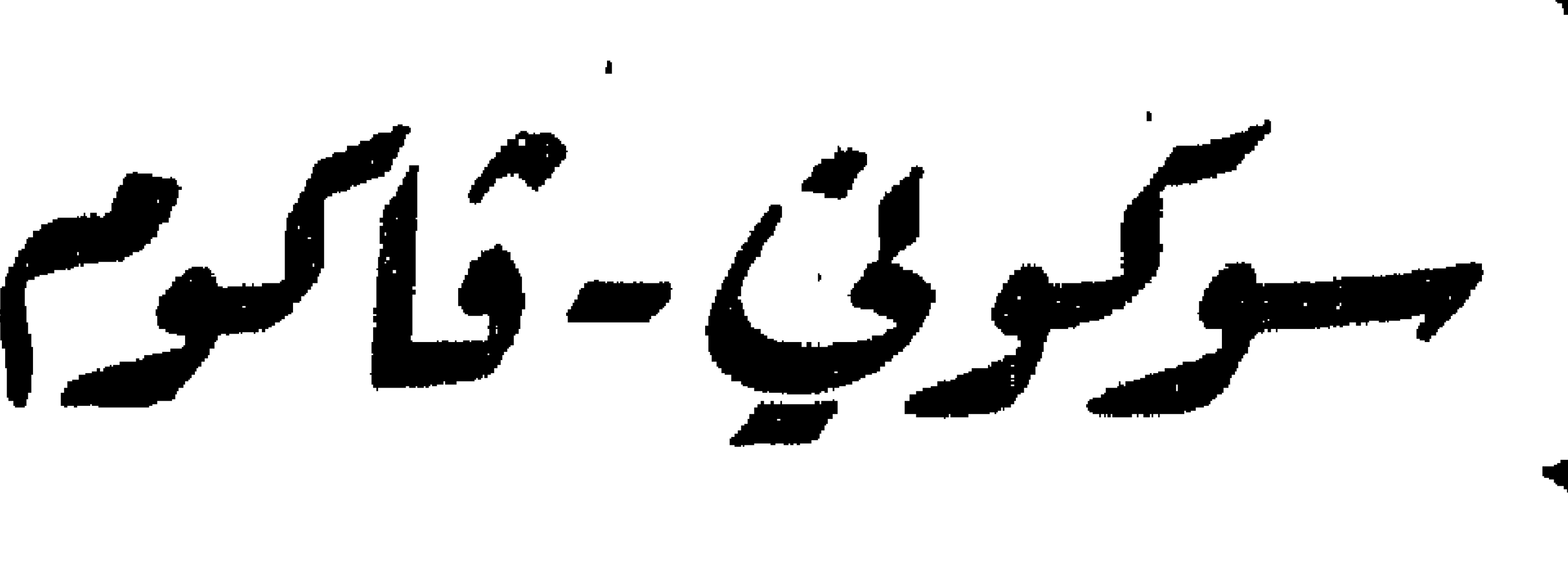

AUTO-LITE
الاسم الذي يعده ٨ ملايين راكب ،
رمزاً لأداء جديد في السيارات
إن أصحاب السيارات المزودة بمعدات « أوتو ـ لايت » الكهربائية يجدون عوناً ميسراً لهم للمحافظة على هذه المعدات في أتم حالة
إن قطع غيار « أوتو ـ لايت » متاحة في جميع أنحاء العالم ، وهذا معناه أنك تستطيع أن تزود سيارتك من جديد بمزايا « أوتو ـ لايت » الفائقة وبمحطات « أوتو ـ لايت » لأن رجال « أوتو ـ لايت » لا يستخدمون إلا قطع « أوتو ـ لايت » الأصلية لإصلاح معدات السيارات وصيانتها .
فتوجه إذن إلى محطة « أوتو ـ لايت » كلما احتاجت سيارتك إلى إصلاحات كهربائية .
إبحث إذن عن اسم « أوتو ـ لايت » كلما احتاجت سيارتك إلى إصلاحات كهربائية .
AUTO-LITE
THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
Export Division
Chrysler Building, New York 17, N.Y., U.S.A.
AUTO-LITE
أجهـزة للقيـام بالأضاءة والأشغال

وفر الوقت والعطل والنقود في مصنعك

تساعد زيوت جارجويل الصناعية
أصحاب مصانع النسيج والفخار
ومئات من الصناعات الاخرى على
الاقتصاد في القوة المحركة وتكاليف
الصيانة والتزييت وتقليل عطل
الآلات وزيادة سرعة الانتاج.

شهرة منتجات جارجويل تستند الى ٨٠ عاماً من النجاحات والخبرة والى الخدمة الفنية الممتازة التي تقدمها شركة سوكوني - ڤاكوم الى عملائها في جميع أنحاء العالم.









القدرة على تزويد ما يطلبه زبائن بوش ولومب

الفحص الدقيق لكل قطعة على حدة هو أحد الأسباب لجودة ما يصنعه « بوش ولومب »

بين المصاعب الكثيرة التي سبّبتها الحرب ، كان من بواعث التشجيع التي لمسناها وقدرناها حقّ قدرها ، حسن إدراك زبائن « بوش ولومب » لهذه المصاعب وحسن صبرهم عليها . ونحن طبعاً نشعر الآن ، أن حسن تقديركم ، يؤهلكم للظفر بما تريدون على وجه السرعة .

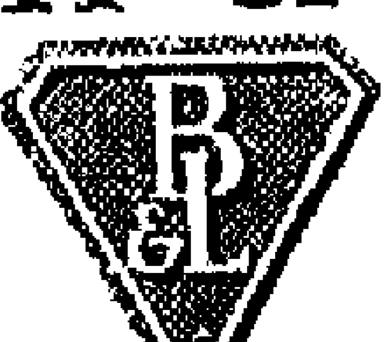
وقد احتفظت شركة « بوش ولومب » بالمباني والمعدات التي أنشئت لأغراض الحرب ، وما تم من أساليب التحسين والإتقان في أثناء الحرب ، يساعدنا الآن على زيادة ما نصنعهُ من منتجات « بوش ولومب » المتفوقة في جودتها . والبحث الصادق من أجل الإجادة في المستقبل لا ينقطع .

ولا تزال هناك بعض المصاعب . فقلة الحاذقين في قسم الفحص الدقيق – مثلاً – قد يؤخر الإنتاج في أقسام أخرى . على حين ترى الناس الذين يعرفون مزايا منتجات « بوش ولومب » الجيّدة ، قد ازدادوا ، فازداد عدد الذين يطلبون هذه المنتجات . وقد أعدت شركة « بوش ولومب » عدتها هذه السنة لتصدر من منتجاتها أكثر مما أصدرته في أية سنة قبل الحرب . ولكننا لن نسمح للعجلة في أن تنتقص من مزايا الجودة التي عهدت في منتجات « بوش ولومب » .

بوش ولومب

BAUSCH & LOMB

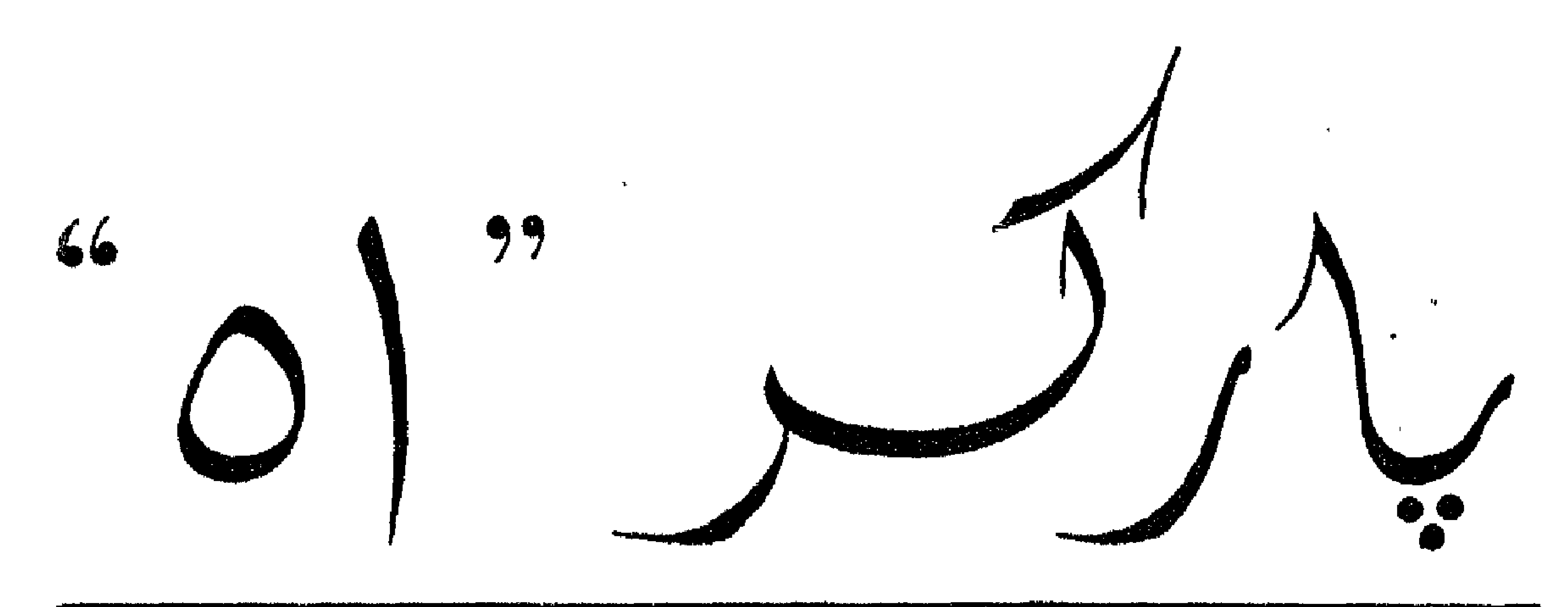
OPTICAL COMPANY



روشستر
الولايات المتحدة الأمريكية

تأسست سنة
١٨٥٣


ها هو ذا المطاط الطبيعي
قد زاد
لزيادة المسافات التي يقطعها
إطار جنرال
شركة جنرال تير أند رابر اكسبورت
اكرون ، أوهايو ، الولايات المتحدة
تلغرافيا : جنتيروكو اكرونوهايو
مصانع في الولايات المتحدة ، وكندا ، ومكسيكو ، وفنزويلا ، وشيلي ، والبرتغال
© The General Tire & Rubber Co
AKRON, OHIO
The GENERAL TIRE
يقطع مسافة طويلة ليكسب الأصدقاء

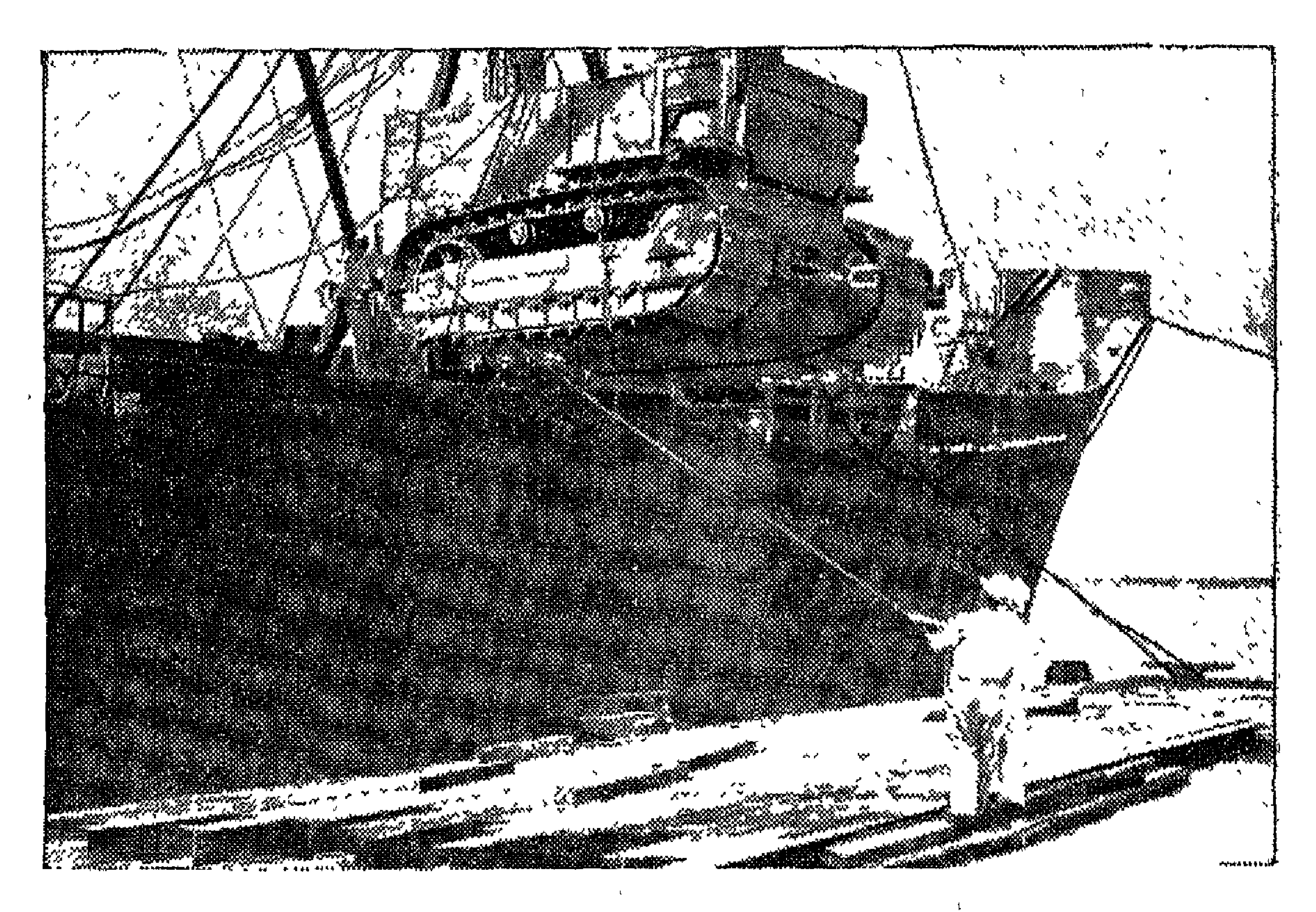


هذا القلم ، هو أكثر الأقلام طلباً ، لأنه أكثرها نفعاً . فأين تستطيع أن تجد ما يضارع هـذا الشكل الرشيق المستدق الجميل — هذا الجمال البراق فى قبضته المصنوعة من مادة « اللوسيت » المصقولة باليد ؟ وأين تجد ما يضاهى مالسنّه المغلفة فى حماية من الأقذار ؟ وقلم « باركر ٥١ » هو وحده الذى صمم وصنع لكى ينتفع انتفاعاً مرضياً بحبر « باركر ٥١ » الذى يجفّ وأنت تكتب .

يكتب كتابة جافة بمداد سائل !

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U. S. A.

وسائل التقدم



نعم ، وسائل تجعل الصحارى ناضرةً مزدهرة عن طريق أساليب الريّ الحديثة ... تكشف أرضاً جديدة للزراعة ... تفتح مناجم جديدة ... توثق مابين جماعات الناس بمد طرق صلبة ناعمة ، تقرّب إليك العالم التجاري بواسطة مطارات أكبر.

هذه هي بعض كنوز الثروة التي تتعهدها وتنميها لشعوب الشرق الأوسط ، وسائل « كاتربيلر » القوية المتعددة المنافع ـ مثل جرارات « كاتربيلر ديزل » ، ومحركات « كاتربيلر » ومعدات « كاتربيلر » لتمهيد الأرض ونقل التراب .

فلكي توسع نطاق هذا النشاط ، وتزيده سرعة من أجل منفعتك أنت وتقدم بلادنا ، ترى أعداداً تطرد زيادةً من محركات « كاتربيلر ديزل » تصنع وتشحن .

CATERPILLAR TRACTOR Co., PEORIA, ILL., U.S.A.

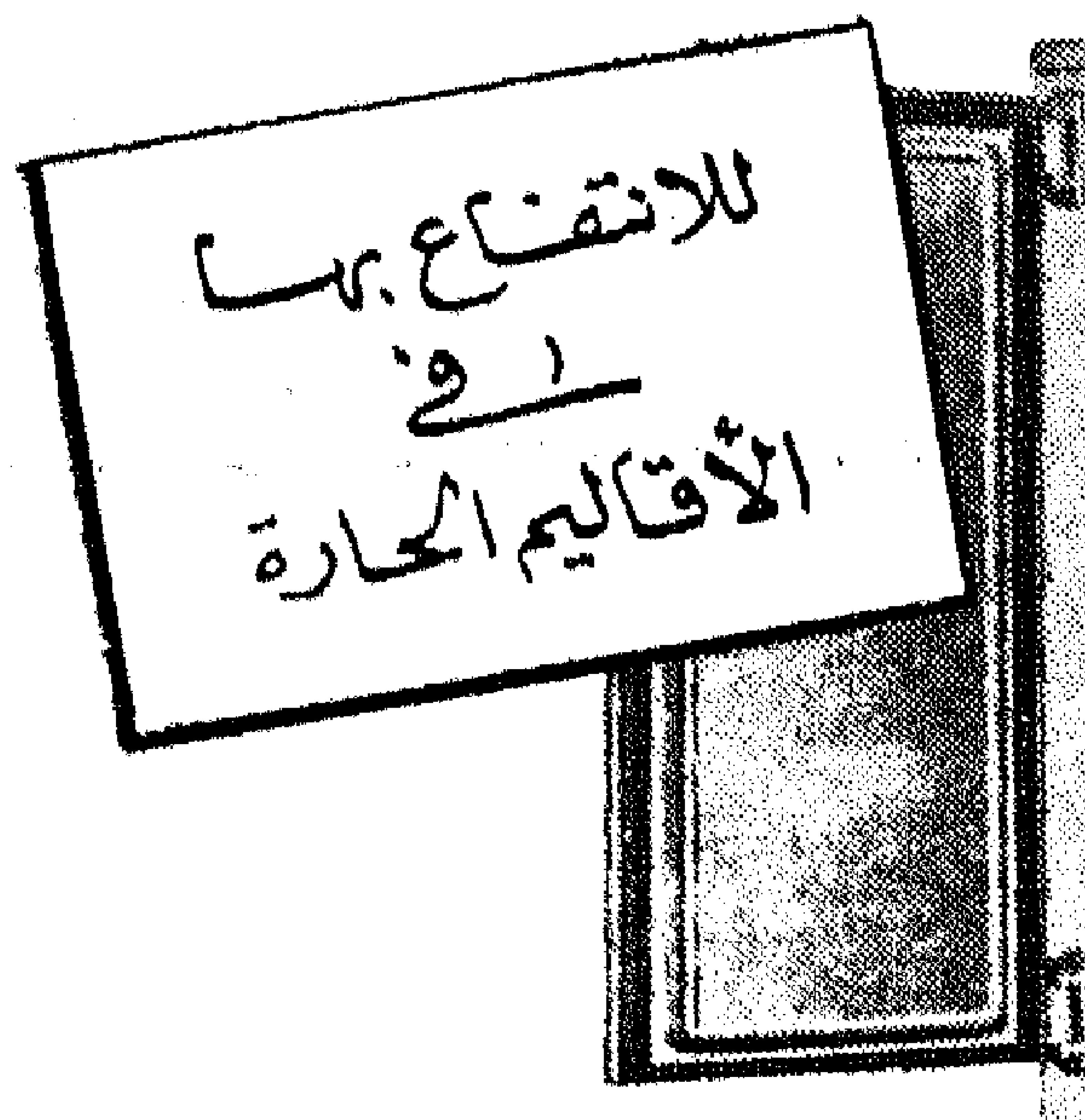
CATERPILLAR DIESEL

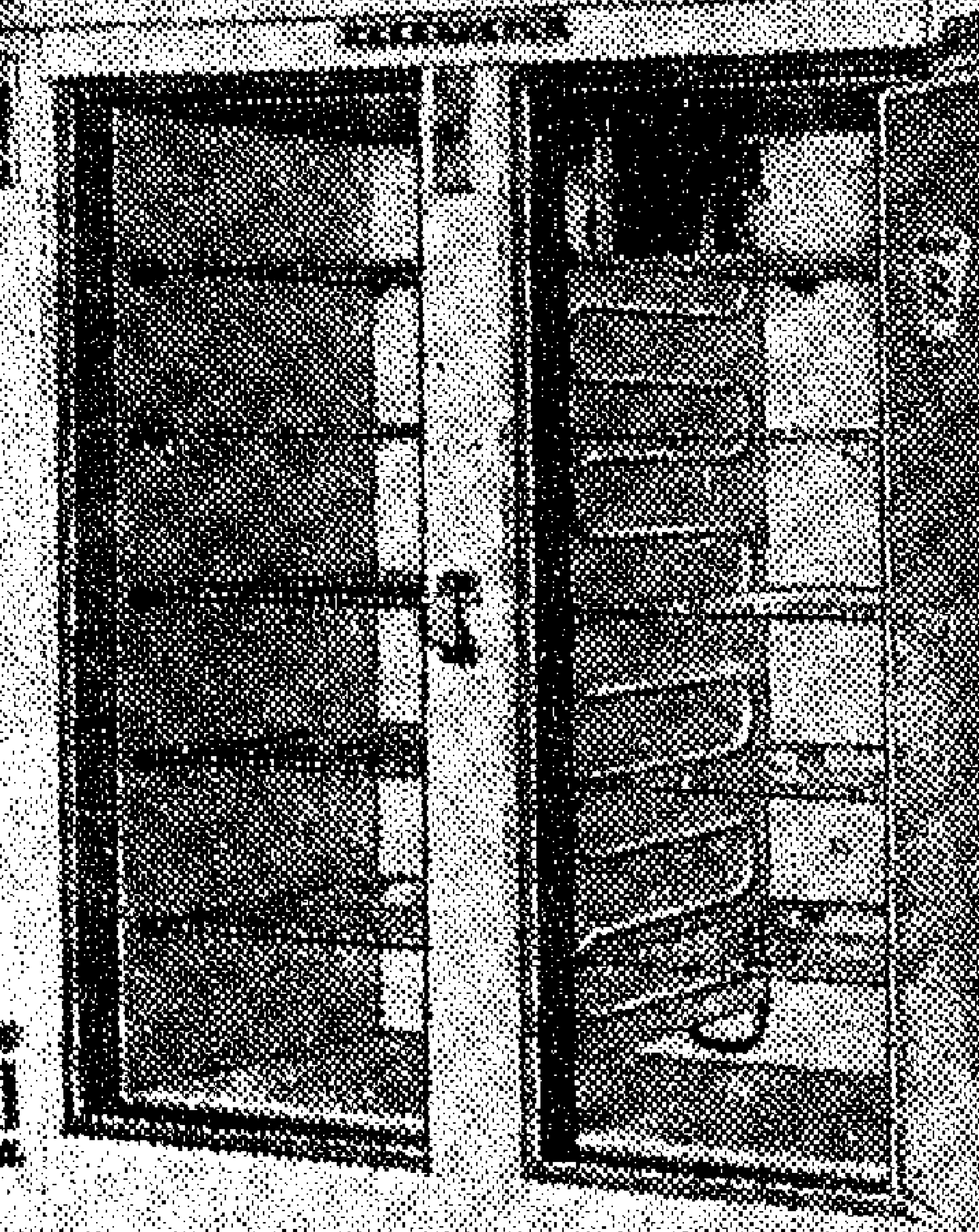
ماركة مسجلة

محركات . جرارات . ممهدات الطرق . معدات جرف التراب

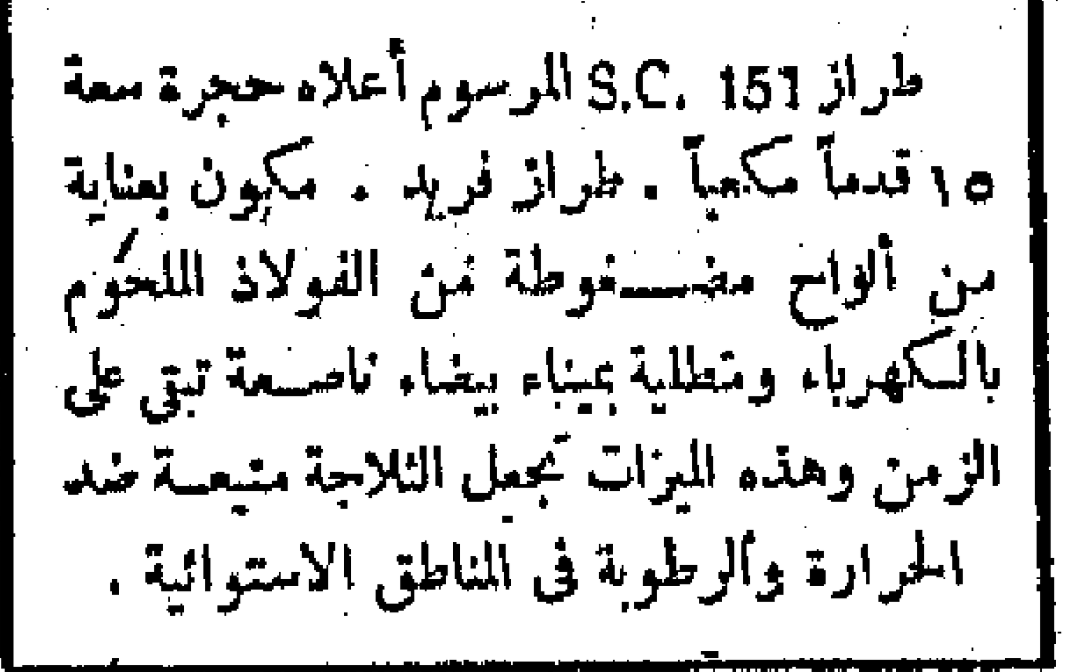


صممت خصيصاً
واختبرت خصيصاً ...





ثلاجات « برست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .



طراز S.C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكون بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بميناء بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD

للتبريد

الوكلاء فى القطر المصرى : شركة E.A.S.T. ١ شارع الملكة نازلى بالقاهرة . فى السودان : كولانى هانكى وشركاه لميتد ص ب ٢١ الخرطوم . فى فلسطين : شركة انجنيرنج آند مانيوفكتشرنج لميتد ص ب ١١٩ تل أبيب . فى سوريا : أفريكان آند إيسترن (للشرق الأدنى) لميتد ص ب ١٧٦ حلب . فى العراق : شركة الأفريقية والشرقية (شرق الأدنى) المحدودة ص ب ١٧ بغداد .



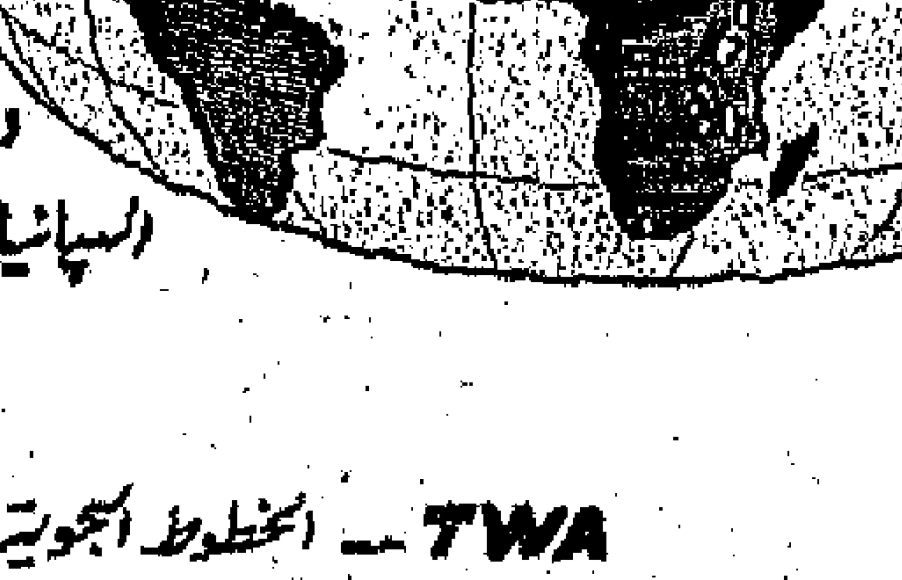
شركة الصلب المضغوط ليمتد

THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND

فى عالم خاص بها

فوق بساط مستقيم من الغمام ، وفى عالم خاص بها ، نجد طائرات TWA
الفخمة تتبادل التحيات اللاسلكية ، وهى ماضية
فى اتجاهات متقابلة إلى أقصى بقاع الأرض . وقد
صار هـذا حادثاً مألوفاً فوق المحيطات
والقارات ـ شركة TWA تضيف كل
شهر ٥٠٠٠٠٠٠ ميل إلى مالها
من تجربة حافلة فى الطيران
خلال ٢٠ سنة كاملة

رحلات مباشرة
مصرح بها بين :
الولايات المتحدة . نيوفوندلاند
ايرلنده . فرنسا . سويسرا
إيطاليا . اليونان . مصر
فلسطين . شرق الاردن . العراق
الحجاز . اليمن . عمان
والهند . سيلان . البرتغال
اسپانيا . الجزائر . تونس . ليبيا



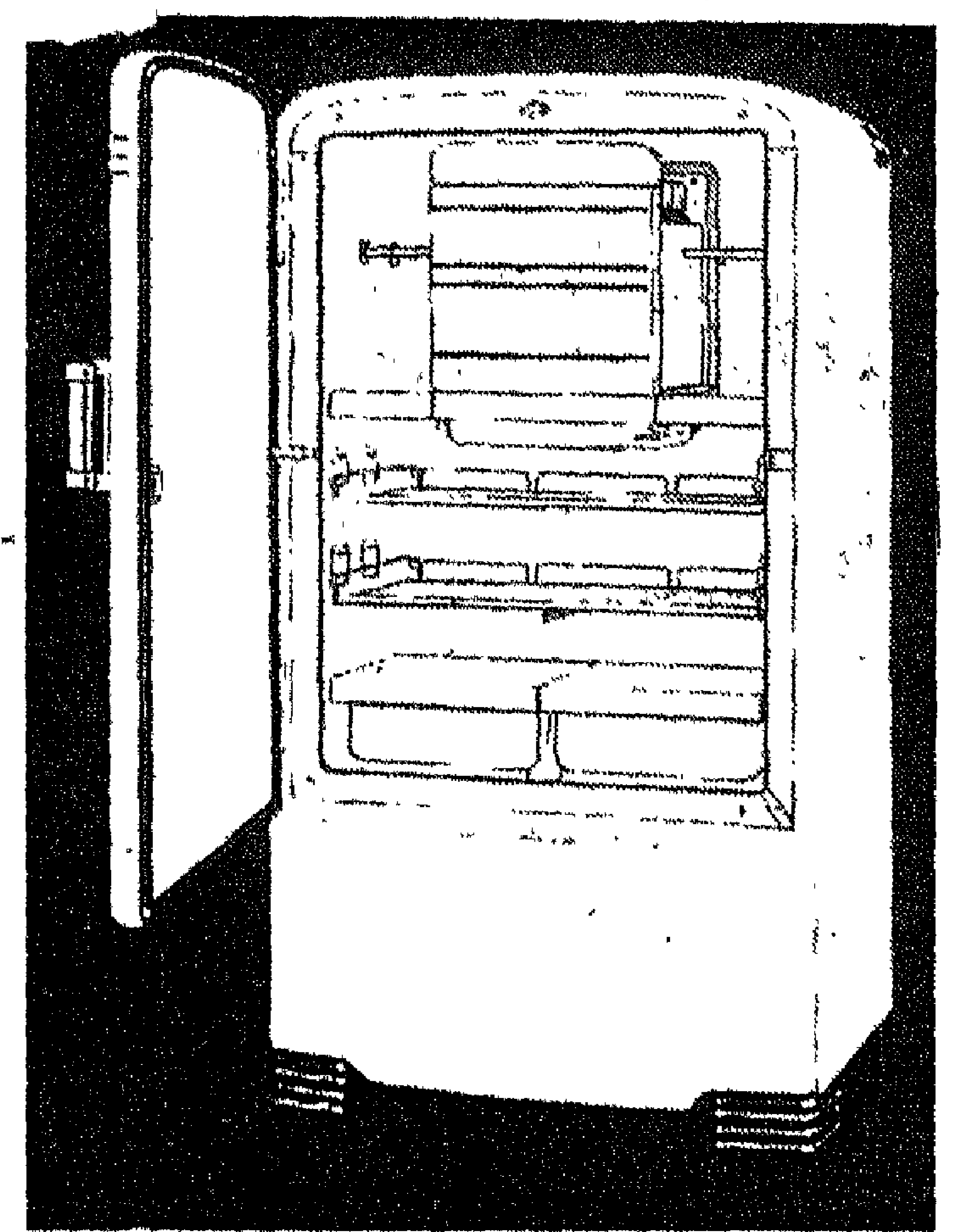
TWA ـ الخطوط الجوية العالمية
الخطوط المتصلة بها ... " نورث وست إرلاينز "

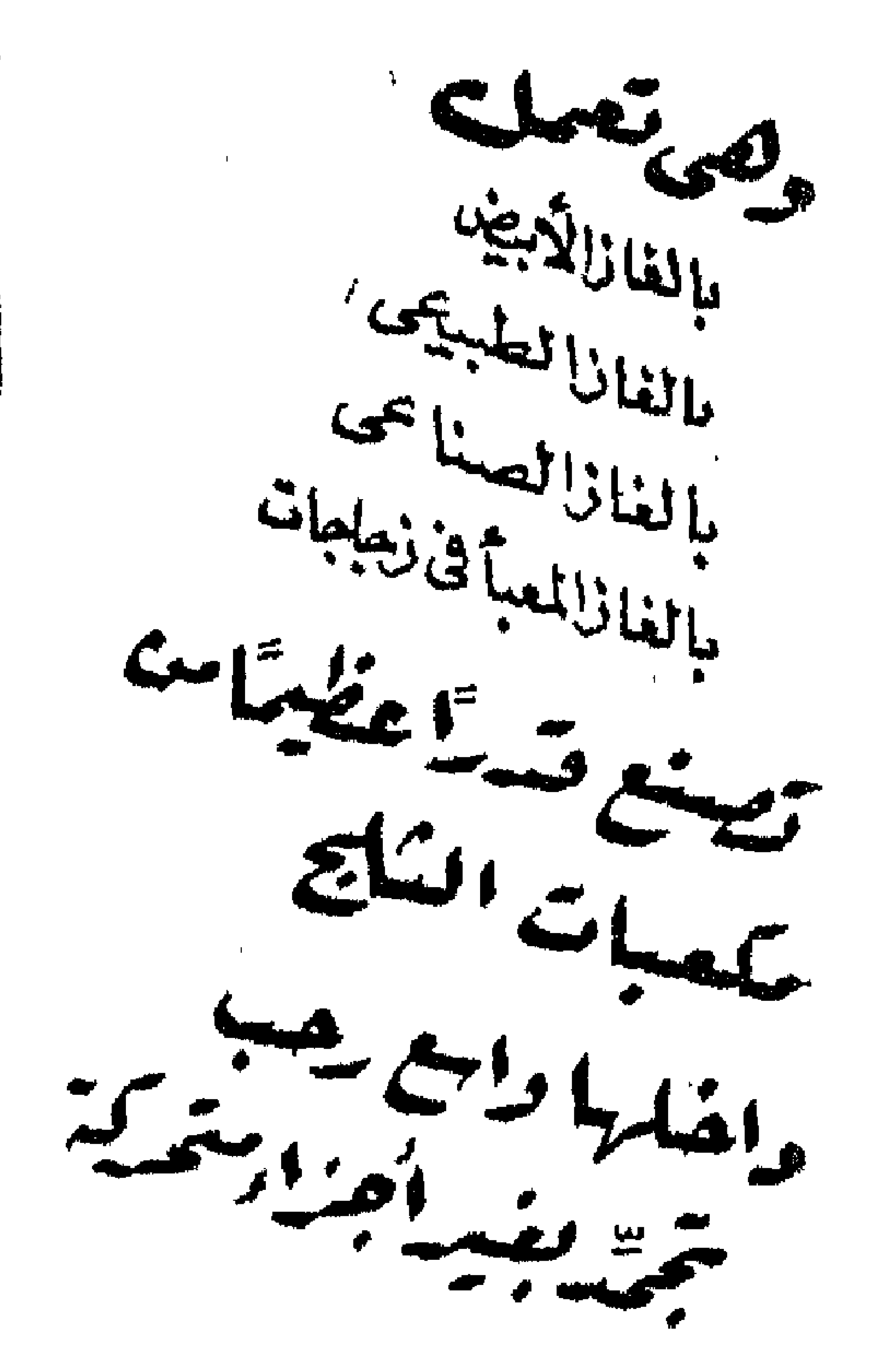
TWA
TRANS WORLD AIRLINE


شحنة من الفتنة
من مصانع « كاسونز » بمانشستر (إنجلترا) خرجت أحدث الروائع فى أنواع «أحمر الشفاه» البريطانية فى خمسة ألوان جديدة . وقد روعى فى صنعها أن تكون ممتازة فى مادتها ولونها ، فهى تحتل اليوم مكان الصدارة فى صالونات التجميل فى جميع أنحاء العالم .
Cussons أحمر شفاه
73 GROSVENOR ST. LONDON W. I. ENGL


ثبت تفضيل الناس لها
في كل الدنيا
شامبيون
CHAMPION
كلُّ استقصاء كبير تمَّ خلال السنوات العشر الأخيرة، قد أثبت إثباتاً قاطعاً، أن شموع احتراق «شامبيون»، تحتلُّ المكانة البارزة في منازل الزعامة. فالعلم المتخصص... والوسائل الفنية التي لا تحدُّ... والتجارب الهندسية، قد اجتمعت لتخلق منتجات تستطيع حقًّا أن تعتمد عليها.
وإذن، فسواء كنت تملك سيارة أو كاميوناً، أو سيارة ركاب، أو جرَّارة... فدع شموع احتراق «شامبيون» أن تعينك على أن يبلغ محركك أقصى حدٍّ من الأداء. فتركيب شموع «شامبيون» يُجدي عليك ولا ريب.
CHAMPION SPARK PLUG COMPANY
Toledo, U.S.A • Windsor, Can. • Feltham, Eng.
CHAMPION
CHAMPION

هذه الثلاج
تقوم بعملها أي





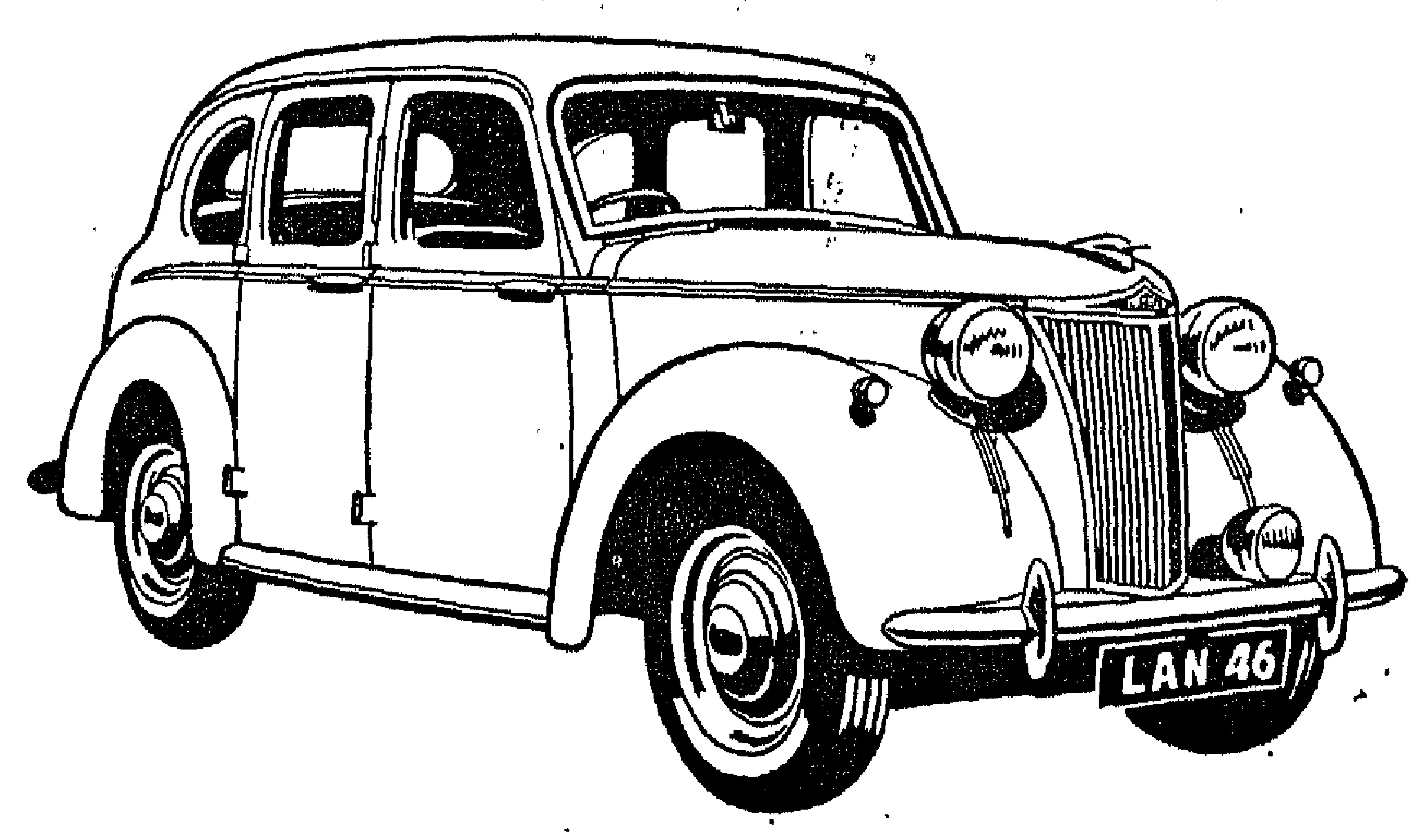
سواء كنت تعيش فى المدينة ، أو فى مزرعة بعيدة عن الأسلاك التى تنقل الكهرباء ، فى وسعك أن تستمتع بأفضل وسائل التبريد الحديثة — « سرفيل » وذلك لأن يهيأ حفيراً — من غاز أو جاز — يحرك هذه الثلاجة التى تختلف عما سواها ، ولما كانت لا تضم أجزاء متجزئة فى جهاز التبريد الذى يحتميه فيها فإنها تبقى بغير حوث ، وتكون حياتهما أحول ، وأنت تجد اليوم أكثر من مليونى أسرة فى القارتين الأمريكيتين سيتمتعون بثلاجات « سرفيل » .

الثلاجة التى تختلف عما سواها

Servel سرفيل

هذه "لانشستر" الجديدة ألا تراها جميلة !

ومع أن الناس يصفونها بأنها « سيارة صغيرة » فإنها فى الواقع واسعة كبيرة . ومحركها ليس كبيراً ، ولكنه محرك قوى . وفيها مكان رحب للركاب ولأمتعتهم أيضاً . ومن حسن حظ سيارة « لانشستر » ، أن تكون مزودة بنظام « ديملر » الخاص ، للانتفاع بقوة المحرك ، فيكون تسييرها غاية فى اليسر والأمن . وإذا ما صرت صاحب هذه « اللانشستر » الجديدة ، أحسست بالزهو والرضى .



Licensed under Vulcan Sinclair and Daimler patents.

LANCHESTER

THE LANCHESTER MOTOR COMPANY LIMITED - COVENTRY AND LONDON - ENGLAND

عقلية بعض . وهذه المعرفة وهذا الفهم هما اللذان يقيمان التضامن بين الناس مقام التنافس والتنابذ ، ويمهدان لطمأنينة السلام فى العالم .

فيليب مرى ، رئيس اتحاد عمال الصناعة ، أمريكا : لقد أسدت مجلة ريدرز دايجست فيما لا يزيد على ربع قرن يداً عظيمة نافعة بأن أتاحت لملايين من القراء فى هذه البلاد وغيرها أدباً باقياً لا تبلى جدّته . وقد حرصت على أن تبسط للناس مجمل الآراء فى المسائل التى تشغل أهل العصر ، فأدّت بذلك إلى تعزيز الحياة الديمقراطية الصحيحة .

أ . ج . كرونن ، الروائى الإنجليزى : أسأل الله أن تظلوا أبداً قادرين على إتاحة التعليم والتسلية لأبناء عالم حرّ موحَّد الهدف .

الجنرال جورج مارشال ، وزير خارجية أمريكا : استطاعت مجلة ريدرز-دايجست أن تبتدع أسلوباً نافعاً تقدم به إلى عامة النـاس مقالات ممتعة نافعة ، فأعانت ملايين من القراء على فهم العصر الذى نعيش فيه فهماً أدق وأوفى .

ميخائيل نعيمة ، الكاتب الأديب ، لبنان : أما تشعر ، وأنت تقلب صفحات هذه المجلة المتزنة ، بأن حياة العـالم الفكرية والقلبية والعملية تنساب من سطورها جداول وأنهاراً بين يديك ؟ فلا أنت بالغريب عن أحد فى العالم ، ولا شىء فى العالم بغريب عنك ، بل أنت واحد من أسرة كبيرة تدعى الإنسانية ؟

الدكتور ج . لوث ليبمان ، مؤلف كتاب « سكينة النفس » : لما ظهر ملخص كتابى « سكينة النفس » فى مجلة ريدرز دايجست تلقيت رسائل كثيرة من مئات من القراء لم تكن لتبلغهم دعوتى التى تضمنها هـذا الـكتاب لولا هذا النشر . ولم أزل معجباً بما يشيع فى صفحات هذه المجلة من التفاؤل المجدى المنتج ، ومن نشدان للحقائق الإنسانية السامية .

رُبع قرن

تحتفل مجلة ريدرز دايجست في هذا الشهر بمرور خمسة وعشرين عاماً على بدء صدورها في فبراير ١٩٢٢ ، وكانت يومئذ نشرة محدودة لفئة من الأصحاب والأصدقاء ، تنشر باللغة الإنجليزية ، فإذا هي اليوم مجلة عالمية تنقل خلاصة الأفكار والآراء لملايين من الناس في كل مكان ، يقرأونها بثماني لغات مختلفة ، فهي تتولى بذلك عقد الصلة بين هذه الملايين المتباعدة الديار المختلفة الألسنة ، وتجمع بينهم بأسباب من ثقافة عالمية تقرّب بين قلوبهم وآمالهم ومآربهم في إنشاء عالم جديد يعمر هذه البسيطة بالتفاهم والتقارب والمودة .

روبرت . م . هتشنز ، مدير جامعة شيكاغو : لقد أقامت ريدرز دايجست الدليل على أن جماهير الناس في هذه الأمة وفي أمم أخرى كثيرة تستطيع أن تجد لذة في قراءة الموضوعات العميقة المطبوعة بطابع الجد . ولقد أصبحت هذه المجلة في مدى ربع قرن قوة عظيمة من قوى التثقيف والتربية .

الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، رئيس مجلس الشيوخ ، مصر : مجلة المختار وسيلة من الوسائل القوية لمعرفة الناس بعضهم بعضاً ، ولتفهم بعضهم

[البقية على الصفحة السابقة]